جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (607 – 680هـ) دراسة موضوعية وفنية

إعداد
أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد

إشراف
د. رائد مصطفى عبد الرحيم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2012م

شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (607 – 680هـ) دراسة موضوعية وفنية

إعداد

أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/10/22م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. رائد عبد الرحيم / مشرفاً ورئيساً	.....
2. أ. د. مشهور حبازي / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى أوّلِ من زرع في قلبي حبَّ المعرفة والإطلاع والعلم، بسطوة حكمته، وملمسه الدافئ، وكلماته الحنونة.

والدي

إلى التي أضناها السهر من أجل سعادتي، إلى التي ضمتها بدغدغ جوانح قلبي، وكفاحها الدؤوب فتح لي أبواب الأمل، وسبافها عصافير الصباح، وقطفها وردة تعلقها وساماً على مفرقي.

والدتي

إلى كلِّ من يبعث الأمل والابتسامة في النفس، وإلى كلِّ من مدَّ يدي العون والمساعدة.

إلى كلِّ هؤلاء أقدم عصارة فكري، ومداد قلمي.

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمن كان له الدّور الأكبر في توجيهي وإرشادي إلى إختيار موضوع رسالتي من الدكتور رائد عبد الرحيم، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته الكريمة والقيمة، ولم يتوان في رفدي بفيض معرفته الواسعة، إذ منحني الكثير من جهده ووقته، وزودني ببعض المصادر والمراجع التي ساعدت على اكتمال هذه الدراسة، بارك الله فيه، وجزاه عن العلم و لابه خير جزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم في قراءة هذه الرسالة ومناقشتها.

وأتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى كل العاملين في مكتبة جامعة النجاح، والجامعة الأردنية وأخص بالذكر الأستاذ عبد الله دمدوم، وجامعة القاهرة أخص بالذكر ذياب كلش، ومكتبة بلدية والكرم،ومكتبة بلدية نابلس، على دورهم الفاعل في مساعدتي المتواصلة لاستكمال مادة البحث، فلهم مني الوفاء والتقدير.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (607 – 680هـ) دراسة موضوعية وفنية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالبة: **Student's Name:**

التوقيع: **Signature:**

التاريخ: **Date:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	**1**
الفصل الأول: حياة بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي	**4**
أولاً: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه	5
ثانياً: نسبه	6
ثالثاً: مولده ونشأته	7
رابعاً: مهنته	7
خامساً: صفاته	8
سادساً: ثقافته	10
سابعاً: رحلاته وتنقلاته	11
ثامناً: علاقاته بمعاصريه	13
تاسعاً: علاقته بأهل الأدب	16
عاشراً: شاعريته	18
حادي عشر: وفاته	24
الفصل الثاني: شعر بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبي: دراسة موضوعية	**25**
الأغراض التقليدية	26
أولاً: المديح	26
ثانياً: الغزل	39
ثالثاً: الوصف	54
رابعاً: الهجاء	99
خامساً: الرثاء	103
سادساً: الفخر	109

الموضوع	الصفحة
موضوعات أخرى	110
أولاً: العتاب والاعتذار والشكوى	110
ثانياً: الإخوانيات	114
ثالثاً: الألغاز	116
الفنون الشعرية المستحدثة	118
أولاً: الدوبيت	118
ثانياً: الزجل	120
الفصل الثالث: شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي: دراسة فنية	**125**
أولاً: بناء القصيدة	126
ثانياً: اللغة الشعرية	140
ثالثاً: الأسلوب	149
رابعاً: الموسيقى الشعرية	169
خامساً: الصنعة البديعية	187
سادساً: الصورة الفنية	210
الفصل الرابع: المستدرك على الديوان	**221**
الخاتمة	**242**
قائمة المصادر والمراجع	**245**
Abstract	**b**

شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (607- 680هـ)

دراسة موضوعية وفنية

إعداد

أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد

إشراف

د. رائد مصطفى عبد الرحيم

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة موضوع " شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (607 – 680هـ)" دراسة موضوعية وفنية" وتُعدُّ هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث الأدبي في تاريخ الآداب العربية، فهي تكشف النقاب عن شاعر يعد من أشهر شعراء العصرين الأيوبي والمملوكي، وما أنتجه من إرث شعري، تمَّ بفضله تتابع حلقات التطور والتقدم الأدبي عبر العصور الإسلامية،وعلى الرغم من أهمية الشاعر وشعره، فلا توجد دراسة علمية شاملة تناولت شعره من الناحيتين الفنية والموضوعية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن هذين الجانبين من شعره، ولتجمع ما تبقى من ديوانه.

وقد اتبعت المنهج التكاملي، واتكأت على المنهجين التاريخي والجمالي في معالجة النص الشعري، واعتمدت على ديوان الشاعر المطبوع، واستقرأت ما بقي من شعره، ثم درسته دراسة فنية وموضوعية، وأبرزت دوره الفاعل في الحركة الشعرية، وقد انتظم عقد هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

الأول: حياة بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي.

الثاني: موضوعات شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي.

الثالث: الدراسة الفنية لشعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي.

الرابع: المستدرك على الديوان.

الخاتمة: أجملت فيها ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

المقدمة

الحمد لله الخالقِ على غير مثال، المصوّر في أبهى آيات الحسن، وأروع غايات الجمال، ولا إله غيره، هو الكبير المتعال، والصلاة والسلام على هادي البرية بعد الضّلال، الذي بلغ في الفصاحة والبلاغة حدَّ الكمال، تحدّث فسحرَ القلوب وأبهرَ العقول بحسن المقال، وقام للنّاس على الأخلاق، " وَكَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ "[1] وبعد،

موضوع هذا البحث شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي(607 –680هـ)، دراسة موضوعية وفنية، بدأت علاقتي بأدب العصور المتأخرة أيام دراستي الجامعية الأولى حين طلب مني كتابة بحث حول شعر ابن الفارض، ومنذ ذلك الحين، أخذ اهتمامي بالموضوع يكبر شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت إلى مرحلة الماجستير، التي أتاحت لي فرصة الاطلاع والفهم لكثير من الأمور، التي لم أكن على دراية بها، وعندما عرض الدكتور رائد عبد الرحيم عليَّ موضوع البحث رحبتُ به، وأخذ بيدي حتى استوى هذا البحث على سوقه.

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تلقي الضوء على جانب من حياة الشعر في بلاد الشام،في العصور المتأخرة من خلال شعر بدر الدين يوسف الذهبي، الذي يُعدُّ مصدراً مهماً في دراسة الأغراض الشعرية في عصره، بشهادة الأدباء والمؤرخين والدارسين من الشعراء المميزين في عصره أمثال[2]، أضف إلى ذلك أن شعره يمثل الذوق الفني للعصر، فهو أحد رواد التورية، وأكثر من نظم المقطوعات، وقد جُمع ديوانه إلا أنه جاء غير كامل، ومن هنا فإن نقص ديوانه وأهمية شعره وعدم وجود دراسة علمية مستقلة شاملة درسته من جوانبه المختلفة، كل ذلك دفعني لأخوض غمار البحث فيه.

وقد أقمت دراستي على ما تجمع لدّي من أخباره وأشعاره، التي أخذتها من ديوانه، وما جمعته من شعره ما المظان المتعددة، واعتمدت في ذلك على المنهج التكاملي .

([1]) سورة الرعد: الآية 17.

([2]) أمثال مجير الدين، محمد بن تميم. وشيخ الشيوخ، شرف الدين عبد العزيز.انظر الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **صرف العين**،دراسة وتحقيق محمد عبد المجيد لاشين، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، ج2، ص433،

وقد بنيت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول فقد جعلته للحديث عن حياة بدر الدين، اسمه، ولقبه، وكنيته، ونسبه، ومولده، ونشأته، ومهنته، وصفاته، ورحلاته وتنقلاته، وعلاقاته بأهل عصره من العامة،والأدباء،والشعراء، والحكام، والأمراء، وشاعريته، ووفاته.

وعرضت في الفصل الثاني الموضوعات الشعرية التي نظم فيها،فتحدثت عن المديح، والغزل بنوعيه، الوصف، والهجاء، والرثاء، والشكوى والعتاب، والإخوانيات،والفخر، إلى جانب مواكبته بعض الأوزان الشعرية المستحدثة، مثل الزجل، والدوبيت.

وخصصت الفصل الثالث لدراسة شعر بدر الدين، فبحثت في بنية القصيدة،وأقسامها ولغة الشاعر وأساليبه، ومنها التناص، والموسيقا الشعرية،ومظاهر توظيف التراث، ومصطلحات العلوم، والصنعة البديعية، ثم الصورة االشعرية ومميزاتها.

وأثبتت في الفصل الرابع ما جمعتُ من شعر بدر الدين، وما تبقى من ديوانه، واتبعتُ في ذلك ما يأتي:

أولاً: رتّبتُ شعره على الحروف الهجائية، وعرضتُ القوافي حسب حركتها الأقوى فالأضعف، الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسّكون.

ثانياً: اعتمدتُ الرؤية التي ذكرها المؤرخون الذين عاصروا بدر الدين، وتلمذوا له، واطلّعوا على شعر الشاعر، وأخذوا منه، أمثال الإربلي بهاء الدين المنشئ، صاحب "التذكرة الفخرية "، وابن فضل الله العمري، صاحب موسوعة " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، والإمام شمس الدين الذهبي، وله غير كتاب تناول شعر بدر الدين، واعتمدتُ على روايات المؤرخين الذين نقلوا من خط بدر الدين، أمثال الشيخ صلاح الدين الصفدي، وله غير كتاب تناول شعر بدر الدين، والكتبي محمد بن شاكر، وبخاصة في كتابيه " عيون التواريخ"،" وفوات الوفيات والذيل عليه، واليونيني" قطب الدين " صاحب كتاب "ذيل مرآة الزمان".

ثالثاً: مهّد غير راوٍ بذكر الحادثة أو المناسبة التي قيل فيها قسم من شعر بدر الدين، وعبّر بعضهم عن رأيه في ذلك الشعر، ومن هنا حرصتُ على إثبات ما قالوه، ربطاً للأشعار بوقائعها ومناسبتها، تسهيلاً على الباحثين في شعر العصر المملوكي، وقد حذوت في منهجي في المستدرك حذو أستاذي رائد عبد الرحيم في كتابه " الشيخ علاء الدين الوداعي الكندي" حياته وشعره وما تبقى من ديوانه [1].

ولخصت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاّب العلم، وروّاد الأدب.

([1]) انظر رائد،عبد الرحيم: **الشيخ علاء الدين الوداعي الكندي" حياته وشعره وما تبقى من ديوانه** " مقبول للنشر في مجلة عمادة البحث العلمي، جامعة النجاح الوطنية، ص 3.

الفصل الأول

حياة بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه

ثانياً: نسبه

ثالثاً: مولده ونشأته

رابعاً: مهنته

خامساً: صفاته

سادساً: ثقافته

سابعاً: رحلاته وتنقلاته

ثامناً: علاقاته بمعاصريه

تاسعاً: علاقته بأهل الأدب

عاشراً: شاعريته

حادي عشر: وفاته

الفصل الأول

حياة بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

قارضو الشعر كُثر، فمنهم من أسهب وأجادَ، ومنهم من كان كلامه وحي ملاحظة، ومنهم من كان سهيلاً في النجوم يعارضها، ولا يجري معها.

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه

هو يوسف بن لؤلؤ بن[1] عبد الله الذهبي[2] الدمشقي [3]، يكنى أبا المحاسن[4]، ويلقب بدر الدين[5]، ويعرف بجمال الدين[6]، ويبدو أنَّ اسم الجدِّ "عبد الله" اسم مُختَرع، لا أساس له، وقد أطلق عليه والده هذه التسمية "بدر الدين " تيمناً بالأمير بدر الدين[7] صاحب

([1]) الإربلي، بهاء الدين المنشىء (ت692هـ): **التذكرة الفخرية**، تحقيق نوري محمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م، ص 242. الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ): **العبر في خبر من غبر**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997م، ج1، ص 314. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط1، بيروت، دار المسيرة، 1979، ج5،ص 369.. الحموي، تقي الدين أبو بكر علي: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، شرح عصام شعيتو،ط2، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1991م،ج2، ص 44.

([2]) اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت726هـ): **ذيل مرآة الزمان**، ط1، حيدر أباد الدكن- الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1961م،ج4، ص 134. الترمانيني، عبد السلام: **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**،المجلد 2، ط1، دار طلاس للدراسات والنشر،دمشق، 1994م. ص1081. كحّالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين** (تراجم مصنفي الكتب العربية)، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ج13، ص 326.

([3]) الإربلي، **التذكرة الفخرية**، ص (142). الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث (671- 680)**، ص377. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2006م، ج29،ص 122. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1،دار الكتب العلمية، 1997م،ج1، ق3، ص 705.

([4]) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج7 ص،.المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، ق2، ص 705.

([5]) الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ): **عيون التواريخ**، تحقيق فيصل السامر، ونبيلة عبد النعم داود، ج21/ 287. اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134.

([6]) - العمري،شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت749هـ): **مسالك الأبصار وممالك الأمصار**،تحقيق محمد إبراهيم حور، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م،السفر 16،ص 170.

([7]) الأمير بدر الدين دلدرم: هو بدر الدين بن بهاء الدين ياروق - صاحب تل باشر - وقع في أسر الملك الظاهر، ولكنَّ الملك العادل شفع إلى ابن أخيه بدر الدين دلدرم، فقبل الملك الظاهر الشفاعة، فأطلق سراحه، كان مقدم الجيوش الحلبية مدة، انظر ابن الأثير، عز الدين بن الحسن أبا الكرم محمد: **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 12مج،ص 348. ابن شداد، عز الدين بن علي بن إبراهيم: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، حققه يحيى زكريا عبادة، دار إحياء التراث العربي، دمشق، 1991م، ج1، ق2،ص 105. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 14/ 24. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق يوسف علي الطويل،القاهرة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1963م، ج 4، ص 127.

تل باشر[1] الذي أعتقه.

وكان أكثر المماليك يُختطفون من أهاليهم صغاراً، ويباعون دون هوية، لمن يدفع أثمانهم،وغالباً ما ينسبون إلى أستاذهم الذي اشتراهم، وهو الذي يختار لهم الاسم الذي ينادون به، ويُسمَّى أبو المملوك "عبد الله"،لأنَّه لا بدَّ أن يكون له أب. فأكثر أبناء المماليك في ذلك العصر يسمّون بهذا الاسم، فالمذكور في كتب التاريخ، في خطاب الشخص الذي لا يعرف اسمه أن يقال له: "عبد الله" إن كان ذكراً، و"أمة الله " إن كانت أنثى[2].

ثانياً: نسبه

نسبه المؤرخون ممن ترجموا له فقالوا " الجوهريٌّ" [3] أو الذهبيٌّ، بفتح الذال المعجمة والهاء، وفي آخرها ياء موحدة،واللؤلؤ أبوه،أو هو جماله اليوسفيٌّ، هذه النسبة إلى الذَّهب، وتخليصه، وإخراج الغِش منه [4].

ففي إحدى مقطوعاته الزجلية فاخر بانتسابه إلى مهنة – صناعة الذَّهب – فقال:

مَا أنا طبّاخْ وَلا الطّعامْ فنّي ... إنما صَنْعتي
ذَهَبي، كُلْ حَدْ يِشهدْ لي ... بِعَلا رِفعَتي
والَّذي جا بقطعتو ينقاسْ ... في نظيرْ قطعتي[5]
مِثْلْ مَا جا يقايسْ الفضَّةْ ... وَالذَّهبْ بالحديدْ[6]

([1]) تل باشر: هي قلعة مشهورة معمورة، تقع شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان. انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ): **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج2،ص40.

([2]) انظر الذهبي، يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله (ت680هـ): **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**، ط1، تحقيق ودراسة محمد إبراهيم لاشين، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2004م، ص 8.

([3]) انظر العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 170. اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 4/ 122

([4]) انظر الجزري، عز الدين ابن الأثير: **اللباب في تهذيب الأنساب**،، بيروت، دار صادر، ج 1، ص 535.

([5]) يبدو أنّه أراد بالقطعة: الزجل.

([6]) النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (850هـ): **عقد اللآل في الموشحات والأزجال**، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، دار الرشيد، 1982م، ص 134.

ثالثاً: مولده ونشأته

لا تتضح مراحل نشأة الشاعر، فالمصادر التاريخية والأدبية لم تذكر عن حياته سوى إشارات موجزة، لا تعطي صورة وافية لجوانب حياة أسرته، ومنزلتها، وواقعها الاجتماعي، ولكن الثابت أنَّ والده كان عتيق بدر الدين دلدرم الياروق.

ولد لؤلؤ الذهبي في تل باشر شمالي حلب سنة سبع وستمائة للهجرة (607هـ / 1210م)[1]، وكان والده مملوكاً لبدر الدين دلدرم الياروقي' صاحب تل باشر الذي أعتقه، فرحل مع أسرته إلى دمشق، وكان له بيت في الصادرية [2] بجوار جامع بني أمية،وقيل الجاروخية[3].

رابعاً: مهنته

لِعَلَّ أول مهنة زاولها البدر الذهبي هي مهنة صياغة الذهب، وقد اتخذها مصدراً للرزق والمعيشة، فكان له دكان باللبَّادين[4]، يبيع فيه مصوغاته الثمينة، إذ تعلم صياغة الذهب، وبرع فيها، ونسب إليها، وكان له فيها قفص على العادة فيه خواتم وحلي، قال عنه الحاج لجين الذهبي [5]:" هو أول من علَّم الناس المُجنَّس بدمشق "، والمُجَنَّس[6] أو المُخيَّش[7]:هو تلبيس الذَّهب فضة وجعله شريطاً أي المُغطى بالذَّهب وحشوه غش[8].

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 170. اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 4/ 122.

([2]) الصادرية:هي داخل دمشق بباب البريد على باب الجامع الأموي الغربي، أنشأها شجاع الدولة الأمير صادر بن عبد الله، وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة إحدى وتسعين وأربعمائة للهجرة، بناها للحنفية.انظر ابن عساكر: تقي الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت499هـ): **ولاة دمشق في العهد السلجوقي**، دار الإستقامة، بيروت، 1977م، ص 10.النعيمي، عبد القادر محمد: **الدارس في تاريخ المدارس**، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1981م، ج1، ص 537.

([3]) الجاروخية: هي حيٌّ من أحياء مدينة دمشق القديمة، انظر العلي، أكرم حسن: **خطط دمشق** (دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام...)، دار الطباع، دمشق، 1989م، ص 113.

([4]) اللبَّادين: نسبة إلى عمل اللبود، وهو الصوف: موضع بدمشق مشرف على باب جيرون،انظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 5 /10.

([5]) لاجين الذهبي: هو لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي الطرابلسي، كان من كبار الأمراء وأعظمهم، ولد بدمشق (659هـ)، كان أديباً وشاعراً وله كتاب " تحفة الجاهدين بالعمل بالميادين(ت738هـ)،انظر الحوت، محمود سليم: **عصر سلاطين المماليك وإنتاجه العلمي والأدبي**، مكتبة الآداب، 1951م، 2مج، ص 99.

([6]) **المُجَنَّس: مادة (جنَّس) الأشياء: شاكل بين أفرادها. انظر أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، 1/ 140.**

([7]) المُخيَّش: ماد (خاشَ)، خيّشه: غطاه بالذَّهب وحشوه غِش، انظر إبراهيم أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 265.

([8]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 122.

خامساً: صفاته

يكاد مؤرخو حياته يجمعون على ما كان يتمتع به البدر من خلق كريم، ونبل المـــروءة، فقد كان فاضلاً ماهراً في شعره[1]، من الأدباء الظِّراف، متمكناً من صاحبه، كبير القدر عنـــده، كان فناناً موهوباً، خفيف الظلِّ، ظريفاً، مرحاً، جاءه أحد مماليك الملك الناصر صلاح الدين[2] – صاحب الشام – فقال له:"عندك خاتم على قدر أُصبعي، فقال: بل عندي أُصبع على قدر خاتمك، فلمَّا علم الملك الناصر بهذه النادرة استظرفه، واتّخذه صاحباً ونديماً،وتوطّدت بينهمـــا علائـــق المحبّة[3].

ويذكر أنه كان ألوفاً، ليِّن الجانب، رقيق المعاملة، فاضلاً يأنس بأصدقائه ومشاركته لهم أفراحهم وأتراحهم[4]، فمن ذلك قوله يمدح الصاحب الأعظم " تاج الدين "[5]يقول:

(الرجز)

عِوَجاً يمـــينَ الجـــزعِ بِـــالعيسِ عَســـى نُـــــريحهنَّ فـــــالظلامُ قَـــدْ عَســـــا[6]

وكتب لبعض أصدقاء "جمال الدين أحمد المصري النحوي [7]" معزياً، فقال:

---

(1) الترمانيني، عبد السلام: **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، 2 /1081. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 122.

(2) الملك الناصر: هو يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف، الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيـــز بـــن الملـــك الظاهر بن الناصر صلاح الدين الكبير، كان يكنى أبا المظفر، ولد بقلعة حلب في رمضان سنة سبع وعشرين وست مائة، وتوفي سنة تسع وخمسين وست مائة.انظر الكتبي، محمد شاكر: **فوات الوفيات**، 2/ 667. الصفدي: **الـــوافي بالوفيـــات**، 29/ 137. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج4، ص10.

(3) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 122.

(4) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 247.

(5) الأمير تاج الدين: هو محمد بن الصلاية، عينه الخليفة المستعصم على إربيل سنة (639هـــ) وعندما احتـــل هولاكـــو "مدينة إربيل" خرج تاج الدين منها وتوجه إلى هولاكو فقتله، توفي في سلخ جمادى الآخر سنة (694هـــ). انظر الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 19. الدّوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالـــدوس. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م، ص 42. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: **جامع التواريخ**، نقله إلى العربية فؤاد عبد المعطي الصيّاد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص 193.

(6) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 361.

(7) جمال الدين المصري: هو الشيخ محمد بن عبد الله بن مالك الإمام العلامة جمال الدين الجياني الطائي النحوي، نزيـــل دمشق، ولد سنة (600هـــ)، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وتصدر مجالس قراءة العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب، مذهبه الشافعية، أقام بدمشق يصنف، ويشتغل بالجامع والتربة العادلية. انظر الكتبي: **فوات الوفيات والـــذيل عليه**، 3/ 407.

(الطويل)

عَزاؤُكَ زيــنُ الــدينِ فِــي الــذَّاهبِ الَّــذي بَكَتْــهُ بنــو الآدابِ مَثْنــى وَموحَــدا
هُــمُ فــارَقوا منْــهُ الخليــلَ بــنَ أحمــدٍ وَأنتَ فَفارقــتَ الخَليــلَ وَأحمــدا[1]

أشاد به الأربلي"بهاء الدين"، فقد رآه واجتمع به، وقال:" إنَّه كــان يتصــدر المجــالس، فاضلاً جوادا، صاحب مكانة رفيعة عند الملوك، ولا سيما الملك الناصر" [2].

كان شغوفاً محباً للحياة والطبيعة، جمالها وغــدرانها الممتــدة، وأزهارهــا المائســة، والمتنزهات المستطابة، ما يتضمن غرامه بالزهر والروض والعيون [3]، يقول في وصف متنزه النيربين:

(الوافر)

تُحيِّرُنــــا عَلــــى مَــــرِّ اللَّيــــالي جِنــــانُ النَّيِّــــرينِ العاليــــاتُ
وَكَيْــفَ اعتَلَّــتِ النَسَــماتُ فيهــا وَشــاخَ البــانُ، واكْتَهَــلَ النَّبــاتُ[4]

وهذا يدل على رقة طبعه وشعوره، وأمثلتها في شعره كثيرة [5].

ويبدو أنَّ بدر الدين كان مولعاً بالخمر، فوصفها، ووصف مجالسها، وسقاتها، وأدواتها، وأثرها في شاربيها، وندمائها، على عادة الشعراء الآخرين، كما قال:

(الطويل)

هِيَ الخمــرُ تُــدْعَى بِــالعَجوزِ لأنَّهــا إذا شَافَهَتْ عُضــوَ الحِســانِ تجــودُ
تُلَــيِّنُ أخــلاقَ الحِســانِ بِلُطفِهــا فَــلا تُنْكِــروا أنَّ العَجــوزَ تقــودُ[6]

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([2]) المصدر نفسه: ص 243.

([3]) الحصني، محمد أديب تقي الدين: **منتخبات التواريخ** (تاريخ دمشق)، قدم له كمال سليمان الصليبي،، ط1، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1979م، ج3، ص 403.

([4]) البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمد (847هـ): **نزهة الأنام في محاسن الشام**، بغداد، المكتبة العربيــة، 1341هـــ، ص 81.

([5]) ديوانه: (12، 52،46).

([6]) الأزهري، محمد بن عبد الله: **مستوفى الدواوين**، تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، القاهرة، مطبعة دار الكتــب للوثائق القومية، 2004م، ج2،ص 195.

حبُّه الشديد للغلمان، وتغزله بهم وبجماله،على عادة شعراء عصره، حيث قال في ملـــيح أراد تقبيله،فامتنع، فجاءت القبلة في خده، يقول:

(الطويل)

مَنَعْتَ ارتشافَ الثَّغرِ يَا غَايــةَ المُنــى فَزَحْزَحْتَني مِنْــهُ إلــى خَــدِكَ القــاني
لَــئِنْ فَــاتَنِي مِنْــهُ الأقــاحي فــإنني حَصَلْتُ عَلى وردِ جنــيٍّ، وَرَيْحــانِ[1]

وكان الغزل بالغلمان ضرب من ضروب اللهو، ومتع الحياة ولّذاتها، وشــرب الــراح، والولع بحب الملاح، فهؤلاء الغلمان من الترك والأكراد والإفرنج امتازوا بجمال مفرط، وروح فكهة مرحة.

سادساً: ثقافته

لم يفصّل المترجمون والمؤرخون في الحديث عن طفولته، ومراحل حياته الأولى، وكل ما ذكروه أنَّه رحل مع والده إلى دمشق وأقام فيها،ويبدو أنَّ بدر الــدين كــان مهتمــاً بتثقيــف نفسه[2]، وذهاب إلى حلقات علماء عصره ومنازل الأدباء، حتى بزَّ أقرانه في الحفظ والــتعلم، والدرس والتحصيل،هذا فضلاً عن جهده الشخصي في القراءة والتحصيل،فوصل إلــى درجــة تؤهله مجالسة رجال المعرفة وأعيان مدينة دمشق وملوكها[3]، ونال حظاً وافراً من علوم وثقافه، هيأته ثقافته مع ما أوتي من استعداد فطري إلى أن وصل إلى درجة كبيرة من إتقان الشــعر[4]، تضعه في مصاف كبار الشعراء في القرن السابع الهجري، وساعدته في تنمية مواهبه الأدبيــة مهنة صياغة الذَّهب،التي جلبت له الحظ، فكانت مصدر رزقه في مطلع شبابه، إلى جانب كثرة أسفاره وتنقلاته[5].

([1]) **ديوانه:** 81.

([2]) انظر سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر المملوكي** (الشعر والشعراء) منشأة المعــارف بالإســكندرية، ج 3، ص 371.

([3]) انظر الأربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([4]) انظر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، 4/ 368.

([5]) انظر سلام: **الأدب في العصر المملوكي**، 3/ 381.

سابعاً: رحلاته وتنقلاته

لم يمض بدر الدين حياته في دمشق،بل كان يخرج منها بين الفينة والأخرى في رحلات، ولفترة زمنية محدودة، وكان يتردد على مدن الشام، وتجاوزت رحلاته العراق ومنها مدينة "إربيل "التي يربط بينه وبين صاحبها صداقة متينة تحدث عنها في شعره، الأمير" تاج الدين، ثمَّ ما يلبث بعدها أن يضع عصا الترحال في دمشق[1].

زار مدينة بغداد، ووصف جمال الطبيعة فيها، وتحدَّث عن نهر الصَّراة [2] ونهر الفرات، يقول:

(الكامل)

ولَقَدْ ذَكَرْتُ عَلَى الصَّراةِ مَرامِيَاً تُنْسي بِحُسن وُجوهِها الأقْمارا[3]

وسافر إلى البصرة، ووصف جمال المدينة، ونهرها المسمى "الفيض" [4]،وذلك عندما يتدفق ماؤه، وتأخذ الطيور تلاعب التيَّار، هذه الطيور التي جاءته زائرة من بغداد، ويبهر الناظرين بما نبت على شطّه من زهور كشقائق النعمان والبهار[5]،يقول:

(الكامل)

وَالفَيْضُ طَامٍ، مَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ وَالطَّيْرُ فِيه يُلاعِبُ التَّيَّارا[6]

سافر إلى لبنان وإلى مصر، وتحدث عن نيلها وجماله في فصل الربيع[7].

([1]) الأربلي: **التذكرة الفخرية:** ص 242.

([2]) نهر الصَّراة: بالفتح: نهران ببغداد، الصَّراة الكبرى، والصَّراة الصغرى، ويقال لا يُعرَف إلا واحداً، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من بلدة يقال لها المحول، انظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان،** 3/ 453.

([3]) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليه،** 21/ 374.

([4]) نهر الفيض: نهر بالبصرة معروف، وقيل محله البصرة قرب النهر المفضي إلى البصرة. انظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان،**323/4.

([5]) البهار: هو جنس زهر من المركبات الأنبوبيّة الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع، ويقال له العَرار. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط،** 1/ 73.

([6]) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليه،** 4/ 369. اليونيني: **ذيل مرآة الزمان،** 3/ 136.

([7]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** 16/ 179.

وعبّر بدر الدين عن حبِّه الشديد لجمال مدن الشام، وحدائقها وبساتينها [1]، ومتنزهاتها وخاصة متنزه النيربين[2]: وهو اسم متنزه بدمشق، وذكر البدري: أنَّ محله النيربين تعلو منتزه" البهنسية"[3]، ومنتزه جسر بن شوَّاش[4]، وأنها من أعظم المحلات وأخضرها وأنضرها.

ويبدو أنَّ بدر الدين زار بلاد الحجاز – مكة– في أثناء تنقلاته، وفي طريقه إلى مكة مرَّ بالغويْر[5]،وهو ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة، فيه برك وقباب لأم جعفر،التي تعرف بالزُّبيدية[6]، وشاهد جمال ذلك المكان وما فيه من طيور وأشجار، ثُمَّ زار مكاناً آخر يسمى"المُحَصَّب" [7]، وتذكر فيه أيام شبابه وملاعب أترابه، وتلك الأشجار الضخمة الظليلة،التي تجري تحت أقدامها المياه الموشوسة [8] العذبة، وتغمر إحساسه نضارة منبعثة من تلك الحدائق، يمتزج فيها تغريد الطيور، فقال:

(الكامل)

هَلْ ذاكَ بَرْقٌ بِالغُوَيْرِ أَنَارا ... أمْ أضْرَمُوا بِلِوَى المُحَصَّب نارا
فَكِلاهُمْا إنْ لاحَ مِنْ هُضْبِ الحِمى ... لي شائقٌ، وَمُهَيِّجٌ تَذْكارا [9]

([1]) الحصني: **منتخبات التواريخ (دمشق)**، 1/ 1111.

([2]) النيربان: هما النيرب الأعلى: وهو أرض تقع على امتداد نهر ثور المتفرع من بردى عن يساره، من الرَّبوة الجسر الأبيض داخل دمشق، والنيرب الأدنى: يقابله جنوبي نهر ثورا عن يمينه، النيرب قرية كانت بدمشق مشهورة، تقع في سفح جبل قاسيون، وربما قيل لهما النيريْن، وغوطة دمشق. انظر ابن الشحنة، محب الين بن مجد الحلبي الخنفي (ت890هـ): **الدُّر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، وقف على طبعه وعلَّق حواشيه يوسف إليان سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثولوكية للأدباء اليسوعيين، 1909م، ص 255. المصري، محمد: **الديوان الدمشقي (شعر نظم في دمشق قديماً وحديثاً)**، ط1، دار الفكر المعاصرة، بيروت، 1991م، ص 579.

([3]) البهنسية،: هو روض بين أشجار وفواكه وثمرات مع عيون من الماء... ويعلوها محل النيربين، وهي من أعظم المحلات، وأخضرها، انظر: الحصني: **منتخبات التواريخ (دمشق)**، 1/ 403.

([4]) جسر بن شوَّاش: بفتح ثم تشديد الشين، اسم رجل نسب إليه موضع متنزهات دمشق، يقال له جسر أبي شوَّاش. انظر ياقوت الحموي: **معجم البدان**، 2/ 596.

([5]) انظر، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 220/4.

([6]) المصدر نفسه: ص 3/ 132.

([7]) المُحَصِّب: اسم مفعول من الحصباء، وهي صغار الحصى وكباره، هي موضع بين مكة ومنى، وهس أقرب إلى منى، وهو بطحاء مكة، انظر، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 62.

([8]) الموشوسة، مادة (شاسَ): الماء صعبت رؤيته لقلته أو بعده. انظر، أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 78.

([9]) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 136. الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، 4 / 369

إذ ترددت أسماء هذه الأماكن وغيرها في مواضع عديدة من ديوانه، وفي الوقت نفسه كانت تربطه صلات مع الولاة والحكام والكتّاب في هذه المدن، فيتوجه إليهم بالمدح والثناء، ويقابلون ذلك بالإحسان إليه، وتقريبه منهم.

ثامناً: علاقاته بمعاصريه

كان لبدر الدين علاقات واسعة، فرضتها عليه مكانته الثقافية والشعرية والاجتماعية، وهذه العلاقات يمكن أن تُصنف في نوعيْن:

الأول: علاقاته الخاصة،وأقصد بها العلاقة التي جمعته بأرباب بني أيوب وملوكهم، وسلاطين المماليك وولاة الأمر فيها، ومنهم الملك الناصر، والظاهر بيبرس، والأمير حسام بن لاجين[1]، والأمير تاج الدين.

الثاني: علاقاته العامة، وتشمل علاقته بعامة الناس، وبأصدقائه، وعلماء عصره، فقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ علاقات طيبة جمعته بشعراء عصره، ولعل كثرة أخباره مع أصدقائه تعود إلى أمرين:

الأول، أنَّه كان خفيف الظلِّ ظريفاً مرحاً [2]، ذا أخلاق عالية، ليِّن الجانب، رقيق المعاملة في إجاباته مع النّاس، وهذه الصفات جعلت علاقاته أكثر انفتاحا، ولا يحدها حاجة أو مصلحة.

الثاني، كان فاضلاً نبيهاً، حبب أوساط مجتمعه به، سافر البلاد، وامتدحهم، وعاد إلى دمشق، وبقي في خدمة الملك الناصر يوسف بن العزيز، وانتظم في سلك شعرائه...[3].

وكان الملك الناصر– صاحب الشام سمحاً جواداً حليماً، محباً إلى الرعية، فيه عدل وصفح للفضلاء والأدباء، فسوق الشعر نافقة في أيامه، وكان يحاضر الأدباء والشعراء وعلى ذهنه كثير من الشعر والأدب، له نوادر وأجوبة ونظم، وله في كل فن مشاركة جيدة [4].

([1]) انظر الرسالة: ص 7.

([2]) الإربلي، **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([3]) انظر الكتبي: **عيون التواريخ**، 21 / 287.

([4]) الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (876هـ): **شفاء القلوب في أخبار بني أيوب**، تحقيق وتعليق مديحة الشرقاوي، مصر، بورسعيد مكتبة الثقافة الدينية، 1996م، ج7، ص 519.

توطدت العلاقة بين بدر الدين بالملك الناصر صلاح الدين، بعد أن جاء الملك الناصر التقليد[1]من الخليفة المستعصم[2] صحبة نجم الدين الباذرائي[3] سنة (655هـ)، فمدح البدر الملك الناصر بقصيدة تُعدُّ أهم قصائد المديح والتهنئة بالسلطنة [4]،لأنها المرتبة الثانية بعد الخلافة، ومن أرفع وأعلى وظائف المملكة، قال فيها:

(البسيط)

وَفى لكَ السَّعْيُ بالسَّعدِ الَّذي وَفَدَا وَأنجزَ الدَّهرُ مِنْ عَلْيَاكَ مَا وَعَدا
سُدْتَ المُلوكَ فَما كَانتْ مَواهِبُ ما أسْدَى إليكَ أميرُ المُؤمنينَ سُدَى[5]

نشأ بدر الدين ميالاً إلى الشعر يقرضه، وينظمه ويبدع فيه، فاتخذه حرفة إلى جانب حرفته التي كان يعتاش منها، شأنه في ذلك شأن أرباب الصناعات الأخرى،عليه أن ينفق بضاعته، فلم يجد سوقاً إلا قصور الأمراء، والقادة، والولاة.

اتصل بدر الدين بالسلطان الظاهر بيبرس، وأشاد بأعماله، وسجل وقائعه،إذ امتدحه ببعض الأبيات بعد وقعة الفرات(671هـ)[6]،التي انتصر فيها على المغول، فقال:

(مجزوء الخفيف)

مَنَعوا جَانِبَ الفُرا تِ بِحَدِّ الصَفائِحِ
كَيْفَ تَحْمُونَهُ وَقَدْ جَاءَهُمْ كُلُّ سَابِحِ ؟[7]

([1]) التقليد من أهم الرسائل الديوانية: وهو بمثابة أمر تعيين يصدر إلى موظف من كبار موظفي الدولة، سليم، محمد رزق: **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مكتبة الآداب، 1955م، 5 مج، ص (132-133).

([2]) المستعصم: هو أبو أحمد عبد الله بن منصور (609- 656هـ) أخر خلفاء الدولة العباسية في العراق، قتله التتار.الذهبي: **سير أعلام النبلاء:** 25/ 441 الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 17/ 641 ابن الدقماق (ت809هـ): **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1985م، ج1، ص220.

([3]) نجم الدين الباذرائي: هو عبد الله بن محمد بن أبي الوفاء بن الحسن بن عبد الله، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة. انظر الصفدي،**الوافي بالوفيات**، 17/ 580.

([4]) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 3 / 4.

([5]) ديوانه: 23.

([6]) معركة الفرات: ملحمة وقعت على ضفاف نهر الفرات بين المسلمين والتتار، إذ ألحق الظاهر بيبرس هزيمة نكراء بالتتار، تغنّى بها الشعراء. انظر اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 3/ 403. ابن تغرى بردى: **النجوم الزاهرة**، 7/(159 – 160).

([7]) **ديوانه:** 20.

وقد وصف الصفدي صلاح الدين الظاهر بيبرس قائلاً:" كان جباراً في الأسفار والحصارات والحروب، وإخافة الأعداء من التتار والفرنج وغيرهم، لأنّه روعهم بالغارات والكبسات، وخاض الفرات، فألقت العساكر بأنفسها خلفه، ووقع على التتار فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر تقدير مائتي نفس "[1]، فقال بدر الدين لؤلؤ يمدحه:

(الطويل)

دَعَوتَ هَلاوونَ[2] اللَّعينَ بِعَزْمَةٍ فَأُغنَتْكَ عَنْ سَلِّ السُّيوفِ الصَّوارمِ
وَقَدْ كَانَ شَيطَاناً عَلَى كُلِّ بَلْدةٍ فَأَقْلَعَ لَمَّا جِئْتَهُ بِالعَزائِمِ [3]

وكان قد وصل بدر الدين بدراهم عليها شعار من النقوش، يتخذها الأمراء والسلاطين، وتدل على الوظيفة التي كان يتقلدها في البلاط السلطاني، ومنها شعار الأسد، رمز الشجاعة والقوة والبأس، واشتهر السلطان الظاهر بيبرس بنقش الأسد على نقوده من دراهم ودنانير[4]، ويُنقش الأسد المملوكي عادة وهو يمشي رافعاً قدمه اليمنى، إذا مشى يساراً، فينقش قدمه الأمامية اليسرى والذيل معقوص إلى الخلف، وقد وصف [5] ذلك في قوله:

(المتقارب)

رَدَدْتَ الحَوادِثَ عَنِّي وَقَدْ وَهَتْنِي كَتَائِبُهَا وَالجُنُودُ
وَأنجَدْتَنِي بِالجِيَادِ الَّتِي بَعَثْتَ بِهَا، وَعَلَيهَا الأُسُودُ[6]

([1]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 10 / (207 – 221).

([2]) هلاوون: صيغة لاسم هولاكو، هو ابن تولي قان بن جنكيز خان، ملك التتار ومقدمهم، كان طاغية، من أعظم ملوك التتار، حاذقاً، توفي بعلة سنة ثلاث وستين وستمائة للهجرة، وقيل كانت مدة سلطنته عشر سنين، وله من الأولاد خمسة عشر. انظر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليه**، 4/ 240. المقريزي، تقي الدين بن العباس أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، 1965م، ج1، ص 427.

([3]) ديوانه: 77.

([4]) الكرملي، شفيق مهدي: **النقود العربية** (مماليك مصر والشام نقودهم ونقوشهم ومسكوكاتهم وألقاب سلاطينهم)، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2008م، ص 35.

([5]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29 / 289.

([6]) **ديوانه**: 27.

واتصل بدر الدين بالعديد من أمراء عصره، ومنهم الأمير " تاج الدين"[1] أمير مدينة إربيل، ويبدو أنَّ صفات هذا الأمير لاقت إعجابه، فرثاه الشاعر بقصيدة تعد من روائع شعره، بعد مقتله على يد هولاكو، فقال:

(الرجز)

وَقُلتُمـــا صـــبحيّ حَـــيٌّ بَعْـــدَهُمْ لَـــوْ كَـــانَ حيَّـــاً بَعْـــدَهُمْ تَنَفَسّـــا[2]

ومن الأمراء الذين أشاد ببطولتهم في خوض المعارك، وما تميز به من شجاعة وجلد وجهاد ضدَّ الأعداء [3] الأمير"نجم الدين"[4]، الذي أصيب بسهم في أحد المعارك، حيث كان هذا السهم جالباً الحظ له، فقال:

(الطويل)

أمولايَ نجمَ الـــدينِ، وَالباســلَ الَّـــذي يَخوضُ العَوَالي، وَالرَّدى وَجْهُهُ جَهْـمُ
أجَلْتَ قِداحَ الحَرْبِ فِي حَوْمَةِ الـــوَغَى فَلا غَرْوَ أنْ وَافَاكَ مِنْ ضَربِها سهمُ[5]

وقد ذكر من ترجم للبدر ألقاب عدد كبير من الأمراء، الذين كان على علاقة بهم، ولم يذكر أسماءهم، ومنهم الأمير علاء الدين، والأمير محيي الدين وغيرهما.

تاسعاً: علاقته بأهل الأدب

يظهر من خلال أشعاره،وما ورد في كتب الأدب،أنَّه كان لبدر الدين علاقات اجتماعية وطيدة، وربما حميمية مع صفوة من أدباء عصره، الذين خبروا مكانته الأدبية، وقدروا حسن خُلقه، وقد غلب على تلك العلاقات سمة المودة والاحترام، فكان يزور بعضهم، ويتبادل معهم

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.
([2]) المصدر نفسه: ص 243.
([3]) الصفدي:**الوافي بالوفيات**، 29/ 291.
([4]) لم أعثر على ترجمة له.
([5]) **ديوانه**: 77.

الهدايا، ويمدحهم، ويدعوهم إلى مجالس شربه،ولكنَّ تلك العلاقات لم تستمر مع بعضهم، بل انقلبت إلى عداوة وكراهية، فقامت مهاجاة بينه وبينهم، فقال:

(الطويل)

وَأَنْكَرَ صَحْبي كَوْنَ دَمْعيَ أَبْيَضَا أَيَخْفَى عَلَيْهِمْ شَأْنُهُ كُلَّمَا بَدَا؟
وَمَا كَانَ إلا مِنْ دَمِ القَلْبِ أَحْمَرَا فَقَطَّرْتُهُ ؛ فَابْيَضَّ لَمَّا تَصَعَّدَا[1]

كان بدر الدين منفتحاً على الحياة الاجتماعية مكثراً من الأصدقاء، وعبّر عن ذلك في شعره، الذي كان يوجهه إليهم، سواء أذكر أسماءهم أم لا، ومنهم "نجم الدين محمد بن إسرائيل"[2]، وكانا يتبادلان الأشعار، ويبدو أنَّ "نجم الدين" كان يميل إلى الغلمان مثل غيره من شعراء عصره، وقد كان له صاحب، يميل إليه، يقال له: جارح، أو تحبباً جويُرح:

(مجزوء الخفيف)

قَلْبُكَ اليومَ طائرٌ عَنْكَ أمْ فِي الجَوانِحِ؟
كَيْفَ يُرجَى خَلاصُهُ وَهْوَ فِي كَفِّ جَارِحِ؟ [3]

ثُمَّ ما لبث أن تخلَّص "نجم الدين بن إسرائيل" من حبِّ جارح، فبلغ البدر أنه تركه، فكتب إليه قائلاً:

(الكامل)

خَلَّصْتَ طائرَ قَلْبِكَ العانِي الَّذي مِنْ جَارِح يَغْدو بِهِ، وَيَروحُ

([1]) الصفدي: **تشنيف السمع في انسكاب الدمع**، ص250.

([2]) محمد بن إسرائيل: هو محمد بن سواربن إسرائيل بن خضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيباني، الشاعر المشهور، ولد بدمشق سنة ثلاث وستمائة، توفي بها سنة سبع وسبعين وستمائة للهجرة، كان قادراً على النظم مكثراً منه، مدح الأمراء، ورجالات عصره، شعره جيد، تجرد وسافر، وسلك طريق ابن الفارض. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 3 / (143 – 145). ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي (ت774هـ / 1372م): **البداية والنهاية**، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1966م، 5مج، ص 359..

([3]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4 / 134 الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29 / 285. ابن العماد: **شذرات الذهب في أخبار الذهب**، 5/ 369.

وَلَقَــدْ يَسُــرُّ خَلاصُــهُ إنْ كُنْــتَ قَــدْ خَلَّصــــتَهُ مِنْــــهُ، وَفِيــــهِ رُوحُ [1]

ومن أصدقائه الذين أقام علاقات طريفة معهم، النجم العيادي المعروف "بالكحّال"[2]، وقد كحّلَ غلاماً حسناً غدوة، فمات النجم عشيَّة اليوم نفسه، فقال:

(الكامل)

يَا قومُ، قَدْ غَلِــطَ الطَّبيــبُ وَمَــا دَرَى فِي كُحْــلِ ذا الرَّشــإ الغَريــرِ وَطِبِّــه
وَأرادَ أنْ يُمْضــــي سِــــهامَ جُفونِــــهِ لِيَحِــدُّهَا، فَيُصــــيبَنا، فَبَــدَتْ بِــه[3]

عاشراً: شاعريته

ديوان بدر الدين لم يسلم من عوادي الزمن، فقد فُقِد كما فُقدت دواوين الكثيــرين مــن الشعراء، ولم يصل منه إلا نتف منشورة في بعض المجلات الأدبية، والتراجم والمصادر، ويبدو أنّ قسماً من أشعاره قد ضاع، وهو ما نظمه على ذكر بعض الحروف، بدليل أنّ جامع الــديوان من عادته التنبيه عندما لا يوجد للشاعر شعر على قافية أحد الحروف الهجائية، [4] فلــيس مــن المعقول أن تكون هذه القصائد القليلة والمقطعات والنتف الضئيلة كل شعره، وهو شاعر يعد من أكبر شعراء عصره.

وأشاد عدد ممن ترجم للبدر الذهبي بشعره وأدبه، وأثنى على شاعريته، فهــو شــاعر مشهور ومجيد، قال عنه صاحب مسالك الأبصار: " أدبه أعبق في المجامع من النسيم، وأعلــق بالمسامع من فُرط أُذن الليل البهيم، أدخل على الخواطر من الأفكار، وأوضح للنواظر من رؤية النهار "[5].

([1]) **ديوانه:** 19.

([2]) النجم العيادي " الكحّال": هو تقي الدين شبيب بن حمدان بن شبيب بن محمود الأديب، أبو عبد الرحمن الشاعر، نزيــل القاهرة، ولد بعد العشرين بيسير، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة، كان فيه شهامة وقوة نفس، وله أدب وفضائل. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 16/ 107. الكتبي: **عيون التواريخ**، 419/20. ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، 5/ 428.

([3]) ديوانه: 16.

([4]) انظر **ديوانه:** (27، 55، 67، 82).

([5]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 170.

أما الأربلي، فقال في ترجمته لبدر الدين: " كهل حسن الأخلاق ظريفها، وشاعر بـــديع المقاصد لطيفها، له شعر كالروض تفتَّح زهرها وفاح رباها، وتضوَّع نشرها بطيـــب شـــذاها، ووجوه الغيد تروق القلوب والأبصار، وكطلعة الغنى بعد الإعصار والإقتار، كلّما أنشدتَه وجدتَ مسرَّة، وأهدت إلى القلوب قراراً، وإلى العين قرة، وتطرب الأسماع لبدائعها، وتنـــتظم المســـرَّة بفواصلها ومقاطعها، كان واقف البديهة لا يكاد يعمل البيت الواحد إلا بعد الفكرة التامة والتروي البالغ، فإذا أعطى الفكرة حقّها والتروي غايته جاء بما يبذ به أبناء عصره، ويفوق أبناء دهره[1]، وقال اليونيني:" كان أديبا فاضلاً، وشاعراً محسناً نبيهاً، يغوص على المعاني المبتكـــرة فيجيـــد فيها"[2].

وحاكى بدر الدين في كثير من شعره قوة المتقدمين وجزالتهم،ونال إعجـــابهم، ولكـــنَّ الطابع الشخصي، واللون المحلي،والبصمة الذاتية، والخصوصية ظاهرة في شعره أشد الظهور، وتراءت على شعره صورة بيئته وزمانه[3]،ولهذا قال عنه الأديب الصفدي صلاح الدين:" له نظم يروق الأسماع، ويعقد على فضله الاجتماع،كان من شعراء العصر وأدباء الشام" [4].

أما الكتبي صاحب الفوات وعيون التواريخ، فقال:" كان من الأدباء الظِّـــراف، فاضـــلاً نبيهاً وشاعراً مجيداً يغوص إلى المعاني المبتكرة فيجيد بها"[5]، وقال أيضـــاً:"لـــه نظـــم يـــروق الأسماع،ويعقد على فضله الإجماع"[6].

ويتضح من هذا أنَّ بدر الدين كان شعره يلقى قبولاً من الناس، لأنه كان يحسن نظمـــه، ويجمع منه ما بين السهولة والمتانة والعذوبة والرَّشاقة، وهذه الصفات تجذب القرّاء، وتجعلهـــم

([1]) الأربلي: **التذكرة الفخرية:** ص 242.

([2]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134.

([3]) الكتبي: **عيون التواريخ**، 21/ 287.

([4]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 122.

([5]) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليه**، 4/ 287.

([6]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134.

ينشدونه،ويكتبونه ويوردونه [1]، ومن أشهر هؤلاء "فخر الدين ابن الصيرفي"[2] كتب له البدر الذهبي قائلاً:

(المجتث)

قَـــــدْ زِدتَ شِـــــعْري حُسْـــــناً وَزَادَكَ اللهُ سَـــــــــــــــــعْدَا
أورَدْتَـــــــــــهُ بِبيَـــــــــــانٍ فَصَـــــــارَ أحْلَـــــى وَأنْـــــدَى
كَالنَّحـــــــلِ يَجْنِـــــي بِفِيـــــهِ طِـــــلاً، وَيُلْقِيـــــهِ شَـــــهْدَا [3]

وتميز شعر بدر الدين بكثرة المقطعات والنتف،التي تتكون من بيتين اثنين،ومقطوعاته التي تتكون من ثلاثة إلى تسعة أبيات، وهما ضربان من الأبنية الشعرية الشائعة في ذلك العصر، يفرغ فيها ما يعّن له من معنى ظاهر لا يحتاج إلى إطالة وطول نفس، وقد تكون الأبيات رسالة صغيرة فيها مداعبة لصديق أو غيره،وبهذا نوّه ابن أبي الأصبع بالمقطعات، ونصح الشعراء بنظمها قائلاً:" وعليك بالمقطعات فإنَّها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أرشق وأجول، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعبق"[4]، وقد كانت هذه المقطعات جزءاً من ذوق العصر المملوكي، شاعت بين أوساط الشعراء، إذ كانت قريبة التناول في التعبير عما يعتلج قلب بدر الدين من أفكار وعواطف.

ويعدُّ بدر الدين شيخاً من شيوخ مذهب التورية في عصره، شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء، قال عنه ابن حجة:" وأظهر ابن لؤلؤ في عقودها نظماً أمست به منتظمة ومنضدة"[5]،

([1]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 288.

([2]) ابن الصيرفي: هو محمد بن يحيى بن أبي منصور ابن أبي الفتح محيي الدين أبو عبد الله، عاش ما بين (626 – 685هـ)، بدمشق، ودفن بمقبرة باب الفراديس، كان صاحب عشرة، وعلى ذهنه حكايات وأشعار وحفظة صالحة من التواريخ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات** 5/ 210.

([3]) **ديوانه:** 26.

([4]) ابن أبي الأصبع، أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد المصري: **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**،تحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1963م، ص416.

([5]) ابن أبي حجة: **كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام**، ص 3.

وكان بدر الدين يقصدها قصداً في شعره، وهي مذهبه الذي اشتهر به، حيث جلبت عرائس أفكاره، وجعلت بعض شعراء عصره يقلدونه في قولها[1].

ويبدو أنَّ أصل ديوانه جمع في حياته، وأنَّ معظم قصائده ومقطوعاته، قد أشرف على وضع مقدمات قصيرة لبعضها، وذكر المناسبة التي قيلت فيها، ما يوحي أنَّه كان يجمعها بنفسه، و يضيف إليه بخطه ما يبدعه من معان، وصور خلابة حيث قال:" إذا أذكر ما سمحت به القريحة من الغزل في أيام الحداثة، وزمن الصبا جرياً على عادتي في موضع التنبيه على المواضع التي أخذت منها "[2].

أمَّا في العصر الحديث، فقد انقسم الكتَّاب في حديثهم عن شاعريته إلى فئات فهم إما ناقلين لما ورد في مصادر الأدب دون تعليق، وأما بعضهم فتحدث عن شاعريته معتمدين في آرائهم على الموضوعات الشعرية والقوالب اللفظية التي نظم فيها، ومنهم محمد زغلول سلاّم[3]، وعمر فروخ الذي وصفه فقال:" كان ابن لؤلؤ أديباً ظريفاً وشاعراً كثير الصناعة، بارعاً في التوريات،التي تعد مفتاح العصر البديعي، وأكثر شعره في النسيب والوصف"[4].

شعر بدر الدين تميز بشاعرية فنية ذا ت منزع جمالي صرف، يدرك جمال الطبيعة، فيسبر أعماق هذا الجمال ويصوره في أبدع صورة تجعلك تردد أبيات قصائده تمجيداً لهذه الصورة، وتسبيحاً لمبدعها، تراه يسكب ألفاظه في قالب من الرقة والشفافية تتنزل معانيها من ذوق رفيع وحدس مرهف، فقد عاش منذ صغره في ربوع الطبيعة الساحرة، وحفيف الشجر، وخرير الماء، وموسيقا الوجود العذبة التي تصور أبدع الجمال وأعذبه [5].

حظي شعر بدر الدين بإعجاب واهتمام الباحثين في العصر الحديث، بخاصة الأدباء العراقيين الذين حاولوا جمعه من مظانه المختلفة.

([1]) ابن أبي حجة: **كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام**، ص 15.

([2]) الأربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 246.

([3]) انظر، سلاَّم: **الأدب في العصر المملوكي** (الشعر والشعراء)، 3/ (381– 384).

([4]) انظر فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العربي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1997م، ج3،ص 646.

([5]) انظر المدني، **حماة مجد القافية**، الكتاب 10، ص 303.

ويقول إبراهيم لاشين:" ولستُ أشك في أنَّ ديوان شعره كان موجــوداً، ومتــداولاً فــي عصره، وإليه أشار حاجي خليفة[1]، ورأى جزءاً منه حسين محفوظ، ولكنَّه في حكم المفقــود، ونشر محفوظ مجموعة من شعره في مجلة كلية الآداب الصادرة عن جامعة بغداد، العدد الحادي عشر، حزيران عام ألف وتسعمائة وثمان وستين،وقد نقلت هنا ذلك المجموع، وأضفت إليه مــا أمكنني جمعه من شعره" [2]ويقول الدكتور محفوظ:" أطلعتُ قبل من عشرين سنة على نســخة خطية قديمة ناقصة من ديوان البدر، كانت في خزانة صديقنا ناقد الجماعة الشيخ محمد رضــا الخالصي الكاظمي، وهو الذي ميَّز انتسابها إلى الشاعر" [3]، وقال أيضاً: "أما أنا، فقد جمعتُ من شعر ابن لؤلؤ ما تيسَّر التقاطه مما كنت علقت الإشارة إلى مظانه في جزازاتــي، عــدا عــن القصائد التي ظفرتُ بها في أثناء المجموع الجامع من آثار جد والدتي السيد محسن الصائغ،وها هي ذه "[4]، ثُمَّ أخذ النسخة – بالخيار – الصحفي الكتبي، المؤلف المكثر الشيخ علي الخاقــاني، وهي الآن من طرائف ونوادر خزانته، ولا أدري لعله ينوي الاهتمام بإخراجها،وجملة ما في هذا المجموع (236) بيتاً، تكرر منها ستة في ثلاث مقطوعات، وردت في القصائد المطولة "[5].

وهذه المجموعة التي ذكرها حسين محفوظ – هي نفسها – التي ذكرها مصطفى جواد – رحمه الله– في هامش كتابه "تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب" أنها في خزانته محــض ظنٍّ دار في خياله لا سند له من الواقع، وإلا أين الدليل؟ وأين هذا المختصر؟وما الــدليل علــى كونهما نسخة واحدة ؟ [6].

([1]) حليفة، حاجي: مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي (ت1017هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر،بيروت، 1982م، ج3،ص786.

([2]) الذهبي: **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**، ص 5.

([3]) محفوظ، حسين علي: ***شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي***، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد11، حزيران، 1968م، ص 54.

([4]) محفوظ: **شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي**، ص 54.

([5]) المصدر نفسه: ص54.

([6]) انظر الذهبي: **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**، ص (6–7).

وقد واجه إبراهيم لاشين مشكلة في توثيق بعض أبيات البدر في تحقيقه لكتابي "الصفدي"، " لذة السمع في صفة الدمع"، وكتاب "صرف العين وعرض العين في وصف العين"،وتحدث عن هذا الأمر مع زهير غازي زاهد، فقال له:" إنَّ أخي الأستاذ هلال ناجي هو خير من يقدِّم لك المساعدة، ويمد لك يدُّ العون في تحقيق ما أهمّك من تلك النصوص،وتكرّم زهير غازي بإرسال تلك الأبيات إلى هلال ناجي، الذي بعث له برسالة أشار فيها إلى مكان الديوان، الذي نشره حسين محفوظ، ويقول أيضاً:" لا يوجد في الديوان إلا بيتاً واحداً فقط، من كلِّ الأبيات التي بعثت بها إليه"، واقترح عليَّ هلال ناجي "أن أذيل على الديوان بما عندي من أبيات، ومن ذلك الوقت سعيت للحصول على الديوان، وشرعت بجمع شعر بدر الدين من المصادر المتوفرة لديه، ساعدني في ذلك خالد ناجي السامرائي الذي بعث له بصورة من صفحات الديوان"[1]، وقد أثنى زهير غازي على عمل ابراهيم لاشين في جمع الديوان، فقال:" لو كنتُ أعلم بمشروعه في العمل لزودته بعشرات الأبيات مما عندي، وقد نشرت بعضها في كتاب "الكشف والتنبيه".

وقام إبراهيم لاشين بتحقيق ما جمعه في ديوان أسماه "ديوان ابن لؤلؤ الذهبي" الذي صدر عن دار الآفاق العربية عام 2004م[2]، واعتمد على نسخة الديوان التي نشرها حسين محفوظ، وأصدرها في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، تحت عنوان شعر ابن لؤلؤ الذهبي، يبلغ عدد الأبيات التي جمعها حسين محفوظ (236) بيتاً[3]،بعضها ورد في قصائد طويلة، وبعضها على شكل مقطعات ونتف مضيفاً إليها عدداً من الأبيات التي جمعها من كتب التراجم الأخرى التي تؤرخ للناس والحياة.

وهذه النسخة لم تستوف جميع شعر البدر الذهبي، وقد تمكن إبراهيم لاشين من جمع (532) بيتاً، ما بين قصيدة ومقطوعة، وقام بترتيب هذه القصائد حسب حروف المعجم، ورتَّب المقطعات بحسب الأسلوب العلمي المعتمد، فبدأ بالقافية المقيدة، وبعدها القافية المطلقة بالفتح،

([1]) الذهبي: **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**، ص 6.

([2]) انظر المصدر نفسه: ص2.

([3]) انظر **محفوظ: شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي، ع11، ص 54.**

فالضم فالكسر مراعياً أن يكون البدء بالقافية الموصولة بمد، فالموصولة بهاء، ورتبها حسب البحور وفقاً لدوائرها[1].

وقد بذل جامع الديوان جهداً ووقتاً، وتحَّرى في ذلك الدِّقة، ما جعل الديوان على درجة عالية من التوثيق العلمي،وعلى الرغم من ذلك، فإنّ ما ورد في ديوانه هذا، لا يمثل شعر البدر كله، فقد ضاعت من قصائده أبيات كثيرة تشير إليها تلك الأبيات المفردة، والمقطوعات القصيرة التي توحي بأنها بقايا قطع وقصائد أطول مما هي عليه[2]، وهذا يتفق مع ما قاله بهاء الدين الإربلي:" أنَّ له مدائح وأشعاراً كثيرة، وكلها نخب [3]، وتحت وطأة هذا الإحساس دفعت إلى البحث في كتب التراجم والمصادر المختلفة، وتمكنتُ من جمع ما يقارب مائتي بيت من الشعر، ما بين قصيدة ومقطوعة، ذاكرة المناسبة التي قيلت فيها إن وجدت، وقد أفردت لهذه الأشعار فصلاً خاصاً أسميته المستدرك على الديوان.

حادي عشر: وفاته

اتفقت جميع المصادر التي ترجمت للبدر الذهبي على أنَّه توفي في[4]دمشق يوم السبت الثاني والعشرين[5] من شهر شعبان عام ستمائة وثمانين للهجرة [6]، والموافق ألف ومائتين وإحدى وثمانين ميلادية، عن عمر يناهز ثلاثة وسبعين عاماً [7]، ودفن من يومه بمقابر الباب الصغير[8] – رحمه الله –.

([1]) انظر محفوظ : شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي ، ع11، ص5.

([2]) الحموي، تقي الدين أبو بكر علي: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، شرح عصام شعيتو، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1991م ج 2، ص88.

([3]) الأربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([4]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 134.

([5]) ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، 5 / 370. الكتبي: **عيون التواريخ**، 21 / 287. **فوات الوفيات والذيل عليها**،373/4

([6]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 123.

([7]) انظر الترمانيني: **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، 2 / 1081. المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، ق 2، ص 705.

([8]) الباب الصغير: سمي الباب الصغير بهذا الاسم لأنَّه أصغر أبواب دمشق، وصوروا عليه كوكب المريخ. انظر اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**،4/ 134. البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، ص 24.

الفصل الثاني

موضوعات شعر بدر الدين لؤلؤ الذهبي

الأغراض التقليدية

أولاً: المديح

ثانياً: الغزل

ثالثاً: الوصف

رابعاً: الهجاء

خامساً: الرثاء

سادساً: الفخر

موضوعات أخرى

أولاً: العتاب والاستعطاف والشكوى

ثانياً: الإخوانيات

ثالثاً: الألغاز

فنون شعرية مستحدثة

أولاً: الدوبيت

ثانياً: الزجل

الفصل الثاني

موضوعات شعر بدر الدين لؤلؤ الذهبي

الأغراض التقليدية

نظم بدر الدين أشعاراً تناول فيها الأغراض الشعرية المتنوعة: المدح، والوصف، والغزل، والرثاء، والهجاء، والإخوانيات، وبعض الأغراض الشعرية المستحدثة، وسأتعرض لهذه الأغراض بالتوضيح والاستشهاد بما أراه قد وفَّى بالغرض المطلوب على النحو الآتي:

أولاً: المديح

المديح من أكثر أغراض الشعر انتشاراً في مختلف العصور؛ إذ طرق بابه معظم الشعراء، وصالوا وجالوا في معانيه وألفاظه المستمدة من ثقافتهم، ومن بيئتهم العربية والإسلامية، وقد كثر شعراء المديح في زمن بدر الدين،وهو منهم،إذ مدح الخليفة المستعصم، والملك الناصر الأيوبي، ومدح الملك الظاهر بيبرس، وعدداً من الأمراء،في قصائد ومقطوعات شعرية يتجاوز بعضها الأبيات الأربعة، ويبدو أنها كانت قصائد متوسطة.

ويتفق هذا مع شرط النقاد الذين يرون أنّ تكون القصيدة المديح متوسطة الطول، إذا كانت في عظيم ذي شأن خشية سأمه وضجره [1]، وذلك ليس غريباً، لأنَّ المدح ملأ كل حياته، وكان وسيلة الكسب لديه متفقاً في ذلك مع قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –:" خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم"[2]، ومما يشير إلى قوة هذا الباعث قولهم: " لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى ينسكب المطر" [3].

([1]) بدوي، أحمد: **أسس النقد لأدبي عند العرب**، ط2، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1960م، ص 179.

([2]) الجاحظ، أبو عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون،، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961م، ج2، ص101.

([3]) الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي: **أحكام صنعة الكلام**، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966، ص 37.

كان المدح المحمود،هو مدح الإنسان بفضائله المعنوية والقيم الإنسانية النبيلة المعروفة منذ القدم، التي يطيب للنفس البشرية سماعها، وقد حصرها قدامة في" العقل والشجاعة والعدل والعفة" [1].

ويبين ابن طباطبا بأنَّها " خلال مشهورة كثيرة فيها من الخَلق والجمال والبسطة، والخُلق والشجاعة"[2] ويوافق ابن رشيق قدامة، ويضيف إذ قال:" وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة، فإن أضيف إليها فضائل عرضية أو جسمية...، إنما الواجب أن يقول إنَّ المدح بالفضائل النفسية أشرف وأوضح"[3].

ويُعدُّ المديح شكلاً من أشكال انتماء الشاعر الاجتماعي وطموحه وعلاقاته بعلية القوم، والسلطة، ويتضمن تسجيلاً لكثير من الأحداث التي عاصرها [4]، فنشأ المديح عند العرب إعجاباً بالفضيلة وثناءً على صاحبها، وحباً بالجليل من الأعمال، ونادراً ما كان الشعر العربي بعيداً عن السلطة وطموحها [5].

وممدوحو بدر الدين، منهم من هو رفيع المكانة كالخلفاء والملوك والأمراء، ومنهم ما دون ذلك، وقد وقف عند كلِّ ممدوح بما يناسبه من ضروب المدح، لا يتجاوز قدره،وقد نهج بدر الدين في مدائحه نهج القدماء في إبراز المناقب والصفات المعنوية، ليأتي على كلِّ الصفات المستحسنة في ممدوحيه، ورسم صورة مثالية تثير إعجابهم، وتزيد من عطائهم.

([1]) قدامة بن جعفر: **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي مصر، 1963م، ص 115.

([2]) انظر ابن طباطبا، محمد بن أحمد: **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م، ص 12.

([3]) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (ت456هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،، ط3، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م،ج2، ص (128 – 129). الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م، ج3، ص 94.

([4]) انظر عبد المهدي، عبد الجليل حسن: **الحياة الأدبية في بلاد الشام**، ط1، مكتبة الأقصى، عمّان، 1997م، ص51.

([5]) انظر أبو قحافة، أحمد: **فن المديح وتطوره في الشعر العربي**، ط1، منشورات الشرق الجديدة، بيروت، 1962م، ص (28 – 30).

الصفات الدينية

وبدت العاطفة الدينية واضحة في شعر بدر الدين، حيث أضفى الصفات الدينية على

الخليفة " المستعصم بالله"[1]، وهو الإمام الذي أحبته الخلائق، والخلافة جاءته من الله، وإرادة الله لا مردّ لها، وهو المجاهد الحامي لدين الله، المدافع عن الحق وحياض المسلمين، يقول:

(البسيط)

هُوَ الإمامُ الَّذي هَادَ الأنَامُ لَهُ وَهَدَّ رُكْنَ الأعَادِي بَأْسُهُ فَهَدى[2]

وتبرز هذه العاطفة في مخاطبته الملك الناصر، فهو الشجاع القوي،مهيب الجانب، يخافه أعداؤه، إذ جعله يهدم منارة الشرك بعدما ارتفعت، وأمن الناس في دولته من السوء والأذى، يقول:

(البسيط)

حَتَّى هَدَمْتَ مَنَارَ الشّرك حِينَ عَلا مِنْ بَعْدِ مَا شَبَّ في الآفاقِ وَاتَقَدَا[3]

ويرى بدر الدين أنَّ سيرة الملك الناصر لا تشوبها شائبة، فأخلاقه عظيمة يعرفها أعداؤه، يقول:

(البسيط)

فَراشِداً كُنْتَ لِلعَلْيا، وَمُقْتَدِراً عَلَى الأعَادِي، وَبِالرَّحْمن مُعْتَضِدا[4]

([1]) انظر حاشية الرسالة: ص14.

([2]) **ديوانه:** 23.

([3]) المصدر نفسه: ص24.

([4]) المصدر نفسه: ص 24.

النسب والشرف

وقد خصَّص بدر الدين جزءاً من قصيدته في مدح الخليفة المستعصم، فمدحه بالشـــرف والنسب، وهما من المعاني الجليلة في المديح، ومردُّ ذلك اعتزازه بالخلافة الإسلامية والخليفـــة، ويؤكد أن ممدوحه متصل بالرسول الكريم في نسبه، ويقرُ بحقِّ العباسيين بالخلافة، فهم يحتلون مكانة روحية رفيعة عند النّاس، والخليفة عريق النسب، دائم التحلي بهذه الخِلال التي ورثها عن آبائه وأجداده، وما ورثه عنهم من الكرم والشجاعة والرئاسة، وأكثر ابن رشيق من الحديث عن صفات الآباء، فينبغي على المادح أن يذكر أنَّ الممدوح يتحلى بسمات تمتد فيمن قبلـــه، وأنَّـــه ورثها، حتى يكتمل المجد، يقول ابن رشيق:" إنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح بشرف آبائه، والآباء تزداد شرفاً به، فجعل لكل منهم حظاً في الفخر،وفي المدح نصيباً، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين..."[1]،يقول:

(البسيط)

أعْيا شِـعارُ بَنـــي العَبَّـاسِ واصِـفَهُ فَـــلا لِســـانَ يُكـــافيهِمْ وَلا جُهُـــدَا
فَمَـــنْ يُفـــاخِرُهُمْ أوْ مَـــنْ يُســـاجِلُهُمْ يَوْماً وَجَـدُّهُمُ أوْلـــى الغَمـــامَ يَـدَا [2]

والممدوح "المستعصم" خليفة العصر الذي يُرجى عطاؤه،فهو كالسحاب إذا وُزِع أصبح يمطر بغزارة، وامتلأت الدنيا بخيره وإحسانه، وأياديه مبسوطة لرعيته،وقد نعموا بجوده الـــذي أولاه للناس، وكان آباؤه قد تعهدوا به لهم، يقول:

(البسيط)

وَقَـــدْ أقَـــرَّ بِمـــا أوْلَـــوْهُ مِـــنْ مِـــنَنٍ لِـــذاكَ مَهْمـــا أخـــافُوا صَـــوبَهُ رَعَـــدَا
فَأطْلَقَ السُّحْبَ فِي الدُّنيا،وَقَـدْ حُبِسَـتْ فَـــراحَ وَابِلُهـــا مُنْفَجِـــراً، وَبَـــدَا[3]

([1]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 145.

([2]) **ديوانه:** 23.

([3]) المصدر نفسه: ص 23.

ويرى بدر الدين توحدا بين صفات الملك الناصر وآبائه، وهذا نتاج وامتداد طبيعي للأصل الشريف، والنسب الطيب، يقول:

(البسيط)

مَاضٍ يُرِيكَ شُعاعَ الشَّمسِ حينَ بَدَا وَالماءَ فِي نَهْرِهِ المُنْسابِ مُطَّرِدا[1]

ومثل هذه المعاني تبدو في مديح الملك الناصر، إذ وصفه، بأنَّه أولى الناس بالملك لشرفه ونسبه، وشجاعته وبأسه، يقول:

(البسيط)

قَدْ أسْبَغَوا مِنْ عَطَايَا سَيْبِهِم حُلَلاً عَلَيْكَ مَوَشِيَّةً ؛ فَأَرْفُلْ بِهَا جُدُدا
قُدَّتْ عَلى قَدْرِ مَلِكٍ مَاجِدٍ، وَغَدتْ طَرَائقُ الوَشْيِ فِي أَثْنَائِهَا قِدَدا[2]

ولأجل هذه المكانة بعث الخليفة المستعصم رسوله" نجم الدين الباذرائي "إلى دمشق سنة(655هـ)،وأفاض الخِلعة المكللة على السلطان الناصر– رحمه الله – وهي الفرس والطوق المذهب، ومعه تقليد الشرف بالسلطنة، فركب الملك الناصر الخِلعة والإمامية[3]، وكان ركوبه بالخِلعة يوماً مشهوداً، يقول بدر الدين واصفاً ذلك:

(البسيط)

وَقَلَّدوكَ حُسَاماً مَاضِياً فَرَأوا بَدْرَاً بِذَيلِ تَمَامٍ للعُيونِ بَدَا
وَجَاءَكَ الطّرفُ مَجْنُونَاً، وَلا عَجَبٌ لِسَابِحٍ مُسْرِعَاً وَافَى لِبَحْرِ النّدى[4]

وبعد انتهاء مراسم تفويض الملك الناصر، قام رسول الخليفة بتسليم الخِلعة الخليفية للسلطان، وهي من متممات عملية التفويض، وتتكون من عمامة سوداء مزركشة بالذهب، وجبة بنفسجية اللون، وطوق مذَّهب، وقيد ذهب عُمِلَ له في رجله، وعدة سيوف، فلبسها السلطان

([1]) **ديوانه:** 23.

([2]) المصدر نفسه: ص 23.

([3]) الإمامية: نسبة إلى الإمام أو الإمامة، رياسة المسلمين. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 27، مادة " أم ".

([4]) **ديوانه:** 23.

وسار في موكبه [1]،وكان هذا اليوم يوم فرح وبهجة، شاركته فيه مظاهر الطبيعة من نوء، وطير، وشمس، يقول:

(البسيط)

بُشَرى تَهلَّلَتِ الأنْواءُ مِنْ طَرَبٍ وَصَفّقَ الطَّيرُ فِي أغْصانِهِ وَشَدَا
فَاليَومُ مُبْتَهِجٌ، وَالشَّمسُ سَافرَةٌ أصِيلُها فَرَحاً قَدْ خلّقَ البَلَدَا[2]

وبعد استكمال الإجراءات قام السلطان الناصر بتوزيع الخِلع والأعطيات على الأمراء، وأرسل للخليفة ثياباً وفرساً بسرجٍ من ذهب، وألف دينار رسماً للمبايعة [3].

ومدح بدر الدين كتاب التقليد الذي جاءه من الخليفة، بأنه كالشَّجر المجتمع الملتف بكثرة أغصانه، وبدت كلماته حمائم تصدر أصواتاً، ونَّوه بمكانته وأحقيته، وبمناقب الملك الناصر من العزة والفخار والكرم، فقال:

(الكامل)

وَرَدَ الكتابُ فَقلتُ: زَهْرُ خَمِيلَةٍ تَفُتّرُ عَنْ دَمْعِ الغَمام الواكِفِ [4]
مَثَّلْتُ أسْطُرَهُ غُصوناً، فَانْبَرَتْ فِيهِ القَوافي كَالحَمامِ الهاتِفِ[5]

فقد أنجز الدهر في هذا التقليد موعوده، وانهالت عليه مواهب أمير المؤمنين، تقديراً لمكانته وخلقه وشدة بأسه، وهذه المواهب وإن خصته وحده، فإن خيرها سيعم جميع الرعية، قال:

(البسيط)

مَواهِبُ عَمّتْ الدُّنيا بِأنْعُمِهَا مِنْ الإلهِ وَإنْ خَصَّتْكَ مُنْفَرِدَا[6]

([1]) انظر ابن دقماق: **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، 1/ 183.

([2]) **ديوانه:** 23.

([3]) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، دار الكتب، القاهرة، 1970م، ج1، ق2، ص 457. اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 98.

([4]) الواكف: سال الماء وقطر قليلاً قليلا. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 1054، مادة" وَكَفَ".

([5]) **ديوانه:** 61.

([6]) المصدر نفسه: ص 23.

وقد خاطب بدر الدين ممدوحه الملك الناصر بمثل ما يخاطب المحبوب والصديق،فهو ينعم بالأمان والاطمئنان بقربه، يقول:

(البسيط)

وَسَوفَ تَحْظَى بِضِعْفي مَا حُبِيَتْ بِهِ وَإنَّمَا أوَّلُ السَّيلِ الأتِيِّ[1] نَدى[2]

الشجاعة

تغنَّى بدر الدين بشجاعة الملك الناصر في ساحة المعركة، وذكر بأسه وشدته،وقد صاحبه النصر لقيادته الحكيمة،، معتصماً بحبل الله تعالى، يذود عن حمى الإسلام والمسلمين، ويحمي حياضهم،ويقضي على أعدائهم، وكانت سيوفه التي تخضبت بدماء أعدائه، بروقاً لامعة في وسط الظلام،قهرت أعداءه، يقول:

(البسيط)

لَكَ المَواقِفُ فِي الهَيْجَاءِ قُمْتَ بِهَا مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ مُجْتَهِدَا
وَلِلْبُروقِ وَميضٌ فِي الغَمَامِ حَكَى تَحْتَ العَجَاجِ سُيوفَ النَاصِرِ القُضُبَا[3]

ويشير الشاعر إلى ما وصل إليه الممدوح من المهابة، التي مكنته من الإمساك بزمام المُلك، والقضاء على أعدائه، علماً أنّ مكانته قبل ذلك كانت في خطر، فقال:

(البسيط)

خَبَا سَنَاهُ، وَلَولا أنْ يَفِيضَ عَلَى لَظَاهُ مَاءُ الحُسَامِ العَضْبِ مَا حَمِدَا[4]

ومدح الملك الظاهر بيبرس لمّا خاض الفرات (671هـ) بنفسه، فألقت العسكر بنفسها خلفه، ووقع على التتار، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم بالمئات،فقال مفتخراً بانتصار جنود الله على التتار، ومثنياً على الملك الظاهر[5]:

([1]) الأتِيِّ: السيل المتدفق، وسهّل له مجراه إلى مقره. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 1/ 70، مادة" أتى".

([2]) **ديوانه**: 24.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 176.

([4]) **ديوانه**: 24.

([5]) انظر ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 7/(159- 160). أمين، بكري شيخ: **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، ص 93.

(مجزوء الرمل)

مَنَعـــــوا جانِـــــبَ الفُـــــرا ت بِحَـــــــــدِّ الصَّـــــــــفَائحِ
كَيْـــــفَ تحمونَـــــهُ وَقَـــــدْ جـــــاءَهُمْ كُـــــلُّ سَـــــابِحِ [1]

ولم يكن شعر بدر الدين هذا مدحاً بقدر ما كان شعراً حماسياً ينطوي على وصف لمعركة الفرات، وتصوير البطولات، ووصف ساحة المعركة وصفاً حيَّاً، وكأنه مراسل حربي، يصور الخيل والجند، وهم متحفزون للقتال، وقد تدافعت الخيول فوق سطح اليم، كالموج يمخر عُباب البحر بسرعة حتى كأنَّها بدون قوائم[2].

لقد أثارت شجاعة الظاهر بيبرس عاطفة بدر الدين، إذ رآه يمضي على مطيته إلى الجهاد معتزاً بشجاعته وقوة بأسه، مدافعاً عن حياض الأمة، قال عنه الشعراء:" إنّه الملك الذي تزينت الممالك باسمه، وهو الذي أخاف أعداءه، وكسر شوكتهم، وأذاع الذكر في أرض أعدائه، كما أشاع الأمن في ربوع بلاده"[3].

الكرم والجود

ومن الصفات التقليدية التي ألح عليها بدر الدين صفة الكرم والجود، التي تمتع بها الملك الناصر، وصوّر الناس في عهده وقد نعموا بجوده ومكارمه، فهي كثيرة لا تعدُّ ولا تُحصى، يقول:

(البسيط)

لَـــهُ يَـــدٌ لا عَـــدِمْنَاهَا يَفِـــيضُ بِهـــا بَحْرٌ فَلَـــمْ ذَا يُبَـــارِي جُودُهَـــا السُّـــحُبا
يَـــدٌ تَلاقَـــتْ يَراعـــاتٌ بِهـــا وَفتـــىً أنّى تُجَاري وَحَـــازتْ ذلِـــكَ القُصَـــبا[4]

([1]) انظر الرسالة: ص 15.

([2]) انظر أبو الخير: **الشعر الشامي في مواجهة الصليبين**، 2/(248 -283).

([3]) انظر ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 7/ (159- 160).

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 176.

فعطاؤه موصول للقريب والبعيد، ولهذا اختار له صورة البحر، وهي صـــورة تقليديـــة سبقه إليها الشعراء، وألصق أدوات الكرم يده المانحة، فهي أسخى وأسمح من المطـــر، فتعبيـــر "عطاياك" و"أجاجاً" تدلان على كثرتها وتتابعها، والفعل " أحصى" يدل على كثرة العطايا، وقـــد عمت مكارمه حتى عجزت الأقلام عن الإحاطة بها، يقول:

(البسيط)

قاسُوا عَطَايَاكَ بِـــالبَحْرِ الخِضَـــمِّ فَمَـــا ألْفَـــوهُ إلا أُجَاجَـــاً عِنْـــدَهَا ثَمَـــدَا[1]
لَوْ كُنْتُ أُحْصِـــي أيَادِيهَـــا، وأحصُـــرُهُا وَالبَحْرُ عِنْدي مِدَادٌ، مَا وَفَـــى مَـــدَدَا[2]

وبلغ نعيم الناس في دولته، بأن تحققت أمانيهم، وأدركوا آمالهم ومطالبهم، فلو كانوا في مفازة صحراوية لا مأوى فيها، فإنَّ الممدوح يعد إبلهم بالحماية في مرعاها، إن ضعُفت وكلّت، يقول:

(الكامل)

فَـــإذا هَـــوى بِـــكَ مَنْـــزِلٌ مُسْـــتَوبِلٌ رَفعَتْـــكَ هَـــوجُ الـــيَعْملاتِ[3] الوُضَّـــعِ
عِدْهَا الحِمى إنْ أرْزَمَـــتْ[4] وَإذا وَنَـــتْ فَإلى جِنابِ ابـــنِ العَزيـــزِ المُمَـــرعِ[5]

وتحدث بدر الدين عن اتصاله بالملك الظاهر بيبرس،فقد ألبسه ثوب الفخار، وقربَّه منه، وأجزل له في العطاء، يقول:

(المتقارب)

رَدَدَتَ الحَـــوادِثَ عَنّـــي، وقَـــدْ وَهَتْنـــي كَتائِبُهـــا، وَالجُنـــودُ[6]

([1]) ثَمَدَا: قَلَّ. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 100، مادة "ثَمَدَ"

([2]) **ديوانه**: 24.

([3]) اليعملات: نوع من الإبل النجيبة المطبوعة على العمل، ولا يقال إلا للأنثى، انظر ابن منظور: **لســـان العـــرب**، 9 / 462، مادة " عمل". الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح بتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، القاهرة، مكتبـــة الآداب، 1999م، ج3،ص 287.

([4]) رزمَ: ثبت على الأرض. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 342، مادة "رَزَمَ".

([5]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 172.

([6]) انظر الرسالة: ص 16.

وعلى ما يبدو فإنّ غرض المديح عند بدر الدين، جاء بهدف التكسب غير المباشر، حين ركّز على صفة الجود والكرم في نهاية قصيدة المديح،ومردُّ ذلك إلى ما يتمتع به بدر الدين من عزة النفس والكرامة، وأنفة من ذلِّ السؤال والطلب الصريح، يقول:

(البسيط)

مُؤَمِّلُ الرِّفْدِ فِي لَيْلَى سُرىً وَقِرىً وَنافِذُ الأمرَ فِي يَوْمَيْ نَدى وَرَدَا
وَلا بَرِحْتَ لِمُرتادِ النَّدى عَلَماً يَزينُ بيتَ قَصيدٍ، أوْ لِمَنْ قَصَدَا[1]

ويبدو أنَّ صلة بدر الدين بالأمراء كانت أوثق من صلته بالخلفاء والملوك، إذ لم يكن من الميسور دائماً أن يحظى بلقائهم والدخول عليهم، وقد حلَّ من بعض الأمراء محل الأخ والصديق،وجعل منهم مشاعل تضيء في الكرم، وسيوفاً مشرعة على الأعداء، وصوّر بعضهم ربيعاً يجلب النوء والزهر على الدنيا، ومنهم الأمير: شرف الدين[2]، فقال:

(البسيط)

يَا سَيِّدي شَرَفَ الدينِ الجوادَ أتَتْ إلَيكَ أَبْكارُ أفكاري ولَمْ تَقِفِ
فَهاكَ ألفاظَها إنْ لَمْ تَكُنْ دُرَراً فَإنها أنجُمٌ سارَتْ إلى الشَّرَفِ[3]

الدُّعاء

ومن معاني المديح الدُّعاء للملك الناصر، فقد جاء به الشعراء – في معظمه – في خواتيم قصائدهم، وهذا ما دعا إليه النقاد، فقال ابن رشيق:" وقد كره الحُذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لأنَّه من عمل أهل الضعف، إلا للملوك؛ لأنهم يشتهون ذلك "[4]،يدعو لهم بالسؤدد والتمكين، ورفعة والنصر، وطول العمر، يقول:

([1]) **ديوانه:** 24.

([2]) شرف الدين: هو أحمد بن محمد بن الحلاوي، ولد سنة (603هـ)، شاعر برز في حلبة الأدب، ورمى أغراض البيان فأصاب، توفي سنة(656هـ)، انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 1/ 143. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، 5/ 274.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 182.

([4]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 241.

(البسيط)

فَاعْمَــدْ لِمَجْــدِكَ شَــيِّدهُ فَــإنَّ لَــهُ مِنَ السُّــيوفِ أساســاً، وَالقَنــا عَمَــدَا
وَاسْلَمْ لِراجي نَداكَ الجَــمِّ فِــي دَعَــةٍ مَا حَثَّ حادي عِيسٍ عِيسَــهُ وَحَــدَا[1]

الصفات المادية

أما الصفات المادية، فقد قلل النقاد من شأنها، وبعضهم أنكرها، لتركيزهم على الفضائل المعنوية عند الممدوح[2]،وتعرض بدر الدين لهذه الصفات، وهي قليلة في شعره، واقتصر مديحه على جمال الملك الناصر الذي شبهه بالقمر في ليل داجٍ، يقول:

(الكامل)

طَلَعْــتَ بَــدْرَاً بِــداجِي لَيلِهَــا وَبَــدَتْ كَواكِبُ الــذَّهَبِ القَــاني بِهَــا بَــدَدَا[3]

المديح النبوي

المديح النبوي قسم من أقسام المديح العام الذي عُرف في الأدب العربي،وقد تحول إلــى فن شعري ازدهر وانتشر في العصر المملوكي،له أصوله وقواعده، وله شعراؤه الــذين وقفــوا شعرهم عليه، وله مريدوه الذين انفعلوا به، فكان سميرهم في مجالس العلم والشــعر، ووســيلة التعبير عن مشاعرهم وآمالهم، واسترجاع السيرة النبوية، والتغني بالشمائل التــي تميــز بهــا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)[4].

قال بدر الدين في المديح النبوي شأنه شأن غيره من شعراء عصره، الذين وجدوا لزاماً عليهم القول فيه، وقد شاع هذا اللون من الشعر بخاصة في العصر المملوكي بســبب اجتيــاح

([1]) **ديوانه:** 24.

([2]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 135.

([3]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 142.

([4]) انظر أبو شيخة، عبد الرحيم طلال: **/المدائح النبوية في شعر الدولتيْن الزنكية والأيوبية وأثرها في العصور اللاحقة** (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الخليل، خليل، 2005م، ص 67.

التتار الشرق الإسلامي، وما عانته الشعوب من ويلات الحروب الصليبية، وتفشي الفساد والخوف[1].

وجاء هذا اللون من الشعر توسلاً بالنبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وتقرباً إلى الله تعالى، تعلوه مسحة عاطفية لرؤية تلك البقاع، مهبط الوحي، والتحليق في تلك الربوع ما يعيد إلى الأذهان تلك الأمجاد، وكأن بدر الدين بحنينه إلى زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإعجابه بشخصيته، وتوسله إليه، وسيلة لحدوث معجزة الانتصار على العدو[2].

ويبدو أنَّ بدر الدين نظم قصيدة نبوية واحدة، على البحر الكامل، وقد كانت من القصائد الطويلة، علماً أنَّ المصادر والمخطوطات القديمة لم تُثبت إلا جزءاً منها، ويعتقد أنّه قالها وهو في رحلته إلى بيت الله الحرام، قال في مطلعها:

(الكامل)

حَثُّوا الرِّكابَ وَأَخْلَفوكَ المَوْعِدا وَغَدوا بِقَلبِكَ فِي الحُمُولِ مُقَيَّدا
تَرَكُوكَ وَالعَمَلَ الطويلَ مُكَابِدَاً شَوقَاً أَقامَ القَلْبَ مِنْهُ وَأَقعَدا[3]

بدأت قصيدة المديح النبوي بنسيب تقليدي ليس كأي نسيب، لأنَّ الموقف بين يدي الرسول، هو موقف عظيم، يتطلب حشمة ووقارا، قال ابن حجة:" إنَّ الغزل الذي يتصدر هذا المديح، يتعين على الناظم فيه أن يحتشم ويتأدب ويتضاءل ويشبب مطرباً بذكر السلع، والعقيق والغوير، ولعلع وغيرها، فيطرح فيه محاسن المرء والتغزل، وقل مَنْ يسلك هذا الطريق من أهل الأدب..."[4]، وأخذ يتجول بين أطلال منزل الحبيب حيث كان يخيم الأنس والنعيم، ويحوم الحمام، ويغرِّد بأعذب الألحان، نحو قوله:

([1]) انظر الفقي، محمد كامل: **الأدب في العصر المملوكي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص 134. محمد، محمود سالم: **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، ط1، دار الكتاب المعاصر، بيروت، 1996م، ص 478.

([2]) انظر شبيب: **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، ص 46.

([3]) **ديوانه:** (24 – 25).

([4]) ابن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 2/ 11.

(الكامل)

ما وَدَّعوا بَلْ أَوْدَعُــوا فِــي مُهْجَتِــي نــاراً أَبَــتْ مِــنْ بَعْــدهِمْ أنْ تخْمُــدا
حَيَّــا رُبُــوعَهُمُ الغَمــامُ، وَإنْ نــأَوْا وَسَــقى مَعــالِمَهُم بِبُرقِــةَ ثهْمَــدا
رَقَّتْ لَهُ ريــحُ الصَّــبا، وَبَكَــى الغَمــا مُ لَــهُ وأسْــعَدَهُ الحَمــامُ ؛ فعَــدَّدا [1]

يبدو أنَّ بدر الدين قد جرَّد من نفسه أشخاصاً يوعز إليهم التوجَّه معه إلى تلك الــدِّيار، لعلهم يؤانسونه في سفره الموحش، وأبرز مجموعة من العناصر الأساسية التي تعتمد عليها هذه الرحلة، وما فيها من عناء ومشقة،أولها– الإبل، فشوقه لا يقل عن شوقها، يقول:

(الكامل)

وَالعيسُ مِنْ شَوْقٍ وَسَــوْقِ دُمُوعِهــا فِي الخَدِّ ممّــا سَــالَ فِيــهِ تَخــدَّدا [2]

ومثله حادي الإبل، الذي يرتجل ما يقول دون إعداد سابق، ويطرب الركب، يقول:

(الكامل)

يَبْكــي وَتُطْرِبُــهُ الحُــداةُ فَيَنْثنــي مُرنَّحــاً كَالغُصــنِ بَلَّلــهُ النَّــدى

وحركت عواطفه الدينية، فانساب على لسانه شعر يذوب منه الشوق [3]،والحبُّ إلى تلك البقاع، ويخاطبهم متضرعاً أن يحملوا منه نظرة إلى حمى الرسول الكريم غداة رحيلهم، وفــي ذلك مناسبة ميمونة لمناجاته والطلب إليه، ضارعاً إلى الله تعالى أن يكون هذا الطلب وسيلة من الرسول لصرف البلاء، وتفريج الكروب[4]، فقال:

(الكامل)

سَاقوا الفُؤادَ وَخَلَّفــوا المُضْــنَى بِهِــمْ فِــي الــدّارِ يَنْــدُبُ رَسْــمَهَا المُتأَبِّــدا

([1]) **ديوانه:** 24.

([2]) المصدر نفسه: ص24.

([3]) انظر صيّاد، حسين خضر حسن:**أهنا المنائح في أسنى المــدائح** "شهاب الدين محمود بن سليمان بــن فهــد الحلبــي (725هــ)، جامعة الخليل، 2002م، ص 39.

([4]) انظر شبيب: **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، ص 127.

سُــكَّانُ أحْنَــاءِ الضّــلوعِ حَــدَا بِهِــمْ حــادي المَطَايــا، أمْ بِقلبــي حَــدَا؟[1]

ولعل محطات السفر في الطريق إلى تلك الديار المقدسة، تشكل عنصــراً آخــر مــن عناصر هذه الرحلة، وتعدُّ في الحقيقة قاموساً غنياً، يرسم للباحثين خريطة جغرافيــة لخطــوط الرحلة، وطرائقها في تلك الحقبة [2]، ويظهر تعلقه بتلك الديار وأهلها،، وحنينه الدائم لها، نحــو قوله:

(الكامل)

يَبْكــي إذا ذَكَــرَ العَقيــقَ بِمثلِــهِ وَيظَلُّ يُنْشِدُ أهْــلَ بُرقَــةَ[3] مُنْشِــدا[4]

ثانياً: الغزل

ارتبط شعر الغزل بالإنسان منذ بدء الخليقة، كونه يحاكي مشاعره وعواطفه ويعبر عن فطرته البشرية التي أودعها الله تعالى فيه " ويعني وصف محاسن المحبــوب، والتعبيــر عــن عاطفة الشوق، ووصف حال المحب والتودد للحبيب "[5].

والغزل من الأغراض التقليدية التي أكثر الشعراء من النظم فيها، بدءاً مــن العصــر الجاهلي ووصولاً إلى هذا العصر، لما يوجده ذكر المرأة من راحة وسكن للشاعر، وقــد كــان الشاعر بدر الدين ممن قالوا فيه، وقد تنوعت قصائد الغزل عنده، بــين قصــائد ومقطوعــات، ومطالع غزلية في قصائد الوصف والرثاء، ويغلب على مقطوعاته طــابع القصــر، وإن كــان بعضها لا يمكن الجزم بعدد أبياتها، والبت بوصولها سالمة من غيــر حــذف أو اختيار،وهــذه المقطوعات الغزلية حصيلة تجربة من الوجد والشوق، وتدفق للمشاعر.

([1]) **ديوانه:** 25.

([2]) انظر محمد: **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، ص 478.

([3]) برقة: بالضم. أصل البُرقة في الكلام الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان، وموضع من نــواحي اليمامــة. انظــر الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، 1/ 464.

([4]) **ديوانه:** 25.

([5]) الهيب: **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء**، ص 111.

وانقسم الغزل عند بدر الدين إلى غزل بالمرأة، وتغزل بالغلمان، وهو لم يكن بمنأى عن شعراء عصره وما طرقوه من معانٍ غزلية، ليست مستحدثة في الغالب بل مستمدة من معـــاني الأقدمين وأخيلتهم [1].

ولعل الغزل والنسيب أكثر انسجاماً مع شاعرية بدر الدين من الأغراض الأخـــرى، إذ قالهما طمعاً بجمال، فبرزت ذاته على حقيقتها أمام موضوع الجمال، ولوعة الجـــوى، ويبـــدو شعره ممتلئاً بالحيوية المستمدة من شعوره الصادق، فالغزل عند قدامة بن جعفر " هو التصـــابي والاستهتار بمودّات النساء... وتجانس موافقاتهن" [2]،ويرى أحمد بدوي:" أنَّ الغزل في أصـــله حديث إلى النساء، والنسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحاً وحبَّاً عفيفاً، وأن يتحـــدث عما ينسب إلى المرأة من ديار وآثار"[3]، وبهذا يتفق بدر الدين مع النقاد الذين يرون أن "حـــقَّ النسيب، أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كَزٍّ ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، يطرب الحزين، ويستخفُّ الرصين"[4].

واستهل بدر الدين قصائده بالغزل، وتذكر الأيام الجميلة التي قضـــاها مـــع محبوبتـــه، يتخللها استعطاف وأمل بالرجوع، يقول:

(البسيط)

لَوْ بَلَّغَ الشَّوقَ هَـــذا البـــارِقُ السّـــاري أوْ بَعضَ وَجْدي الَّذي أُخفِي وَتَـــذكاري
مَا بِتُّ أرْعَى الدُّجَا شَـــوقاً إلـــى قَمَـــرٍ وَلا مُعَنّـــىً بِطَيْـــفٍ طـــارِقٍ طَـــارِي[5]

وعلى الرغم من قلة النساء في شعر بدر الدين، فهو لم يذكر اسماً لمحبوبة بعينها إلا في مقطوعة واحدة، ذكر فيها اسم لبنى، ويبدو أنّه جاء بهذا الاسم خفيفاً على لســـانه، حلـــواً فـــي فمه،ليحدث مجانسة مع لبنان، شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء الذين يعتمدون أسماء ليكنُّوا

([1]) انظر بدوي: **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ص 91.
([2]) **قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 134.**
([3]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 139.
([4]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 116.
([5]) **ديوانه:** 39.

بها عن محبوباتهم حقيقة كانت أم خيالاً،وحلَّت على ألسنتهم نحو ليلى، وسلمى، وهند،ولبنى وأشباهن، فقال:

(البسيط)

ذَكَرْتُ عَيْشاً عَلى لُبْنَانَ جَدَّدَ لِي مِنْ عَهْدِ لُبْنَى صَبَابَاتِي، وَأوتَارِي[1]

ولعلَّ أهمَّ ما يميز غزل بدر الدين، تلك العذوبة والرقة، التي تظهر في ألفاظه ومعانيه، يقول:

(الرمل)

وَرَشِيقٍ قَدُّهُ بَلْ رَاشِقٌ لَحْظُهُ قَدْ مَلأَ القَلْبَ سِهَامَا
وَغَرِيرٍ مَا نَضَا عَنْهُ تَمَا ئِمَهُ إلا حَكَى البَّدْرَ التَّمَامَا[2]

وشأن بدر الدين شأن من سبقه من الشعراء، فقد استعان بحمام الأيك ووجده وحزنه الشديد، فجعل يخاطبها بلسان الشكوى، والغرام، ويغامزها بعين البلوى والهيام، وهي تطارحه الأحزان والأشجان، ويطلب منها كتم حبّه، فهو عاشق يحافظ على محبوبته، وعلى حمام الأيك أن يساعده في الوصول إليها، يقول:

(السريع)

أهْدَى حَمَامُ الأيكِ شَجْوَاً؛ فَنَاحْ وَلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَ سِرٍّ؛ فَبَاحْ [3]
أليسَ أنّي قَدْ كَتَمْتُ الَّذي مَا فيَّ مِنْ سُكْرٍ هَوَى وَهْوَ بَاحْ؟
وَمَا عَلِيهِ مِنْ جُنَاحٍ إذا أعَارَنِي نَحْوَ حَبِيبِي جَنَاحْ[4]

والمحبوبة تطلب إليه الصبر والمواثيق على حبهما، ولكنه ترك قلبه لديها، وهو أشدُّ أنواع المواثيق، يقول:

([1]) **ديوانه:** 40.

([2]) المصدر نفسه: ص 75.

([3]) انظر الصفدي: **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ص 58.

([4]) **ديوانه:** 18.

(الكامل)

وَأحَلْتَهُ مِنْ بَعْدِ تَسْويفٍ عَلَى الصَّـ بْرِ الَّذي لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَواقِي
وَطَلَبْتَ مِنِي فِي هَواكَ مَواثِقاً وَالْقَلْبُ عِنْدَكَ فِي أشَدِّ وَثاقِ [1]

هذه مشاعر بدر الدين ولوعاته، إنَّه دائم الشكوى لإعراض محبوبته، ومرارة اللوعة من الحرمان، يهيم فيكتم ويشكو ويتذمر،وكلَّما اقترب إليها، زادت بعداً وجفاءً، وهو يجد لها عذراً في كلِّ مرة [2]، يقول:

(البسيط)

فَكَمْ أوَارِي غَرَاماً مِنْ جَوَى وَأسَى زِنَادَهُ تَحْتَ أثْنَاءِ الحَشَا وَارِي [3]

ويقول أيضاً:

(الكامل)

يَجْنِي عَلَيَّ بِصَدِّهِ فَأُرَتِّبُ الـ عُتْبَى لَهُ حَتَى أرَاهُ ؛ فَأدْهَشَا [4]

ويفصح عمَّا سببَّته له من وجدٍ وضنى،ويطلب إليها أن ترفق به، فهو ما زال يطلب ودَّها،على الرغم من الأسى والحزن، يقول:

(المنسرح)

رِفْقَاً بِقَلْبِ المُتَيّمِ الْدَّنِف أذَبْتَهُ بِالأسَى،وَبِالأسَفِ
قَدْ صَيرَتْهُ يَدُ الضّنَى غَرَضَاً لأسْهُمٍ مِنْ جُفُونِكَ الْوُطُفِ [5]،[6]

([1]) **ديوانه:** ص63.

([2]) انظر حسين، خردو سنور علي: **التصوير الفني للغزل في الأدب العربي**، ط1، 1989م، ص 101.

([3]) **ديوانه:** 39.

([4]) المصدر نفسه: ص 51.

([5]) الوطف: كثرة شعر الحاجبيْن والعينين والأشفار مع الاسترخاء والطول. انظر، أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 1042، مادة (وطف).

([6]) **ديوانه:** 62.

ويبدو أنَّ الشاعر متعلق بمحبوبته تعلقاً شديداً، وبهذا يعبر عن حبٍّ حقيقي، فهو إذا تحدث عنها كلّ جوارحه تتحدث، لا ينسى محبوبته التي بعدت عنه، ولم يزده البعد إلا شوقاً ولهفة،، يقول:

(الكامل)

فَارْفِقْ بِقَلْبٍ فِيهِ مَا يَكْفِيهِ مِنْ فَرْقِ الصُّدُودِ؛فَلا تُرِعْ بِفُرَاقِ
فَحَرَارَةُ الأَنْفَاسِ قَدْ دَلَّتْ عَلَى مَا في الحَشَا مِنْ لاَعِجِ الإِحْرَاقِ[1]

وهو بهذا يركز على تصوير قسوة قلبها وبخلها في الحب،والصدِّ، قال ابن رشيق:" العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطبة"[2]، يقول:

(الطويل)

يُكَابِدُ مُرَّ الشَوقِ بَعْدَ رَحْيلِهِم وَفَرْطَ التّشَكّي، وَالْحَنِينَ المُوجِّعِا
تَوَلَّى، وَأَبْقَى فِي الجَوانِحِ حُرْقَةً وَأَوْدَعَ قَلْبِي حَسْرَةً حَيْنَ وَدَّعَا[3]

والشاعر يعيش في مجتمع يكثر فيه العُذال، وهؤلاء أمرهم عجيب،يلومونه على حبّه، وينغصون عليه عيشه، ويسلبونه نعمة الحبِّ، فهو لا يرى جدوى من لومهم له، لأنَّ الحبَّ قد ملأ عليه قلبه، فهو وحده يحب ويعاني في حبّه، وهم لا يعرفون مقدار حبّه،ولا يعانون مثله، يقول:

(الكامل)

أَشْقِيقَ بَدْرِ التِّمِّ، طَالَ تَلَهُّفِي وَأَطَالَ فِيكَ العَاذِلُونَ شِقَاقِي [4]

وقال أيضاً:

([1]) **ديوانه:** 64.

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 124.

([3]) **ديوانه:** 56.

([4]) الكتبي، **فوات الوفيات والذيل عليه**، 4/ 368. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 29/ 281.

(الكامل)

فَالعُمرُ أقْصَـرُ،وَالعَذولُ عَلَـى الهَـوى أدْنَى، وَأحْقَـرُ أنْ يُطَـاعَ وَيُخْتَشَـى[1]

ويصور في غزلياته زيارة محبوبته له ليلاً بعد نيام الرُّقباء، وكان لقاؤهما حاراً، فيه عتاب وشكوى ودموع، ومع انبلاج نور الصباح، نراه فزعاً خوفَ انكشاف أمره، ولم تغب مناظر الطبيعة التي احتضنت حبَّه، فكانت جزءاً منه تشاركه أحاسيسه، يقول:

(الطويل)

فَبِـتُّ أعَاطِيـهِ الحَـدِيثَ مُنمَّقَـاً وَبَاتَ يُعَاطِينِي العَتِيـقَ[2] مُشَعْشَـعَا[3]
إلى أنْ دَعَا دَاعي الفَـلاحِ وَلَـمْ يَكُـنْ سِـوَى أنّـهُ دَاعٍ عَلَـى شَـمْلِنَا دَعَـا
وَلَـمْ أدْرِ أنَّ الصُّـبْحَ كَـانَ مُرَاقِبَـاً لَنَا مِنْ وَرَاءِ الْلَيَّـلِ حَتّـى تَطَّلَعَـا [4]

ويتمنى الشاعر أن تعود أيامه، ويلتقي بمحبوبته لتنطفئ نيران الشوق والوجد والألم في صدره، يقول:

(الكامل)

سَـأقِيمُ بَعْـدَكَ فِـي الـدِّيارِ بِعَبْـرَةٍ تَشْـفي لَـواعِجَ قَلبِـيَ المَصْـدُوعِ[5]

والتسلي بالبكاء يجده متنفساً لبث همومه أمام رحيل محبوبته، وابتعادها، لعله يجد عذراً أمام نفسه،ودموعه تسعفه، يقول في هذا المعنى:

(الكامل)

أتَـرَى الزَّمَـانَ يَـرُدُّ مَـنْ أحْبَبتُـهُ لِيَقَـرَّ قَلْبِـي، أوْ يَقِـرَّ وُلُـوعي؟
أبْكِـي عَلَـى عَـيشٍ قَطَعْـتُ وَإنّمَـا أبْكِـي لِحَبْـلِ وِصَـالِنَا المَقْطُـوعِ[6]

([1]) **ديوانه:** 52.

([2]) العتيق: الخمر: إذا تركها لتقدم وتطيب، فهي معتقة. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 582، مادة"عتّق".

([3]) مُشعشعا: الشراب: مزجه بقليل من الماء. انظر المصدر السابق، 1/ 485، مادة (شعشعَ).

([4]) **ديوانه:** 57.

([5]) المصدر نفسه: ص 58.

([6]) المصدر نفسه: ص 58.

وصف بدر الدين محاسن المرأة الجسدية من قوام معتدل، وخد وردي، وخصر رقيــق، ووجه مشرق، ولكنّه كلّما اقترب من المرأة،فإنّه يلتقط صوراً أكثر تفصيلاً العيــون الكحيلــة، وجمال الثغر، وطيب رائحته،وجمال الأسنان.

العيون

تغنّى بدر الدين بعيون محبوبته،وأبدع في تصويرها، فلحاظها سهام حادة في ســحرها، تصطاد من ينظر إليها، يقول:

(الكامل)

وَقَرِيــبُ عَهــدٍ بالنِّصــالِ، مُفَوِّقَــاً سَــهْمَاً بِأهــدابِ العُيــونِ مُرَيَّشَــا
كَــمْ عُدْتُــهُ لَمَّــا رَأيــتُ جُفونَــهُ مَرْضَى، وَذَاكَ الصَّدَّغُ مِنهُ مُشوّشَــا[1]

وقد زارها لمّا رأى عيونها مريضة، وقد أصيبت بألم شديد.

ومما زاد عيون محبوبته جمالاً،أن تكون ناعسة مسترخية الأجفان، يقول:

(الرمل)

بِجفــونٍ بــينَ مَرضــى نُعَــسٍ مُذْ سَلَبْنَ النَّــومَ عَنِّــي وَالسَّــقاما [2]

الخدود

هي كالوردة نعومة واحمراراً، دلالة على حسنها وخجلها،ملســاء أســلة،تحاكي الــورد الأبيض في بياضه المشرب بالحُمرة،وفمها وأسنانها مثل زهر الأقاح في نصاعتها، يقول:

(السريع)

وَالخَــدُّ قَــدْ أطْلَــعَ وَرْدَاً بِهَــا وَالثغــرُ قَــدْ فَــتّحَ فَيهــا أَقَــاح [3]

([1]) **ديوانه:** 51.

([2]) المصدر نفسه: ص74.

([3]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص244.

ويرتقي بدر الدين بالصورة حتّى تصبح خدود محبوبته جنَّة فيها ما يشتهيه،وتفاحاً أحمر يشبه احمرار خدودها، يقول:

(السريع)

وَوَجَنَّـــةٍ بَـــلْ جَنَّـــة زُخْرِفَـــتْ قَـــدْ أَيْنَـــعَ التُفَـــاحُ فِيهـــا وَفَـــاحْ [1]

ومما زاد خدَّ محبوبة بدر الدين جمالاً حبة الخال على خدِّها، يحسبه من شـــدة ســـواده عيوناً، فقد طبع على خدٍّ رقيق أملس، يقول:

(البسيط)

لا تَحْسَبوا شـــامَةً فِـــي خَـــدِّهِ طُبِعَـــتْ عَلَـــى نُضَـــارَةِ خَـــدٍّ رَاقَ مَنْظُـــرُهُ[2]

يستحسن بدر الدين الخال الأسود في الوجه الأبيض، وهو في خدِّ محبوبته مظلم كظلام فراقها، وكالصبح حال وصالها، والخمر التي تفوح منه رائحة المسك، ويقول مبدياً ذوقه:

(الرمل)

وبَـــدَا فِـــي خَـــدِّهِ الخـــالُ، فَقُـــلْ: خَمْرَةٌ صـــارَ لَهـــا المِسْـــكُ خِتامـــا[3]

الوجه:

أما وجهها، فمجمع الحسن، مشرق بهيّ كالروض الجميل في رقته وبهجته، يقول:

(السريع)

يُبيحنـــــي مِـــــنْ وَجهِـــــهِ رَوضـــــةٌ مَا كَانَ فِـــي ظَنّـــي بِهَـــا أَنْ تُبَـــاحْ[4]

([1]) السيوطي: **جنى الجناس**، ص 256.

([2]) الأزهري، **مستوفى الدواوين**، 2/ 237.

([3]) **ديوانه**: 75.

([4]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 244.

الفم والأسنان والريق:

وركّز بدر الدين على فم محبوبته في دقته ونعومته،فهو يشبه الجوهرة الثمينة، وهي صاحبة ألفاظ ساحرة، يقول:

(السريع)

وَجَوهَرِيِّ الثَّغْرِ قَدْ أصْبَحَتْ فِيهِ أحَاديثُ غَرَامِي صِحَاحْ[1]

ويعجب الشاعر بأسنانها وثناياها التي تجمع بين السمرة والحمرة في لونها،وعندما تبتسم تظهر أسنانها بيضاء، كأنَّها حبات البرد،ويصف ريق فم محبوبته، ويتغنّى بعذوبته، فهو ظامئ إليه يشتهيه كما تشتهي عينيه رؤية الجمال، يقول:

(الكامل)

لَكَ مَبْسَمٌ عَذْبُ اللَّمَى يَفتَرُّ عَنْ بَرَدٍ، وَسَلْسَالُ الرُّضَابِ مُرادي[2]

القوام

وقف بدر الدين عند القوام، فهو من أهم عناصر الجمال، وهو يهوى القوام الممشوق الدقيق المتثني المتمايل في ضموره ودقته، الذي فاق غصن البان تمايلاً، وقد ظهرت أسنان محبوبه في أثناء تبسمه،كأنَّها وردة متفتحة، يقول:

(الطويل)

أغنُّ يُريكَ الغُصنَ مِنْ لِينٍ قَدّهِ قَويماً وَيُبْدي زَهْرَهُ أنْ تَبَسَّما [3]

وقد فتنته المرأة بحركتها، ومشيتها الهادئة المتمايلة، ذلك لأنَّ هذه المشية ذات ارتباط بالرشاقة، والخفة، والانعطاف.

([1]) **ديوانه:** 18.

([2]) المصدر نفسه: ص27.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 180.

ويحبُّ بدر الدين محبوبته لأن قوامها يشبه الغصن، خفيفة الظلِّ، وعيون جميلة فاقت عيونها غزال،لا يستطيع مقاومتها، يقول:

(الرجز)

يَا غَصُنْاً قَدْ طَابَ لِي مِنْهُ الجَنَى وَيَا غَزَالاً لَذَّ لِي فِيهِ الغَزَلْ
طَرْفُكَ قَبْلَ الْعَذْلِ قَدْ أَبَادَنِي فَمِا احْتِيالِي؟" سَبِقَ السَّيفُ العَذَلْ"[1]

ويجمع بدر الدين أوصاف محبوبة، فيقول:

(البسيط)

أغنَّ، ألْمَى، رَشَيقِ القَدِّ، مُعْتَدِلٍ رَخْصِ البَنَانِ[2]، كَحَيلِ الطَّرْفِ، سَحّارِ [3]

وتحدث بدر الدين عن الصفات المعنوية للمحبوبة، وإن كانت هذه الصفات قليلة، ولا ترقى إلى مستوى ذكر المحاسن الحسية، ومنها الإباء والتمنع والبخل وغيرها، ما أذكى اللوعة والحرقة في نفسه.

الغزل بالمذكر:

اعتاد الشعراء ومنذ القدم على التغزل بالمرأة، يصفون بأشعارهم حسنها، ويتحدثون عن جمالها، ويذكرون حالهم نحوها، من شغف بها، وتودد إليها، ‘إلى أن جاء القرن الرابع الهجري الذي كان له تأثير في الحركة الشعرية، وذلك بولادة بعض الظواهر الجديدة، التي دفعت الشعراء إلى الانخراط في ألوانها، والنظم في أشكالها، فغلبت على إنتاجهم، ولعل الغزل بالغلمان من أبرز هذه الظواهر التي أخذت طابع التجديد [4].

([1]) **ديوانه:** 69.

([2]) رخص البنان: نَعُمَ ولانَ. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 336، مادة" رَخُصَ".

([3]) **ديوانه:** 40.

([4]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 421.

وهي ظاهرة انتعشت وازدهرت في العصر المملوكي،وباتت تجسد الفسق والفجور والتهتك،إذ ابتعد الناس عن الدين، فانحرفت أخلاقهم وساءت سريرتهم، فالغلمان الأعاجم يعجّون في الدور والقصور، والحانات ومراتع اللهو[1].

وقد أطلق بعض الدارسين على هذا الغزل "الغزل الغلامي "،حيث تدافع الشعراء يتفننون ببث نجواهم، وتصوير لواعج صدورهم، ورسم ملامح معشوقيهم، وشارك فيه شعراء التيار الحماسي، وانجَّرَ قلمهم من غير أن تنجَّرَ أقدامهم في مسالك الفحش، فقالوا فيه، ولم يتحرجوا[2]، بعضهم قصد الخلاعة والمجون، وبعضهم الآخر عبّر عن حبّه الحقيقي للغلمان، والفريق الثالث رغب في المنافسة والابتكار والتجديد [3].

ويبدو أنَّ ظاهرة عشق الغلمان، والولع بهم، والتغني بجمالهم والهيام بمفاتنهم، غدت في هذا العصر" نبرة اجتماعية طاغية ترسم لنا صورة مجتمع ذي اتجاهات وأطوار وعادات"[4].

ولم يكن بدر الدين أول من نظم في هذا النوع من الغزل، فقد سبقه عدد من الشعراء السابقين له، والمعاصرين، كأبي نواس، وبشار بن برد، والصنوبري[5]، ومحمد بن إسرائيل [6].

جاء تغزل بدر الدين بالمُذكر على شكل مقطوعات ونتف شعرية، لا تتجاوز الأبيات الثلاثة، وغلبت على ألفاظه الرقة والسلاسة والوضوح،وحرص فيها على ذكر أسم،ولقب، ومهنة من تغزل بهم، فتغزل بالغلام الخياط، والجندي، والورّاق، والنجّار، وذكر ألقاب بعضهم، كالشهاب، والشقيق، وغيرهما.

([1]) انظر باشا، عمر موسى: **أدب الدول المتتابعة**، ط1، دار الفكر الحديث، القاهرة،1967 م، ص 561.

([2]) التونجي، محمد: **التيارات الأدبية إبان الزحف المغولي**،ط1، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1987م، ص 414.

([3]) انظر عبد الرحيم: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص 274.

([4]) انظر الكفراوي، محمد عبد العزيز: **الشعر العربي بين الجمود والتطور**، ط2، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1958م، ص 99.

([5]) الصنوبري: هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي، ولد بأنطاكية نحو(284هـ)، عاش في حلب، مدح الكثير من الأمراء، وهو أمير شعر الطبيعة، توفي (334هـ)، انظر الزركلي: **الأعلام**، 1/ 198.

([6]) انظر الرسالة: ص17.

وأضفى بدر الدين على الغلمان الصفات والمحاسن الحسية المادية، إلى جانب الصفات المعنوية، التي تناولها في غزله بالمرأة، فغلامه غزال في الخفة والحركة، ووجهه كالبدر في جماله، وقدّه غصن يانع، وقوامه معتدل متثن.

فقد أعجب بدر الدين بغلام اسمه داوود، كان على درجة من الجمال، فالشاعر يصف نفسه بالتمنع والصلابة، ولكنه لم يستطع مقاومة جمال عيون هذا الغلام،الذي سلبه عقله، يقول:

(الكامل)

قَدْ كُنتُ جَلْدَاً فِي الخُطُوبِ إذا عَرَتْ لا تَزْدَهيني الغانياتُ الغِيدُ
وَعَهِدتُ قَلبي مِنْ حديدٍ فِي الحَشَا فَألانَهُ بِجُفونِهِ داوودُ [1]

وأفصح بدر الدين عن رغبته بوصال هؤلاء الغلمان، وتغنّى بمفاتنهم الحسية، فهو يرى في وجه غلامه جمالاً خالطه فتور في عينيه، ورقة في خصره، وفي خده زهر النرجس في بياضه، يقول:

(الوافر)

وَأحْوَى فَاتِرِ الأجْفَانِ أَلْمَى رَشِيقٍ قَدُّهُ رَخْصُ البَنَانِ
وَنَرْجِسُ خَدِّهِ، وَالقَدُّ مِنْهُ هُمَا يَا عَاذِلِيَّ الذّابِلانِ [2]

تغزّل بدر الدين بغلام كان يعيش عنده، غلام أذاب الجمال في قوامه المتثني، مغناج أرق من النسيم، له محيّا وشفتان رقيقتان، وثغر يجمع بين الجمال وصفاء الأسنان، وريق أذكى من الخمر، يقول:

(الطويل)

تَعَشَّقتُهُ لَدْنَ القَوامِ، مُهَفْهَفَاً شَهِيَّ اللّمَى، أحَوى المَرَاشِفِ، أشْنَبَا[3] [4]

([1]) **ديوانه:** 26.

([2]) المصدر نفسه: ص81.

([3]) المصدر نفسه: ص12.

([4]) أشنبا: الثغر رقّت أسنانه وابيضّت. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 496، مادة " شنب".

وغلام بدر الدين يتثنى في مشيته، وقد لوى شعره على صدغه على شكل عقرب جرياً على عادة غلمان عصره، وإذا أراد قطف الورد من خدوده ساوره، ومنعه عقرب الصدغ، لأنّه يشعر بحيرة من أفعاله، يقول:

(الطويل)

بَدَا صَدْغُ مَنْ أهْواهُ فِـي مَـاءِ خَـدِّهِ فَحَيَّرَنَـي لَمَّـا التَـوَى وَتَعْقَرَبَـا[1]

أعجب بدر الدين بغلام لقّبه بالشقيق،أخذ يستعطفه للرفق به، بعد أن ضرسه الألم من حبيب سلب لبَّه، وأسهره لياليه مفكِّراً في وسيلة يستطيع من خلالها الوصول إليه،وقد عدّه توأم روحه وبدراً يضيء ليله، يقول:

(الكامل)

أشَقِيقُ رَوضٍ أنَتَ يَا بَدْرَ الدُّجَا بِاللِـه قُـلْ لِـي أمْ شَـقيقُ الـرُّوُحِ[2]

وآخر لقب بالشِهاب، وقد عبّر بدر الدين عن أحاسيس شتى تجاه هذا الغلام، ومزج فيها بين مظاهر الطبيعة، فقد انعطف هذا الغلام في مشيته انعطاف الغصن الرطيب،وأصبح لشدّة جماله ضوءاً ساطعاً يضيء ليل العاشقين، يقول:

(الخفيف)

يَـا قَضِـيبَ الأراكِ عِنْـدَ التَّثَنّـي هَـزَّ عِطْفَيْـهِ حِـينَ مَـاسَ الشّـبابُ
عَجَبَـاً كَيـفَ ضَـلَّ فِيـكَ المُحِبّـو نَ بِلَيـلِ الأسَـى وَأنْـتَ شِـهَابُ[3]

وتغنّى بدر الدين بغلام يشبه الغزال في رقته وبياض بشرته التي لا يشوبها سواد، يقول:

(مجزوء الكامل)

وَأغَـنَّ مَهْضُـومِ الحَشَـا كَـالظَّبْي ؛ لَكِـنْ لا يُصَـادُ

([1]) **ديوانه:** 13.

([2]) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليه، 4/** 381. الصفدي، **الوافي بالوفيات، 29/** 290، ابن تغري بردي: **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ص131.

([3]) **ديوانه:** 15.

أمِـــــنَ البَيـــــاضُ بِخَـــــدّهِ مِـــنْ أنْ يكـــونَ بِـــهِ سَـــوادُ[1]

ويستعين البدر بمهن بعض الغلمان كالنِّجارة والرفُّو، وبيع الكتب، في طلـب الوصـال منهم،وهذا الغلام النَّجار صاحب قدٍّ يشبه الغصن في لينه وتثنيه،إلى جانب جمال عيونـه التـي تجمع بين السواد،والبياض،والفتور، والنعاس، يقول:

(الطويل)

بِرُوحِيَ نَجّـارٌ؛ حكَـى الغُصْـنَ قَـدُّهُ رَشِيقُ التّثَنِيِّ، أحْوَرُ الطَّرْفِ، وَسْنَانُ [2]

وذاك غلام رفَّاء أطار فؤاده على أغصان تشبه قدَّه الرقيق المتثني، وسحر عيونه، ولم يرأف بقلبه، يقول:

(مجزوء الكامل)

وَبِمُهْجَتِـــي الرَّفَّـــا[3] **الَّـــذي فَضَـــحَ الـــذَّوابِلَ لِينُـــهُ**
لَـــمْ يَـــرْفُ قَلْـــبَ مُتَـــيَّمٍ قَـــدْ مَزَّقَتْـــهُ جُفونُـــهُ[4]

وآخر كان يعمل ورَّاقاً، وقد عبّر بدر الدين عما قاساه وكابده بسبب حبٍّ هـذا الغـلام، الذي تميز بالتمنع والبخل، يقول:

(الطويل)

وَقَدْ أصبَحَ القَلْبُ المُعَنّـى كَمـا تَـرى مُعَنّى بِـورَّاقٍ، وَمـا عِنْـدَهُ وَصـلُ[5]

وتغزل الشاعر بغلام ذي حسن ودراية بعد أن أوقعه في شباكه،ويسأل بدر الدين العذّال، ماذا يفعل عندما يراه كل يوم، وقد زاد جمالاً ؟ يقول:

([1]) **ديوانه:** 26.

([2]) المصدر نفسه : ص 80.

([3]) الرّفا: الثوب ونحوه – رفئاً ، لأم خرقه بالخياطة، وضم بعضه إلى بعض ،وأصلح ما بلي منه، والرّفاء: الذي يرفـأ الثياب ونحوها .انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 363، مادة "رفا".

([4]) **ديوانه:** 80.

([5]) المصدر نفسه: **ص**71.

(المجتث)

يَـــا عَـــاذِلي فِيـــهِ، قُـــلْ لِـــي إِذَا بَـــــدَا كَيْـــــفَ أَسْـــــلُو
يَمُـــــرُّ بِـــــي كُـــــلَّ وَقْـــــتٍ وَكُلَّمَـــــا مَـــــرَّ يَحْلُـــــو [1]

وعانى بدر الدين من العُذال الذين يكثرون من لومه، بيد أنَّه لا يستمع إلـيهم، و يعلـل عذلهم له في هواه، أنَّهم ما رأوا محبوبه،الذي يشبه الغزال في حسن وجهه، وقد حسـده نجـم السماء، يقول:

(السريع)

لا تَعْـــذِلوني فِـــي هَـــوَى شَـــادِنٍ هَوِيْـــتُ طَرْفَـــاً مِنْـــهُ سَـــحَّارَا
لَـــوْ لَـــمْ يَكُـــنْ حُبّـــي مِـــنْ حُسْـــنِهِ يَحْسُـــدُهُ الـــنّجْمُ لمَـــا غَـــارَا [2]

أعجب بدر الدين بمليح كان يعمل في الجيش، وقد جمع هذا الغلام من الصفات ما جعله أقرب إلى نفس الشاعر، جمال بشرته التي تجمع بين السواد والبياض، وطولـه الـذي يشـبه الغصن، يقول:

(الكامل)

يا حُسْـنَهُ فِـي الجَـيْشِ حِـينَ غَـدا يَخْتالُ فِـي السُّـمْرِ، وَفِـي القُضْـبِ
لَـــمْ أَلْـــقَ أَحْلَـــى مِـــنْ شَـــمائِلِه فِي العَينِ لَمَّـا صـارَ فِـي القَلْـبِ [3]

ويبدو أنَّ بدر الدين شفق على حال هؤلاء الغلمان،مبيناً صدق عاطفته، لقصـة غـلام محبوب،أوقعت به جماعة ليلاً، ووعدوه بإطلاق سراحه، ولكنهم اكتالوا عليـه، وجمعـوا بـين خصلتيْن مكروهتيْن، كما يقال " أحشفاً وسوء كيلة " [4]، فقال معبراً عن هذا المعنى:

([1]) **ديوانه** : 71.

([2]) المصدر نفسه: ص44.

([3]) المصدر نفسه : ص48.

([4]) انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 3/ 220، مادة " حشف".

(الكامل)

وَمُعَـــذَّرٍ قَـــدْ بَيَّتَتْـــهُ جَمَاعَـــةٌ وَلَـــوَوْا بِمَـــا وَعَـــدُوهُ طُـــولَ اللّيـــلِ
وَاكْتَالُـــــهُ كُـــــلٌّ هُنَاكَ،وَمَـــــا رَأى مَنْهُم سِوى حَشَفٍ[1] وَسُـــوءِ الكَيْـــلِ[2]

وخلاصة القول إن غلام بدر الدين بدر وظبي، وعذاره جميل، لـــه عينـــان ســـاحرتان فاترتان، رشيق القوام كغصن البان، ريقه خمر، وخدوده ورد، فهو بغزله الغلماني يتقصد إظهار مقدرته الفنية على النقل والتصوير والاختراع، فمقطوعاته الغزلية في الغلام الحائـــك والنَّجـــار المتباكي، والغلام المتصبب خدّه عرقاً يتميز برشاقة اللفظة، وهي في مجملها معان عبَّر عنهـــا بغزله بالمؤنث.

ثالثاً: الوصف

يُعدُّ الوصف أشمل الأغراض الشعرية التي عُرفت فـــي الأدب العربـــي، وهـــو لـــيس بالموضوع الشعري المستقل، بل هو عماد الألوان الشعرية، قال ابن رشيق:" إنَّ الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف" [3]، أما قدامة، فقال:" إنّما هو ذكر الشيء كمـــا فيـــه مـــن الأحـــوال والهيئات،والشاعر العربي طيلة حياته يواكب الطبيعة بكل مظاهرها، ويحاكيها محاكاة فنية، فهو يستمدّ مواضيعه من طبيعة بيئته، يتأثر بها، ويؤثر محاولاً أبداً أن يعبِّر عن تأثيره وتأثره"[4].

والوصف من الموضوعات والأغراض الشعرية التقليدية المهمة،التي عالجها الشـــعراء منذ الجاهلية، فمنذ القرن الرابع ظهر هذا الفن في ثوب جديد حيث ابتدع الشعراء فيـــه ألوانـــاً جديدة، وابتكروا ضروباً فنية مستحدثة قطعوا فيها شوطاً بعيداً من الرقي والتقـــدم، مصـــورين

([1]) الحشف: من التمر، هو الذي يجفُّ ويصلب، ويقبض قبل نضجه، فلا يكون له نوى، ولا لحاء ولا حلاوة، ولا طعـــم. انظر أنيس وآخرين: **معجم الوسيط**، 1/ 176، مادة " حشف".

([2]) **ديوانه**: 73.

([3]) ابن رشيق، **العمدة**، 1/ 294.

([4]) انظر قدامة ابن جعفر: **نقد الشعر**،دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص 130.

بيئتهم أكمل تصوير، بالإضافة إلى حياتهم العامة بكل ظواهرها، وأدواتهـا، وحرصـهم علـى انتزاع كلمة الإعجاب من أفواه النّاس[1].

بدر الدين في وصفه يحاكي الموصوف، ويقربه من ذهن السامع، فهو فنـان عبقـري، يرسم ويصور، ويصف بالكلمات ما رآه وما أحسه، وهذا تعبير عن روح هادئة بمفاتن الجمال، في خلع أوصاف الجمال، وما تحويه من حسن وروعة.

والوصف عند بدر الدين متعدد، له آفاق رحبة، وهو غرض مقصود لذاته، جـاء فـي قصائد كاملة، وتوطئة للوصول إلى أغراض أخرى، كالغزل والرثاء،وصف الخمر، وعلى شكل مقطوعات شعرية،لا تتجاوز الأبيات العشرة، وصف فيه كل ما استهوته نفسه،وشاهدته عيناه من الطبيعة الساحرة من بساتين، وطير، وحيوان، ومظاهر حضارة [2].

وصف بدر الدين الطبيعة بما فيها من رياض وأزهار، ونـواعير، وأنهـار، وطيـور جارحة وأليفة، وأدوات للبيئة المحيطة به،لأنها من أهم محاور الوصف، ومصدر إلهام عظـيم للشاعر، وجد فيها مرآة لأحاسيسه ومشاعره، وتناغم معها شاكياً همومه، ومعاناته [3]،فالوصف عنده يدخل في أغراض شعره الأخرى، فما غزله إلا وصف للحبيب وحـال المحبـوب، ومـا خمرياته إلا وصف للخمر ومجالسها وأدواتها، ومثله المديح الذي هـو وصـف الممـدوح،وما يتصف به من كرم ونبل.

ولعل إقامة الشاعر في (دمشق)، تلك البقعة، ذات الأنهـار والجنات،،جعلتـه يصـف الرياض والأزهار، ويصور الأرض بأزهارها المتفتحة، وبساتينها، والسماء بمائهـا المنهمـر، حيث الطيور المغردة، والرياحين الباسمة[4]، يقول:

([1]) انظر الرافعي: **تاريخ الآداب العربية**،ج 3، ص (119– 237). حسب الله، بهاء: **شعر الطبيعة في الأدبيْن الفـاطمي والأيوبي** (القرن السادس نموذجاً)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، والإسكندرية، ص (30 – 32).

([2]) انظر ديوانه: 28، 42، 46، 76. العمري: **مسالك الأمصار في ممالك الأبصار**، 16/ 182.

([3]) انظر البدري، عبد الله بن محمد المصري الدمشقي (ت846هـ): **نزهة الأنام في محاسن الشام**، المكتبـة العربيـة، بغداد، ص 92.

([4]) انظر الحصني: **منتخبات التواريخ – تاريخ دمشق**، ص 403. اليافي: **دراسات فنية في الأدب**، ص (392 – 393).

(الرجز)

لِمَ لا أميــلُ إلــى الرّيــاضِ وحُسْــنِها وَأعيشُ مِنْهــا تَحْــتَ ظِــلٍّ ضــافي؟
وَالزَّهــــرُ يَلْقــــاني بِثَغْــــرٍ باســــمٍ وَالمــــاءُ يَلْقــــاني بِقَلْــــبٍ صــــافي[1]

وظّف بدر الدين الوصف في غزلياته، وإذا تغزل صاغ من الورد خدوداً، ومن النرجس عيوناً، ومن السفرجل نهوداً، ومن قلوب اللوز مباسم، وجعل من الدموع سحباً تــأتي بــالمطر الخفيف، يقول:

(الرمل)

وَدُمــــــوعٍ شُــــــهْبُها،بَلْ سُــــــحبُها يَتَبــــارِيْنَ رِهانــــاً، وَرِهامــــا [2] [3]

وصف بدر الدين الطبيعة بمظاهرها المختلفة وتجلياتها، ومنها الطبيعة الساكنة، والسماء وما تحتويه من جزئيات شتى كالنجوم، والسحاب، والغيم، والمطر، والليل،والنهار، وقد أســقط عليها دلالات شعورية وعاطفية تنم عن تجاربه معها.

الليل والصباح

ووصف الليل والصباح، وهما متعاقبان لا يذكر أحدهما دون الآخر، فلا بدَّ لليــل مــن صباح، لهذا أكثر الشاعر من الحديث عنهما، الليل رفيق الشاعر، يلجأ إليه هروباً من الواقــع، وإذا خيَّم الليل، تكالبت الهموم عليه وأرّقته، ومنعته لذة النوم، يقول:

(الكامل)

يــا لَيْلَــةً مَــا كَــانَ أبْعَــدَ صُــبحِها حَتَّــى عَــدِمتُ بِهــا لَذيــذَ هُجُــوعي
طالتْ علــى جَفْنِــي القصــيرِ، وَإنّمــا كَابَــدْتُ مِنْهَــا لَيْلَــةَ المَلْسُــوعِ[4]

فالشاعر يتوجع لطوله، ويخشى صحبته، حتى بات يتمنى أن يلوح لليله صبح.

([1]) **ديوانه:** 88.

([2]) رهاما : المطرة الضعيفة الدائمة، جمع رِهم، ورهام. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 378، مادة " رهم ".

([3]) **ديوانه:** 75.

([4]) المصدر نفسه: 58.

ومع هذا فالشاعر يشكو الصباح أيضاً، ويتحدث عن ليلة أنس، واصفاً قصرها، وسرعة انقضائها، فالصبح مع جماله سريع الانبثاق، لذا راح يشكو الصبح الذي أطل سريعاً، ولم يمهله لينعم بملذاته من لقاء الأحبة، والشعور بسرعة ساعات السعادة، كأن أحداً يرقبه، وهو يشق الظلام، يقول:

(الطويل)

ولَمْ أدْرِ أنَّ الصُّبحَ كَانَ مُراقِباً لَنا مَنْ وَراءِ اللَّيلِ حتّى تَطَلَّعا [1]

هكذا فإن ليل بدر الدين يتلوّن حسب نفسيته، وما يعتمل في صدره من مشاعر، يقول:

(الكامل)

أُلقي الدُّموعَ عَلَى الدُّمُوعِ، ولَيْلَتِي أدَرِي بِمَا أُلْقِي بِهَا، وَألاقِي[2]

وبعد المعاناة والمشقَّة التي عاناها الشاعر في رحلته مع الليل الطويل، يصور انبلاج الصبح، وقد أدركه لينقذه، ويكشف عن خبايا نفسية متعبة تكره الظلام، وتنتظر الصباح، يقول:

(السريع)

أُراقِبُ الصُّبحَ وَرِيحَ الصَّبا وَالموتُ مِنْ دُونِ الصَّبا والصَّباحْ[3]

فقد استهوته جلّ مآثر الليل من بدر، وثريا، ونجوم، فراح ينعتها بنعوت شتى، كنعته النجم بفتيان الصيد، والبدر بالملك المنتصر، الذي يهب الآخرين أسباب الحياة وكرم العيش وعزته، يقول:

(البسيط)

طَلَعْتَ بَدْرَاً بِدَاجِي لَيْلِهَا، وَبَدَتْ كَواكِبُ الذَّهَبِ القَانِي بِهَا بَدَدَا[4]

([1]) **ديوانه:** ص 57.

([2]) المصدر نفسه: 64.

([3]) المصدر نفسه: 18.

([4]) المصدر نفسه: 23.

ويبدو أنَّ النّجم كان محور مناجاة بدر الدين، يبثه أحزانه وذكرياته، فهو رفيقه في رحلة الصِّبا والشباب، وسمير لصفحات حياته، يقول:

(الرمل)

دَائِـــرٌ كَـــالنَّجمِ فِـــي أفْلاكِـــهِ لا يَـرَى فِيهـا سُـكُونَاً مَـا أقَامَـا[1]

ولعل أجمل وصف للسماء منظر الشمس، وقد تجلت ساعة الإشراق، وهي تخرج معانقة موجودات الطبيعة الخضراء، بخيوطها الذهبية اللامعة، وعندما تغيب يبدأ هذا الجمال بـالأفول، يقول:

(الطويل)

وَمَا ذَهَبَـتْ شَـمْسُ الأصـيلِ تحيـةً إلى الغربِ حتى ذهبتْ فِضَّـةُ النَّهْـرِ[2]

الغيم والمطر

والغيم والمطر من أبرز مظاهر فصل الشتاء، وقد جمع بدر الدين بينهما، وصـورهما على صعيد المطر النازل وفرحة الأرض، وسبب إعادة الحياة إلى ديار أحبته التي أقفرت، لـذا اعتاد الدعاء بالسقيا لهذه الديار،يحدوه الشوق، ويغمره الحنين إليها، يقول:

(الكامل)

لَمّـا بَـدَا وَجْـهُ السّـماءِ لَهُـمْ مُتُجَهِمـاً لَـمْ يُنْـدَ أنْـواءَ
قَـامُوا لِيَسْتَسْـقوا الإلـهَ لَهُـمْ غَيْثَـاً فَمَـا أَسْـقاهُمُ المـاءَ [3]

وعلى الرغم مما يحمله الشتاء من خير، إلا أنَّه يحمل البرد القارس، ومن طبيعة النفس الإنسانية السعي وراء الدفء والراحة، لذا شكا بدر الدين كثرة الأمطار، التي ملأت الأسـواق،

([1]) **ديوانه:** ص 30.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 179.

([3]) المصدر نفسه، 16/ 182.

وفاضت بها الشوارع، وغدت كالطوفان، الذي أغرق قوم نوح، وطعِّم شكواه بنوع من الدعابة وخفة الروح، يقول:

(الرمل)

إنْ أَقَامَ الغَيْثُ شَهْراً هَكَذا جاءَ بِالطُّوفانِ، وَالبَّحرِ المُحيطِ[1]

البرق والرعد

ومن مظاهر السماء التي صوّرها بدر الدين البرق والرعد، وقد ربط بين البرق وذكرياته، وذكريات الديار والأحبة، فالبرق إذا لاح من جهة تلك الديار،أذكى نار ذكرياته، وهيج شوقه، وأيقظ أحاسيسه، فقد توهج بريقه كخيوط قد اشتعلت ناراً، وبات يسمع في صوت الرعد العجلة،وتبعه سحاب غائم يتشوق، ويبكي من غير حزن، حيث تناثرت حبات المطر على جنبات الأرض والأنهار، ليكسوها خضرة يانعة وأزهاراً فاتنة،وبدت الطيور فرحة مستبشرة، يقول:

(الكامل)

وَالبَارِقُ الهَامِي عَلَى طَلَلِ الْحِمَى سَدَّى هُنَاكَ خُيُوطَهُ وَأَنَارَا
وَوَرَاءَهُ تِشْرِينُ جَاءَ بِرَعْدِهِ عَجْلانَ، يَحْدو لِلْسّحَابِ قِطَارَا
وَالفَيْضُ طَامَ، مَاؤُهُ مُتَدَفِّقُ وَالْطَيرُ فِيهِ يُلاعِبُ التّيّارَا[2]

الرياح والنسيم

والرياح والنسيم من ظواهر الطبيعة التي وصفها بدر الدين، فهي رسول الأحبة الذي ينقل أخبارهم، ويحمل آهاتهم، يقول:

(الكامل)

وَأوحى إلى الأغصانِ قُربي فَأرْسَلَتْ هَدايا مَعَ الأرياحِ طَيِبَةَ النَّشْرِ[3]

وعلى الرغم من ضعف نسمة الريح، إلا أنَّها تحمل رسائل الحبيب، لتنعش روحه، وهذا ما يبدو في قوله:

([1]) **ديوانه** : 55.

([2]) المصدر نفسه: ص 32.

([3]) المصدر نفسه: 19.

(السريع)

وَنَسْـــمَةُ الـــرِّيحِ عَلَـــى ضَـــعْفِهَا لَهَـــا بِنَـــا مَـــرٌّ، وَإِلْمـــامُ[1]

وأثار هذا النسيم إذا هبَّ كوامن نفس الشاعر، لمَّا تحمله معها مـن ذكريات،لـذا فقـد استلطفها بدر الدين، ورأى فيها لطف الحبيب، يقول:

(الكامل)

وَدَعِ النّسـيمَ يُـرَاوحُ القَلْـبَ الَّـذي أَوْرَى زِنَـادُ الشَّـوقِ فِيـهِ أُوَارا[2]

ويبدو أنَّ هذه النسائم ضعيفة، ولكنها تحمل ما طاب لها، لتمرَّ بأحبته فتعبـق أنفاسـهم، وتسلم عليهم، يقول:

(الرمل)

وَالصَّـبا مُعْتَلَّـةٌ مِـنْ كُثْـرِ مَـا حَمَلَـتْ مِـنْ كُـلِّ مُشْـتاقٍ سَـلامَا[3]

فصول السنة

وصف بدر الدين فصول السنة، وأضفى عليها مسحة من أحاسيسه ومشـاعره، وجـاء وصفه لها على شكل مقطوعات يتجاوز بعضها الأبيات الثلاثة.

ولعل بدر الدين كان ينتظر فصل الربيع بفارغ الصبر، بعد برد شتاء قارس، ويرى أن فصل الربيع أحدث تغييراً على الطبيعة والحياة، حيث ألبسها حلتها الجميلة، وأحيـا مفرداتهـا الناعسة، فهي تضحك وتتهلل تعبيراً عن سعادتها وسرورها، حيث يمدُّ الأرض ببساط موشى – بالألوان الورود والرياحين الخلابة الساحرة،حيث كتب الخليفة عمر بن الخطاب – رضـي الله عنه – إلى أمراء الأجناد: " أمروا الناس أن يخرجوا إلى الصحاري أيام الربيع، فينظروا إلـى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها "[4]، وقد عبر عن مثل هذه المعاني:

([1]) **ديوانه:** ص 76.

([2]) المصدر نفسه: ص 29.

([3]) المصدر نفسه: ص74.

([4]) الجندي، علي: **الشذا المؤنس في الورود والنرجس**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1961م، ص (5 – 13).

(الكامل)

أوْ مَا تَــرى وَجْــهَ الرَّبيــعِ، وَحُسْــنَهُ وَالروضُ يَضْحَكُ، وَالحيــا يَتَهَلَّــلُ [1]

ويدفع فصل الربيع ريح الصَّبا لتنشر نفحات المسك بــين أطــراف رياضها،وتكســي الغصون بالأوراق الخضراء والأزهار اليانعة، التي تنتشر على الهضاب كأنّها خيام، وقد عبّــر عن هذا المعنى بقوله:

(الرمل)

وَالرَبِيــعُ الطّلْــقُ قَــدْ مَــدَّ لَــهُ مِنْ هِضَابِ الزَّهرِ فِي الرَّوضِ خِيامَا [2]

فها هو الربيع يحيي الأغصان العارية، ويكسو الغصن بعد أن جرده الشتاء ليعود فتيــاً ناضراً بعد الذبول، وكأنّه أخرج سيفاً من الماء، في حين بدا الطير مغرداً مناجياً بحبِّه أغصــان الروض، يقول:

(الرمل)

هَــزَّ مِــنْ غُصــنٍ نَضِــيرٍ ذَابِــلاً وَانْتَضَى مِــنْ جَــدولِ المــاءِ حُسَــاما
وَحَمَــامُ الأيــكِ فِــي الأشْــجارِ قَــدْ بَثَّــتْ الأشْــجانَ فيهــا، وَالغَرَامَــا[3]

ويبدو أنَّ الفصل الربيع، هو المفضل عند بدر الدين، يستقبله بعيون فرحة للقاء الحبيب، ويطلق العنان لخياله، متجاوباً مع نسيمه العليل، وقطرات النَّدى، من خلال دعوة محبوبه لزيارة الرياض، لتمتع بجمالها، يقول:

(الرمل)

نَمْ فَقَــدْ هَبَّــتْ نُسَــيماتُ النُّعَــامَى[4] **وَالنَّــدَى نَبَّــهَ بِــالرَّوضِ النَّــدامَى**

([1]) **ديوانه:** 71.

([2]) المصدر نفسه: ص 74.

([3]) المصدر نفسه: 74.

([4]) النَّعامى: اسم موضع،وقيل نَعمان الأكبر: وهو وادي عرفة، ونَعمان الأصغر: وهو الغرقد بالمدينة المنورة، وقيل ريح الجنوب، لأنها في الجزيرة العربية، وهي أندى الرياح وأرطبها. انظر ابن منظــور: **لســان العــرب**،14/ 235. أنــيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 935، مادة " نعم".

فَـــاغْنَمِ العُمْـــرَ فَـــإنِّي مَـــا أرَى أبَـــدَاً عَـــيْشَ الصِّـــبَا إلا مَنَامَـــا [1]

ويدعو بدر الدين نديمه أن يباكر الروض،ليصطبح بين تبسم الأزهار، وترنُّم الأطيـــار، ويطلب منه أن يكتم حديث العشق والمحبة، لأن في الروض من يسعى ليوقع بينهما، يقول:

(السريع)

بـــاكِرْ إلـــى روضـــةٍ؛ تَسْـــتَجْلِها فَتَغْرُهَـــا فِـــي الصّـــبْحِ بَسّـــامُ
وَأكْـــتُمْ أحَادِيـــثَ الهَـــوَى بَيْنَنَـــا فَفِـــي خِـــلالِ الـــرَّوضِ نَمّـــامُ، [2]

ويتميز فصل الصيف بحرارته الملتهبة، لذا اعتاد الشاعر الشكوى من الحر الشديد، الذي يرمي الأرض بجمره، فيذوي النبت، وتكسوه الصفرة بعد الخضرة، يقول:

(الكامل)

مولاي أشـكو غُرْفَـةً فِـي نـاجِرٍ[3] **كَالنّـــارِ تَلْفَـــحُ بِـــالهَجيرِ اللاَّفِـــحِ**[4]

أما فصل الخريف، فقد تبارى الشعراء في رسم صورة له، حـين يتغيـر لـون أوراق الشجر من الخضرة إلى الصفرة، وتصبح كثوب منمق، من خيوط ذهبية صفراء تشبه اصفرار الذهب، وتزداد جمالاً حين تجف وتسقط، يقول:

(الكامل)

انْظُرْ إلـــى الأغْصـــانِ كَيْـــفَ تَـــذَهَّبتْ وَأتى الخَرِيـــفُ بِحُمْرِهـــا، وَبِصُـــفْرِها
تَحْلُـــو شَـــمائِلُهَا إذا مَـــا أدْبَـــرَتْ وَتزِيدُ حُسناً فِـــي أوَاخِـــرِ عُمْرِهـــا [5]

ويتعجب الشاعر من تلك الأغصان العارية، التي تغيَّر لون أوراقها من الخضـــرة إلـــى الصُفرة، وهذا لا ينذر بسقوط أوراقها، بل يشير إلى تجدد الحياة فيها، يقول:

([1]) **ديوانه:** 74.

([2]) المصدر نفسه: ص 76.

([3]) ناجر: كلُّ شهر في صميم الحرِّ، اسم يطلق في الجاهلية على كلٍّ من رجب وصفر، حين وقع كلٌّ منهما فـــي الحـــرِّ، وكان التوقيت شمسياً، انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 902، مادة(نَجَرَ).

([4]) **ديوانه:** 20.

([5]) المصدر نفسه: 47.

(الكامل)

فصلُ الخريفِ أتى عَلَى الشّـجَرِ الَّتـي أبْـدَتْ لَنَـا أورَاقُهَـا ألْوانَـا
فَعَجِبْـتُ لِلأشْـجارِ كَيْـفَ تَخَلَّقَـتْ أوْرَاقُهَـا لِفِراقِهـا أغْصَـانا[1]

ولعلَّ مبعث إعجاب بدر الدين بفصل الخريف، وصباحه المشرق، ومدى تـأثيره فـي الأشجار، التي تركها عارية، وتأثيره في مياه النَّهر،حيث يجعلها ترقص وتصفق فرحاً،، كأنّهـا إنسان يعبر عن فرحه، يقول:

(الكامل)

وَأتَـى الخَريـفُ مُبَشِـراً بِصُـبوحِهِ فَتَخَلَّقَـتْ لِقَدُومِـهِ الأشْـجارُ
وَتَنَـى مِعْاطِفُـهُ الخَلِـيجُ وَصَـفّقتْ أمْواجُـهُ وَتَـراقصَ التّيـارُ[2]

وإذا ما انقضى فصل الخريف، جاء الشتاء ببرده وريحه، انبرى الشاعر يصـف هـذا الفصل وسطوته على الفقراء، فكان عليه أن يعد له العدة،وإلا قضى بفعل البرد الشديد، يقول:

(الكامل)

جَـاءَ الشـتاءُ الغَـثُّ يَـا سَـيِّدي بَلْ يَـا شِـهَابي فِـي دُجَـا الْهـمِّ [3]

ولكن بدر الدين أخذ يشكو ويعتذر لسيده شدة البرد، جاعلاً جوده وكرمه بإعطائه الفحم الذي يريد، يقول:

(الكامل)

وَفَصْـلُهُ البـارِدُ قَـدْ جـاءَني مِنْـهُ بِكـانُونٍ بِـلاَ فَحْـمِ[4]

([1]) **ديوانه:** ص80.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([3]) **ديوانه:** 78.

([4]) المصدر نفسه :ص 78.

الرياض:

أما الرِّياض، فقد انتشرت في بلاد الشام لجمال الطبيعة الساحرة، وانتشار الحياة المترفة واللهو بين الناس، ومن محاسنها الحوا كير، وهي كالحدائق، وإذا مرَّ فيها النسيم حمل منهـــا – من طيب الريح– ما استطاع، ولهذا قال أبقراط:" ينبغي للمعتني بصالح بدنه أن لا يدع حظه من الاستمتاع بروائح الأزهار والرياحين، فأنها تقوي الروح، وتنعش الحرارة الغريزية التـــي بهـــا قوام الحياة "[1].

وهي من المظاهر التي يخلّفها الربيع على الأرض،تلك الرياض التـــي تنتشـــر فيهـــا الأزهار، فتكون وارفة الظلال متشابكة الأغصان، وسميت الرِّياض بهـــذا الاســـم، لأنَّ المـــاء يستربض فيها [2] وتخصب وتعشوشب، وتتكاثف أشجارها، وتسيل جـــداولها، وتجلـــب إليهـــا الطيور، وهي أكثر ما استحوذ على عناية الشاعر في الوصف والمحاكاة والتسجيل، فصـــورها، في صدق وانفعال ظاهريْن، فبدت جديدة ممتلئة حياة ونشاطاً، يقول:

(الطويل)

وَراقَـــتْ أزاهِيـــرُ الحَـــدائِقِ بِالضُّـــحَا نَوَاظِرَ عَنْ أحْداقِ نَوّارِهَـــا النَّضْـــرِ[3]

وجاء وصف بدر الدين لها وصفاً ينمُّ عن ذوق رفيع، كأنّه فنان يمسك ريشته، ويقـــف أمام ما يشاهد بأدق التفاصيل، ويمزج ألوانه ببعض مشاعره وخياله، فأجاد في أوصافها بحيوية ونشاط.

وعبَّر بدر الدين عن حبّه للرياض، وامتزاج هذا الحب بروحه، في غير موضـــع مـــن شعره، مستمداً صوره من البيئة المحيطة به، وأدرك ذلك بحواسه،فغصون الأشجار تلبس حلتها الخضراء، يداعبها النسيم، فتستجيب وتنتشي معه،وتترنم فوقها الأطيار بأعذب الألحان، وتبـــدو

([1]) انظر البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، ص (52–55).

([2]) انظر ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (روض)، 4/ 299.

([3]) **ديوانه:** 42.

الأزهار بألوانها الزاهية، أما قطرات الندى، فوق الأغصان، فأشبه بعقد لؤلؤ في جيد حسناء، يقول:

(الطويل)

تَرنَّحَ عِطْفُ البانِ فِي الحُلَلِ الخُضْرِ وَغَنّى بِأَلْحانٍ عَلى عُودِهِ القُمْري
وَأشرقَ خَدُّ الوَرْدِ يُبْدِي نُضَارَهُ وَأَشْرَقَ جَيدُ الغُصنِ فِي لُؤْلُؤِ القَطْرِ
وَبَاتَ سَقيطُ الطَّلِّ فِي كُلِّ رَوضَةٍ يُبَبِّهُ فِي أرجَائِهَا نَاعِسَ الزَّهْرِ[1]

فصارت أزهار الروض ووروده عيون سحر وجمال وفتنة، تجذب زائرها، وتخلب حسه، وأطيار الروض تشدو بين الأغصان، وكأنّها قيان تغني وتبدع،فقد أضاف الشاعر متعة السمع إلى متعة النظر، كي يكتمل الاحساس بالجمال، يقول:

(الطويل)

وَغَنَّتْ قِيَانُ الطَّيرِ فِي كُلِّ أيْكَةٍ وَقَدْ رَاقَ كُحْلُ الظّلِّ فِي مُقَلِ الغُدْر[2]

ويقف بدر الدين أمام الرياض متأملاً، يصفها وصف الخبير العالم بأسرار جمالها، وصفاً يتجاوز حدود التصوير الخارجي، أو الحسي، إلى خفايا الأشياء، وقد رقت حواشي هذه الرياض،بأشجارها وأزهارها، الممتدة على طول النَّهر الذي يزينها، وبدت كثوب موشى منمَّق بأزهى الألوان، وأبدع الأشكال، و قد راضتها كفُّ النَّدى،وكأنّه خياط بارع زادها جمالاً، وزادت هذه الروضة جمالاً بأغصانها، التي تقف كأنها حرف الألف في الاستقامة، وقد وقفت عليها غرائب الأطيار،وكأنها حرف الهمزة يجمِّل رأسها، يقول:

(الطويل)

عَلَى رَوْضَةٍ غَنّاءَ قَدْ فَرَشَتْ لَنَا عَلَى نَهْرِهَا المُنسابِ مِنْ نَسْجِها خَزّا
مُوَشَّعَةٌ قَدْ نَبَّتَ الطَّلُّ ذَيلَهَا وَكَفٌّ حَوَاشِيها وَأَكْمامَهَا دَرْزَا

([1]) **ديوانه:** ص42.

([2]) المصدر نفسه: ص42.

بِهَــا أَلِفــاتٌ مِــنْ غُصــونٍ تَمَثَّلَــتْ كَأَنَّ عَلَيهَــا مِــنْ حَمَائِمِهَــا هَمْــزَا[1]

والرياض أجمل ما تكون في الليل، حيث السكون والهدوء، عندما يجتمع الشــاعر مــع أصدقائه في هذه الرياض، التي تشبه الجنان، بما فيها من نعيم نفسيّ وجسميّ، يقول:

(مجزوء الكامل)

يــــا لَيْلَــــةً بِتْنَــــا بِهَــــا بَــــيْنَ أَكْنَــــافِ النّعــــيمْ [2]

وتغنّى بدر الدينُ بغوطة[3] دمشق، التي تعدُّ من أبرز وأجمل متنزهات دمشق[4]،غوطة تزخر بأنواع الأشجار والأزهار،التي يداعب أغصانها نسيم الصَّبا، فتنعش النفوس بشــذاها،وإذا تناثرت أمطار غيومها باكية، تساقطت على الأزهار والأشجار، لتسرع في خروج من أغلفتهــا ضاحكة مستبشرة، يقول:

(الرجز)

يــا حُسْــنَ جنّــاتٍ لَنــا بجلِّــقٍ وَقَــدْ ثَنَــتْ أَغْصــانَها رِيــحُ الصَّــبا
يَبْكــي بِهــا غَمامُها،وَزَهرُهَــا يَضْحَكُ فِــي أَكْمامِــهِ عَلــى الرُّبــا [5]

وهام بدر الدين بروضة النيربين[6] حبًّا، فبات يبوح بأسرار جمالها،وهي مــن أجمــل رياض بلاد الشام، روضة بديعة ندية متفتحة الأزهار، في حسنها، تجري بها الجداول، يزينهــا خرير الماء المتساقط على الحصى،وكأنه يتجادل معها، وهكذا أضاف بدر الدين متعة السمع إلى متعة البصر، كي يكتمل الإحساس بالجمال لدى السامع، يقول:

([1]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص415.

([2]) النابلسي، عبد الغني: **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، مكتبة المتنبي، القــاهرة، 1984م، ص296.

([3]) الغوطة: المطمئن من الأرض، أو الوهدة منها، ويطلق على الكورة التي منها دمشق، تحيط بها جبال عالية، وتخــرج مياهها من تلك الجبال، تمتد فيها عدة انهار. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 6/ 698، مادة"غوط".

([4]) انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 6/ 357.

([5]) **ديوانه**: 14.

([6]) انظر حاشية الرسالة: ص12.

(الكامل)

أرأيـــتَ وادي النيـــربين وَمَـــاؤُهُ يُبْـــدي لِنَـــاظِرِكَ العَجِيـــبِ الأعْجَبَـــا
يَتَكَسّرُ المـــاءُ الـــزُّلالُ عَلَـــى الحَصَـــى فَـــإذَا غَـــدا بَـــيْنَ الرِّيـــاضِ تشـــعّبا[1]

وجعل يستشف مفاتن جمالها من كافة أطرافهـــا، فهـــا هـــو النســـيم العليـــل يصـــافح زائرها،وكأنه إنسان يستقبله، وقد مدَّ أمامه موشية بالورد والأزهار، وأريج معطر سرعان مـــا ملئت الأجواء بعبيره المفعم بروائح الزهر، ويستقبل الأضياف بمياهه الجارية، وقد لجأ الشاعر إلى التشخيص الذي ساعده في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه أمام هذا الجمال، وزينها بـــبعض الصفات المعنوية، مثل الكرم، يقول:

(الطويل)

رَعَـــى اللهُ وَادِي النَيّـــرَبَينِ ؛ فَـــإنّني قَطَعْتُ بِـــهِ يَومَـــاً لَذيَـــذاً مِـــنَ العُمْـــرِ
دَرَى أنَّنِـــي قَـــدْ جِئتُـــهُ مُتَنَزَّهَـــاً فَمَـــدَّ لأقْـــدامي ثِيَابـــاً مِـــنَ الزَّهْـــرِ
وَأوْحى إلى الأغْصانِ قُرْبي؛ فَأرْسَـــلَتْ هَدايَا مَـــعَ الأرْيَـــاحِ طَيِّبَـــةَ النَّشْـــرِ[2]

وتغنّى بدر الدين بالأنهار، فهو الذي نشأ وترعرع بين أحضان الطبيعة الشامية، ينـــادم الملوك والأصدقاء في مجالسهم وأمامهم نهر مائه بهر العقل بحسن منظره، فتكسر جارياً بـــين الرياض، يعكس صورة الحدائق الملتفة حوله كأنّه مرآة، يقول:

(الكامل)

يـــا حَبّـــذَا النّهـــرُ الَّـــذي أمواهُـــهُ تَسْـــبي العُقـــولَ بحُســـنِ مَـــا تُبْديـــهِ
هُـــوَ فِـــي الحَـــدَائقِ غَيْـــرَ أنَّ عُيونَنَـــا إنْ لاحظَتْـــهُ تَـــرَ الحَـــدَائقَ فِيـــهِ [3]

ولم ينس صورة النهر، وقد أحاطت به البساتين الخضراء عند الغروب، وقد انعكســـت عليه أشعة الشمس الذهبية، كأنها فتاة تتزين بملابس خضراء جميلة،ومازج بـــين لـــون أشـــعة الشمس، ولون الخمرة إذا مزج بالماء، وكأنه أراق كأساً من الخمرة في مياهه، يقول:

([1]) **ديوانه:** 13.

([2]) المصدر نفسه: 46.

([3]) المصدر نفسه: 84.

(الطويل)

وَنَهْرٍ إذا مَا الشَّمْسُ حَانَ غُرُوبُهَا عَلَيْهِ وَلاَحَتْ فِي مَلاَبِسِهَا الخُضْرِ

ومازج بدر الدين بين نفسه وبين النهر، فتراهُ عاشقاً مستهاماً، يشكو جفاء الحبيب، ويرضى أن يزوره طيفه، فإذا فارقه بدأ يشكو ويتألم، فقال:

(الطويل)

وَنَهْرٍ بِحُبِّ الدَّوْحِ أصْبَحَ مُغْرَماً يَرْوحُ، وَيَغْدو هائِماً بِوصالِها
إذا بعُدَتْ عَنْهُ شَكَا بِخَرِيرِهِ جَفَاهَا، وَأمْسَى قَانِعَاً بِخَيالِهَا[1]

واهتز بدر الدين طرباً لسماع صوت الماء ورؤيته يجري، وهو يلمس جذوع الأشجار، معبراً عن أحاسيسه ومشاعره، فما هو إلا صوت أنين الشاعر وشكواه من تمادي محبوبه في صده وهجرانه،يقول:

(الكامل)

فَتَراهُ يجري لاثماً أَقْدامَها وَخَرِيرُهُ شَكْوى الَّذي يَلْقاهُ[2]

ولإبراز مواطن الجمال في الرياض، ركّز بدر الدين على وصف الأغصان والمياه الجارية، وعلى أعوادها تغني الحمائم بترتيل ينمُّ عن صنع الخالق، وتكتمل الصورة حسناً بسريان النهر، وكأنَّها عبرات نسيم ألهبه بطء السير، يقول:

(الخفيف)

وَجَنَّاتٍ أَلِفْتُهَا إذْ تَغَنَّتْ حَولَهَا الوُرْقُ[3] بُكْرَةً وَأصْيَلا
نَهْرُها مُسْرِعَاً جَرَى، وَتَمَشَّتْ فِي رُبَاهَا الصَّبا قَلِيلاً قَلِيلا [4]

([1]) **ديوانه:** ص 72.

([2]) محفوظ، حسين: **شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي**، ص235.

([3]) الوُرق: يتولد من الفاختة والحمامة، وبعضهم يسميه الورشين، وكنيته أبو الأخضر، وأبو عمران، وهو عدة أصناف، أسود حجازي، إلا أنّه أشجى صوتاً منه، ومزاجه بارد رطب، والورشان يوصف بالحنو على أولاده حتّى إنّه ربما قتل نفسه، الورقاء حمامة تضرب لونها إلى الخضرة. انظر الدميري، كمال الدين: **حياة الحيوان الكبرى**، دار القاموس الحديث، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص 344.

([4]) **ديوانه:** 70.

ففي أبياته حركة مستمرة، ورشاقة في وصف الرياض، ولكن دواليبها تشكو إلى الأغصان، أثر ذهاب ريحها وعبقها، وعلل دوران هذه الدواليب بمياهها، أنها تبكي على ماضي هذه الأغصان، يقول:

(مجزوء الرجز)

وَرَوضَـــــــــةٍ دُوَلابُهـــــــــا إلـــى الغُصُـــونِ قَـــدْ شَـــكَا
مِـــنْ حـــينِ ضَـــاعَ نَشْـــرُهَا دَارَ عَلَيْـــــــهِ، وَبَكَـــــــى[1]

ولا ينسى بدر الدين أن يصف خيال الأغصان في الماء، مشبهاً إياها بمعصم جميلة زُيِّن بالنقش، يقول:

(الكامل)

وَحَدِيقَـــةٍ يَنْســـابُ فِيهـــا جَـــدْوَلٌ طَرْفِـــي بِرَائِـــقِ حُســـنِهِ مَـــدْهُوشُ
يَبْـــدو خَيَـــالُ غُصـــونِها فِـــي مائِـــهِ فَكَأَنَّمـــا هُـــوَ مِعْصَـــمٌ مَنْقـــوشُ[2]

ويرى اكتمال سعادته بدعوة نديمه إلى رؤية هذه الأزهار، والجلوس في ظلّها، يقول:

(مخلع البسيط)

عَـــرِّجْ عَلَـــى الزَّهْـــرِ يَـــا نَـــدِيمي وَمِـــلْ إلـــى ظِلِّـــهِ الظَلِيـــلِ[3]

صوّر بدر الدين النباتات، ووقف عند الأزهار بأنواعها، فوصف البنفسج، والنـــرجس، والمنثور، والأقحوان، والورد.

الأزهار

إنَّ الأزهار والورود عنصر لا يتجزأ من عناصر الروض الأصيلة؛ لما لها من بهجـــة وإشراقة، وطبيعة منفردة تبعث في النفوس معنى التفاؤل والإشراق والإقبال على الحياة،والإقدام

([1]) **ديوانه:** ص 68.

([2]) المصدر نفسه: ص 52.

([3]) المصدر نفسه ديوانه: 72.

على ملذاتها، ويعكس تصويرها مظاهر الترف والغنى، ونضج الذوق الفني، ما دفعة إلى الاندماج معها، إسقاط العواطف الإنسانية عليها،فجاءت نابضة بالحركة والحيوية [1]، جاء شعره فيها على شكل مقطعات لا يزيد بعضها عن الأبيات الأربعة.

حاكى بدر الدين دقائق الرياض وألوان زهورها المشعة المتلألئة كالنجوم، فركز على الورد،النرجس، البنفسج، المنثور، والأقحوان، ولم يدع زهرة وقع عليها نظره إلا وتغنّى بجمالها، ووصف عطرها، وعبيرها،وجاء وصفه لها معبراً عن حبّه لهذه الأزهار، ممتزجاً مع روحه، وجمال أحاسيسه،وأتى بلوحات فنية، منقوشة بأزهى الألوان، تخفي وراءها محبة الجمال.

ومنها زهرة البنفسج، وهي زهرة طيبة الرائحة، لونها لون الفيروز، على ساقها زغب أصفر، ينبت في المواضع الظليلة، يقول:

(البسيط)

أنَّ البنفسجَ تَرْتاحُ النُّفوسُ لَهُ وَيَعْجَزُ الوَصْفُ عَنْ تَحْديدِ مُعْجِبِهِ
أوْرَاقُهُ شُعَلُ الكِبْرِيتِ مَنْظَرُهَا وَرِيحهُ عَنْبَرٌ تَحْيَا النُّفوسُ بِهِ[2]

وهذه الزهرة تحمل نضارة الربيع بجمالها، وتعطر الآفاق بشذا أريجها، وتخلب أبصار وعقول كل من ينظر إلى ألوان أوراقها، التي تشبه اشتعال عود الكبريت، بحلته الزرقاء اللامعة، ورائحتها التي تشبه رائحة العنبر، لما له من تأثير على النفوس.

ومن الزهور التي لاقت ذيوعاً وانتشاراً في شعر شعراء القرن السادس والسابع الهجريين زهرة النرجس، وهي من طلائع أزاهير الربيع،وقد أضفى بدر الدين على النرجس مسحة من الحياء، وغضّت جفونها عن الأحبة،رغم الضعف الذي أصابها، يقول:

([1]) انظر باشا، خير الدين الشمسي: **ديوان الرياض والأزهار والأثمار**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، ج2،ص81.

([2]) انظر البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، ص 135.

(السريع)

وَالنَّـــرجِسُ الغَـــضُّ اعْتَـــرَاهُ الحَيَـــا فَغَـــضَّ طَرْفَـــاً فِيـــهِ أسْـــقَامُ [1]

فعيونه تبعث الطمأنينة، أما أوراقه، فتبدو مختجلة الألوان كأنها إنسان أصابه مـــرض، والنرجس يراعي ندماءه من الأزهار الأخرى بلحظاته الراصدة ليحملهم على الابتسام في وقت المرح والانطلاق، يقول:

(الطويل)

وَقَدْ غَضَّ طَرْفُ النَّرْجِسِ الغَضِّ مِنْ حَيَا بِهِ، وَالأقاحي مِنْـــهُ مُبتَسِـــمُ الثَّغْـــرِ [2]

وانشغل بدر الدين **بالمنثور**[3]، ويسمى الخيري [4]، تلك الزهرة ذات الألوان المختلفـــة، لها رائحة عطرة، يصورها وقد فتّح نوارها وقت الصباح، وعلاها النّدى كأنَّـــه دروع يلبســـها فارس، وإذا نظر إليه بعينه رأى كل قطرة ماء عليها يقابلها إصبع من أصـــابع المنثور،ولعـــل الباعث على ذلك شكل نبتة المنثور، التي تجعله يمتّع روحه ونفسه بهذا الجمال، يقول:

(البسيط)

مَـــا فَـــتّحَ النَّـــوْرُ إلا أشْـــرَقَ النُّـــورُ فَمـــا اشـــتغالُكَ وَالمَنْثُـــورُ مَنْثُـــورُ
يَـــا حَبَّـــذَا وَدُرُوعِ المـــاءِ تَنْسَـــخُهَا أنَامِـــلُ الـــرّيحِ لَـــولا أنَّهَـــا زُورُ [5]

ويصف بدر الدين زهرة الأقحوان، فيكشف عن مواطن السحر فيها، وكثرته التي تشبه الدراهم المنثورة، إلى جانبه زهر البهار كأنَّه دنانير تفوقه عدة وبهاءً وكثيراً ما عكســـت هـــذه الزهرة أحاسيس الأمل ومشاعر الغبطة لدى الشاعر، بأساريرها الضاحكة وثغرها البسام، يقول:

([1]) **ديوانه:**76.

([2]) المصدر نفسه: ص 42.

([3]) المنثور: جنس زهر من الفصيلة الصليبية ذو رائحة ذكية، واحدته منثورة. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوســـيط**، 2/ 901، مادة " نثر".

([4]) انظر الجندي: **شذا الأنس في الورد والنرجس**، 22.

([5]) **ديوانه:** 46.

(الطويل)

وَفِي جنَّــةٍ أضْــحَى الأقَــاحُ مُــدَرْهَماً فِـــي جَانِبيْهـــا وَالبَهـــارُ مُـــدَنَّرا[1]

وللورد مكانة عظيمة عند بدر الدين،وعند الملوك والحكَّام، يقال إنَّ (كسرى)مرَّ بـــوردة ساقطة على الأرض، فقال:" أضاع الله من أضاعك "، ونزل عن موكبه، فوضعها على رأسه[2].

وقد تأمل بدر الدين في الورد وجماله، وصفه وصفاً دقيقاً، وبخاصة وقت الصباح، فرآه وقد علاه النّدى كأنَّه محبوب أشرق خده نضارة، وبعد ارتفاع الشمس، وعلوها في السماء، تتفتح وريقات الوردة، وتزهو بلونها، والنّدى قد غطَّى غصنها كأنه حبات لؤلؤ منثورة، يقول:

(الطويل)

وَأشْرَقَ خَــدُّ الــوَرْدِ يَنْــدَى نُضَــارُهُ وَأشْرَقَ جِيدُ الغُصْنِ فِي لُؤْلُؤِ القَطْــرِ[3]

وقد أضاف إلى لوحته عنصري اللون والحركة، ومازج بينهما، ليعبر عـــن أحاسيســـه وأفكاره، في وصف الخمر الحمراء وعليها حبيباتها، كأنَّها ندى سقط علـــى شـــقيق الـــروض الأحمر، فزاده جمالاً وبهاءً، يقول:

(الكامل)

حَمْـــرَاءُ صَـــافِيَةٌ كَـــأنَّ حُبَابَهَـــا طَـــلٌّ تَرَقْـــرَقَ فِـــي شَـــقِيقٍ أحَمَـــرَا[4]

فقد جمع بدر الدين بين نوعيْن من الأزهار، على عادة شعراء الأندلس[5]، حين وصف رائحة الروض الذكية، التي تنتشر في كل جانب،فوصف نبات الشيح ونبـــات الخُزامى،فهاتـــان النبتتان تفوح منهما رائحة تفوق رائحة بقية أزهار الروض، فقال:

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 174.

([2]) انظر البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، ص 112.

([3]) **ديوانه:** 42.

([4]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص360.

([5]) انظر الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1983م، ص 277.

(الرمل)

وَرُبـــوعٍ كَـــمْ وَجَـــدْنا طيبَهَـــا حِينَ ضاعَ الشِّيحُ فِيها[1]وَالخُزامى[2][3]

ولجأ بدر الدين إلى المقارنة بين الأزهار، وتفضيل نوع على آخر، تلك الأقحوانـــة،التي تبسم ضاحكة مفتخرة، متعالية على النرجس، الذي تعلوه لمسة حياءٍ، إلا أنَّ الـــورد زاد جمـــالاً على جمال، وفاق النرجس والأقحوان بإشراقة مبسمه، مع سقوط قطـــرات النَّـــدى، وإشـــراق الشمس، وتغريد الأطيار، يقول:

(الطويل)

وَقَدْ غَضَّ طَرْفُ النَّرجِسِ الغَضِّ مِنْ حَيا بِهِ، وَالأقـــاحي مِنْـــهُ مُبْتَسِـــمُ الثَّغْـــرِ
وَرَاقَـــتْ أزاهيـــرُ الحَـــدائقِ بِالضُّـــحا نَواظِرَ عَـــنْ أحَـــداقِ نُوّارِهـــا النَّضْـــرِ
وَأشـــرَقَ خَـــدُّ الـــوردِ يَنْـــدى نُضـــارُهُ وَأشْرَقَ جِيدُ الغُصْنِ فِي لؤلؤِ القَطـــرِ[4]

الأشجار المثمرة

نالت الأشجار المثمرة نصيباً وافراً من اهتمام الشاعر، وعبّرَ فيهـــا عـــن حبّـــه لهـــذه الأشجار، التي تملأ بلاد الشام.

من الأشجار المثمرة التي وصفها بدر الدين "الرُّمان"، وقد اعتاد الشعراء تشـــبيه نهـــود الغيد بثمره في رقته وشفافيته،أما إذا أزيل عنه قشره، فقد شبهه بفصوص العقيـــق، أو حمالـــة السيف المُزيّن، يقول:

([1]) الشيح: هو نبات سهلي من الفصيلة المركبة، رائحته طيبة قوية. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 502، مادة "شاح".

([2]) الخُزامى: هو نبات من جنس الفصيلة الشّفوية، أنواعه عطرة من أطيب الزهور، واحدته خزاماه. انظر أنيس وآخرين: 1/ 232، مادة "خزم".

([3]) **ديوانه:** 74.

([4]) المصدر نفسه: 42.

(الوافر)

وَرُمَّـــانٍ رَقَيـــقِ القِشْـــرِ يَحْكِـــي نُهُـــودَ الغِيْـــدِ فِـــي أثْـــوابِ لادِ[1]
إذا قَشَّـــــرتَهُ طَلَعَـــــتْ لَنَـــــا فُصُـــوصٌ مِـــنْ عَقيـــقٍ،أوْ بِجَـــادِ [2]

وصف بدر الدين زهر اللوز وجماله،لمّا ظهر نواره المشرق الفاتن مختلف الألوان،وقد استغل الشاعر هذا الاختلاف،فركز على تصوير الأبيض بالشيب، متعجباً من اخضـــراره بعـــد المشيب، ومخالفة الواقع، يقول:

(مخلع البسيط)

مـــــا نَظَـــــرَتْ مُقْلَتـــــي عَجَبَـــــاً كَـــــاللَّوزِ لَمَّـــــا بَـــــدَا نُـــــوَارُهْ
اشْـــتَعَلَ الـــرَّأسُ مِنْـــهُ شَـــيْباً وَاخْضَـــرَّ مِـــنْ بَعْـــدِ ذا عِـــذَارُهْ[3]

ومن الصور الحسية التي رسمها بدر الدين لغصن زهر اللوز، صورة حســناء جميلــة بجمال قدِّها ورقته، واحورار عينيها، تتمايل كلما هبَّ عليها النسيم، ليحمل معه من شذا اللــوز وعبقه، ليعطر به أنفاس زوّاره يقول:

(السريع)

انْظُـــرْ إلـــى اللَّـــوزِ تَجِـــدْ غُصْـــنَهُ أَحْـــوى، رَشِـــيقَ القَـــدِّ، مَيَّاسَـــهْ
بِزَهْـــرِهِ تَعْبَـــثُ رِيَـــحُ الصَّـــبَا وَقَصْـــدُهَا تأخُـــذُ أنْفَاسَـــهْ [4]

وعلى ما يبدو أنَّ بدر الدين يقف في بستان تملؤه أشجار اللوز في فترة تفتحه، وأمام هذا الجمال، يصف نشوة أشجار اللوز وتفاخرها،بميل أغصانها الرطبة، المحمَّلة بالأزهار الجميلــة، وقد تركت ظلاً رطباً ومحبباً، يقول:

([1]) أثواب لاد: ثياب حرير تنسج في الصين.وقد وردت في المعجم بالذال. انظر أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، 845/2، مادة "لَوَذ".

([2]) **ديوانه:** 27.

([3]) انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان(ت911هـ): **حســن المحاضــرة فــي أخبــار مصــر والقاهرة**، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1،ص 368.

([4]) **ديوانه:** 49.

(المخلع البسيط)

اللَّـــــوزُ أشْـــــجارُهُ نَشَـــــاوى بِمَيْـــــلِ أغْصـــــانِهِ الرِّضـــــابِ
مُشْـــــتَبِكٌ زَهْـــــرُهُ عَلَيْنـــــا وَظِلُّـــــهُ الرَّطـــــبُ مُسْـــــتَطابُ[1]

أما شجرة السفرجل، فهي من الأشجار المميَّزة في منطقة دمشق[2]، وقد بـدا أن بـدر الدين أكثر عشقاً لرؤية أزهار شجر السفرجل ، إلى جانب حبِّه زهر أشجار اللوز، يقول:

(الطويل)

وَأشْـتاقُ زَهْـرَ اللَّـوزِ كُـلَّ عشـيَّةٍ وَإنِّي إلى زَهْرِ السَّـفَرْجَلِ أشْـوَقُ [3]

الأشجار غير المثمرة

وصف بدر الدين الأشجار غير المثمرة من بان، وأراك، واعتاد الشعراء منذ القـدم أن يصفوا قدّ المرأة بشجر البان، وشجر البان بقدّ المرأة، وقد وصف بدر الدين شجر البان [4]،بحلته الخضراء،وكأنَّه امرأة جميلة ذات قد ممشوق، يتثنى ليونة وطولاً،ترفل بالملابس الخضراء، وقد علاها حمام مطوّق حسن الصوت يغرد على أغصانها، يقول:

(الطويل)

تَرَنَّحَ عِطْفُ البَانِ فِي الحُلَـلِ الخُضْـرِ وَغَنّى بِألحانٍ عَلى عُـودِهِ القُمْـري [5]

ومن الأشجار التي نالت إعجاب بدر الدين شجر الأراك، وارتبطت شجرة الأراك[6] منذ القدم بالحمائم، التي تقف عليها، وتندب إلفها، فبرز ذلك في شعر بدر الدين، بقوله:

([1]) **ديوانه:** ص 15.

([2]) البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**،ص 249.

([3]) **ديوانه:** 67.

([4]) البان: قيل هو شجر الخلاف بكسر الخاء، والخلاف هو الصفصاف بأنواعه، وهو شجر يسمو، ويطول فـي اسـتواء، خشبه خوار خفيف، وقضبانه سمجة خضر، وهو شجر طويل أخضر يختال بخضرته، ثمرته تشبه قرون اللوبيا، فيها حبّ يقال له"السوع"، إذا أرادوا طبخه رضَّ على الصلاية، " وهي مدق الطيب "، يغربل حتى ينعزل قشره، ثم يطحن. انظـر الجندي: **شذا ا الأنس في الورد والنرجس**، ص 249. أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 522، مادة " صلى".

([5]) انظر الرسالة: ص 66.

([6]) الأراك: نبات شجري من الفصيلة الأراكية، كثير الفروع، خور العود، متقابل الأوراق، له ثمار حمر دكناء، تؤكـل، واحدته أراكه، يقال له السواك. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 14، مادة " أرك ".

(الطويل)

بَكَتْـــهُ حَمَامَـــاتُ الأراكِ، وَشَـــقَّقَتْ عَليهِ الصّبَا أثْوابَ روضَاتِهَا النُّضْـرِ[1]

ويتميز هذا الشجر بطوله، وعظمه، ونعومته، وكثرة أوراقه وأغصانه، وطيب رائحته، ولزيادة جمال الصورة، استخدم الجناس،وحبِّ الطيور له،فهذه الأشجار ترخي أوراقها الخضراء النضرة سعيدة بها، فقال:

(الطويل)

أقامَـــتْ لَهـــا دَوْحُ الأراكِ أرَائِكـــاً وَأرْخَتْ لَها أوْراقَ أستارِها الخُضْـرِ[2]

وصف بدر الدين غلامه بغصن الأراك الليّن النضر عند تثنيه، فقال:

(الخفيف)

يَـــا قَضـــيبَ الأراكِ عِنْـــدَ التَّثَنِّـــي هَزَّ عِطْفَيْـــهِ حِـــينَ مَـــاسَ الشَّـــبابُ[3]

ووقف بدر الدين عند النباتات الموسمية،ومنها:" القنبيط"، فهو في فصل الشـــتاء يعـــاني البرد، ويحاول اتقاء نفسه، اتقاء نبات القنبيط بأضلاعه، والشاعر يرى فيها كل عجيب، عنـــدما تنمو وتلتف حول نفسها، وتطول أضلاعها وتكثر أوراقها،كأنَّها إنسان آلمته الهموم، وأثقله برد الشتاء القارس، يقول:

(الطويل)

فَبِتُ أقَاسِـــي اللَّيْـــلَ بَـــرْدَاً، وَلَـــمْ أزَلْ مُغَطًّى كَـــرَأسِ القَنَّبَـــيْطِ بِأضْـــلاعِي [4]

الطبيعة المتحركة

وصف بدر الدين الطبيعة المتحركة، وسار على نهج القـــدماء فـــي وصـــف الطيـــور والحيوانات التي عايشها، فركّز على الحيوان الأليف، ومنها:

([1]) **ديوانه:** 42.

([2]) المصدر نفسه : ص 42.

([3]) انظر الرسالة: ص 52.

([4]) **ديوانه:** 59.

الخيل

وهي من الحيوانات المشرفة، وقد مدحها الله تعالى في كتابه العزيز، أوصى بها الرسول الكريم فقال:" الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"[1]، وهي عنصر أساسي في حياة الشعوب، لكثرة الحروب، سواء في العصر المملوكي أو غيره، وقد اهتم بدر الدين كغيره من الشعراء بوصف الخيل، وإظهار مواطن حسنها، وسرعة انطلاقها،وما تكابده في أثناء المعارك، يقول:

(البسيط)

وَالخَيْلُ قَدْ نَشَرَتْ مِنْ نَقْعِها صُحُفاً قَامَتْ كَتَائِبُها مَا بَيْنَنَا سَطَرَا[2]

الإبل

أولى العرب الإبل أهمية خاصة، فاستأثرت بحبهم لما فيها من صفات خاصة تميزها عن غيرها من الحيوانات، فهي الحيوان المناسب للصحراء، ما جعلها وسيلة نقل مهمة تتحمل الحرّ والجهد، وتشاركه آلامه ومعاناته أثناء رحلات الحج إلى بلاد الحجاز، فيبدو عليها الهزال والضنى من كثرة الأسفار،وقد عبّر الشاعر عن ذلك بقوله:

(الكامل)

وَالعِيسُ مِثْلُ العَاشِقينَ مَعِ النّوَى حَمَلَتْ مِنْ الأثْقَالِ مَا لَمْ تَحْمِلِ[3]
وَلَكَمْ سَبَقْتُ حُداتِهم بِمَدامِعي حَتَّى جَعَلْتُ قِطَارَهَا فِي الأولِ

وربط بدر الدين بين وصف الرحلة إلى ديار الحجاز، والغزل بنساء شاركن فيها،،وقد ركبْنَ هوادج الإبل،وهن ذوات خصر رشيق، وعيون حوراء ،ولكن الإبل يجاذبها الشوق

([1]) انظر البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت256هـ): **صحيح البخاري**، حققه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، دار الفكر، بيروت، 1991م، ج3، ص 283.

([2]) **ديوانه:** 43.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 171.

والحنين للوصول إلى تلك البقاع المقدسة،على الرغم مما أصابها من تعب ومشقة لطول السفر، ولكنها تشعر بالراحة لغناء سائسها لها،يقول:

(البسيط)

وَالعيسُ تَحْتَ حُدُوجِ[1] الغِيدِ غادِيَةٌ تَشْكُو الكَلالَ مِنْ الأحْدَاجِ وَالكَلَلِ
وَقَدْ تَغَنّى لَهَا الحادي فأطْرَبَهَا وَهْنَاً عَلَى هَضَبَاتِ الرَّمْلِ بِالرَّمْلِ
يَحْمِلْنَ كُلَّ هَضِيمِ الكَشْحِ[2]ذي هَيَفٍ وَكُلَّ أحْوى رَشِيقِ القَدِّ مُعْتَدِلِ[3]

وارتقى الشاعر بالنوق إلى منزلة عليا، بحيث بثها همومه ولواعج صدره، لأنَّها محل ثقته، تتألم لتألمه،وتفرح لفرحه، ومع هذا فشدة شوقها إلى تلك البقاع المقدسة يفوق شدة شوقه، يقول:

(الكامل)

وَالعِيسُ مِنْ شَوْقٍ وَسَوْقٍ دُمُوعِهَا فِي الخَدِّ مِمّا سَالَ فِيهِ تَخَدَّدَا [4] [5]

الطيور

تعددت أصناف الطيور في شعر بدر الدين، وحلَّت الطيور الأليفة منها والجارحة، منطلقة من عالمها الخاص، وحركاتها وسكناتها، وعلاقاتها بغيرها، وجاء وصفه الطيور بأنواعها في معرض ملاهي الصيد ورحلاته، في قصائد كاملة.

الحمام من الطيور التي استهوت بدر الدين، وعبَّر عن مشاعره من خلال الحديث عنها وجاء وصفه للحمائم في غزلياته، وتعبيره عن آلامه، التي لا تبرحه، شأنه في ذلك شأن الحمائم، التي أدمنت النواح والبكاء على الأغصان، إذ قاسمها أشجانه، ولم يقدر على كتمان حبّه، فبهديلها

([1]) الحدوج: مركب من مراكب النساء كالهودج والمحفَّة. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1 / 160، مادة " حدج ".
([2]) الكشح: ما بين الخاصرة والضُّلوع. انظر المصدر نفسه: 2/ 788، مادة " كشح".
([3]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 245.
([4]) تخدّدا: وسمه في الخد، وأثّر فيه. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 220، مادة " خد".
([5]) **ديوانه**: 25.

تثير كوامن لوعته،وتهيّج عواطفه،ولهذا يطلب إلى الحمامة أن تنوح ليتقاسما الأحزان ولوعة الأسى، يقول:

(الكامل)

وَتَنَبَهَتْ ذَاتُ الجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالوادِيَيْنِ، فَنَبَّهَتْ أشَوَاقِي
قَامَتْ تُطَارِحَنِي الغَرامَ جَهَالَةً مِنْ دُونِ صَحْبِي بِالحِمى، وَرِفَاقِي
أنّى تُبَارِيني جَوىً وَصْبَابةً وَكَآبَةً وَهَوىً وَفَيْضَ مآقي[1]

وقد أوضح بدر الدين علاقة الحمام بالغضا من خلال المحسنات المعنوية " الاستخدام"[2]، وسمّي جمر الغضا لقوة ناره، ويقارن الشاعر بين حاله وحالها، ويرى أنه يفوقها ألماً وحزناً، إلا أنها تخفف عن نفسها بنواحها، أما هو، فيبكي ويتمزق ألماً، فيفصح عن ذلك بإنشاده الشعر، يقول:

(السريع)

أحَمَامَةَ الوادِي بِشَرقِيِّ الغَضَا أنْ كُنْتِ مُسْعِدَةَ الكَئِيبِ فَرَجِّعِي
فَلَقَدْ تَقاسَمْنا الغَضَا فَغَصونُهُ فِي راحَتَيْكِ، وَجَمْرُهُ فِي أضْلُعي[3]

وقد جعل بدر الدين من صوت حمام (الوُرق) وسجعه، وتعبيراته، مصدر سعادته، لذا يطلب إليها أن تنوح ليتقاسم معها الأحزان والآلام، يوحدهما صدق الأداء وعفويته' يقول:

(الكامل)

وَأنا الَّذي أُمْلِي الهَوَى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتي تُمْلِي مِنَ الأوْرَاقِ[4]

([1]) **ديوانه:** ص 65.

([2]) الاستخدام: ضرب من ضروب المحسنات المعنوية، وهو ما ذكر فيه اللفظ بمعنى، وعاد عليه الضميرأو ضميران بمعنى آخر، وهذان المعنيان، وقد يكونان حقيقيين، أو مجازيين.انظر خليفة، محمد محمد وآخرين: **مفتاح البلاغة**، ط1، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة،1965، ص 135.

([3]) انظر محفوظ: **شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي**، ص63.

([4]) **ديوانه:** 66.

وتتقاسم الحمامة الهموم مع الشاعر، ليطلب إليها تبليغ صبابته وشعره إلى أحبته، الــذي يشبه سجعها، أو أن تعيره جناحيها كي يحلق بهما، ويشاهد أحبته، ويسعد كما سعد الحمام، وهو يتنقل على الأغصان، يقول:

(السريع)

مَــاذَا عَلَــى طَــائِرِ أَيــكِ الحِمَــى تَبْلِيغُ مَا بِــي مِــنْ جَــوىً وَالتِيَــاحْ؟
وَمِــا عَلَيــهِ مِــنْ جُنَــاحٍ إذا أعــارَني نَحْــوَ حَبِيبِــي جَنَــاحْ
لَنَــا حَــدِيثٌ يَــا حَمَــامَ الحِمَــى تُوَضِّــحُهُ الأَشْــوَاقُ أيَّ اتِّضَــاحْ [1]

ويصف بدر الدين حمامة ورقاء أرّقه نواحها، الذي يشبه ألحان إسحاق الموصلي، وحبِّ نبي الله يعقوب ولوعته على ولده يوسف، فاستجابت له وشاركته حزنه، وقاسمها نجواها، يقول:

(الكامل)

وَرْقَاءُ قَدْ أَخَذَتْ فُنُــونَ الحُــزْنِ عَــنْ يَعقوبَ، وَالألحَــانَ عَــنْ إسْــحاقِ[2][3]

وصف بدر الدين طائر الشحرور، وهو من الأطيار المترنمة، التــي تصــدر أصــواتاً مُطربة،وإلى جانبه طائر البلبل، الفصيح في كلامه، ولكن الشحرور يتمتم بصوته الحزين حتــى لا يكاد أحد يسمعه، يقول:

(السريع)

وَبُلْبُــلُ الــدَّوحِ فَصِــيحٌ عَلَــى الـــ أيكَــــةِ، وَالشُّــــحرُوُر تَمْتَــــامُ[4]

([1]) **ديوانه:** ص 18.

([2]) **إسحاق الموصلي: هو أبو محمد بن إبراهيم بن ميمون الأرجاني الموصلي، أصله من فارس في بيت شــريف مــن العجم، وميمون جده. انظر نعمان، خلف رشيد: إسحاق الموصلي " عالم الموسيقى والغناء في العصر العباســي، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م،ص (60 –63).**

([3]) **ديوانه:** 65.

([4]) المصدر نفسه: ص 76.

طيور الصيد

وخصَّ بدر الدين طيور الصيد بالوصف، حيث شاعت ظاهرة صيد الطيور في عصره، وهي لون من ألوان الترف والنعمة، والبهجة، أخذ الأمراء والوجهاء يقصدون المناطق التي يعهدون بها الطير في مواسمه وأيامه المعروفة [1].

ركّزَ بدر الدين في وصفه على نوع من الطيور تسمى " طيور الواجب "، كما قال المحبي في (خلاصة الأثر)[2]، وهي أربعة عشر نوعاً من الطير ثمانية أعناقها، وستة تحمل بأسيافها، منها عشرة تُعرف بالشتائية: وهي الحُبرج، المسمى (الحُباري)، والتَّمُّ: وهو أعظم طيور الواجب، وأرفعها قدراً، والصوغ، والعُنّاز، والعُقاب، والنسر، والأنيسة، وهي أشرف طيور الواجب، وأعزها وجوداً، وبذلك تسميه الرُماة (الأنيس)، والكركي، والأوز، المعروف بالتركي، واللغلغ، أما الصيفية، فهي: الكُيّ، والغُرنوق، والمَرَزم، والشُبَيْطَر، واللقلق، وكنيتها عند أهل العراق أبو خديج، وعند غيرهم (أبوعُيناز)[3]، وهذه الطيور التي اصطلح أهل الصيد، وأرباب القوس والبندق منذ العصر الأيوبي على أن الرامي لا يطلق عليه اسم (الرامي) ‘حتّى يتمكن من صيدها بالبندق وجوباً [4].

التِّمُّ

وهو من الطيور المائية، وهو طائر نحو الإوز، جليل الشكل، يبعث على الاحترام، أسود ريش الجناح أبيض، في منقاره طول وسواد [5]، وصفه بدر الدين، وقد أقبل يتقدم سربه من الطيور طرباً، يرفرف بجناحيه، كأنه قينة جميلة تعزف على الأوتار، وقد أخذ من الظلام لونه،ولون رجليه المغطاة بريش أسود، إلى جانب المنقار الأسود، يقول:

([1]) نظر حجازي، محمد عبد الواحد: **الألعاب في أدب العرب**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008م، ص 148.

([2]) المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب بن محمد: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**،ج3،ص461.

([3]) انظر العمري: **التعريف بالمصطلح الحديث**، ص 348.المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، 491/3.

([4]) انظر أمين، فوزي محمد: **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول**، دار المعارف، 1982م، ص 349.

([5]) انظرج. هنراك: **موسوعة الطيور المصورة**، ترجمة دويد نوايا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1986م، ص 97.

(الكامل)

فـــالتِّمُّ يُطْـــرِبُ بِالجنَـــاحِ كَأنّـــهُ أيْـــدِي القِيَـــانِ تُحَـــرِّكُ الأوتـــارَا
خَاضَ الظَّلامَ، وَعَبَّ فيـــهِ؛ فسَـــوَّدَ ال رِجْلَـــيْنِ مِنْـــهُ، وَسَـــوَّدَ المِنْقَـــارَا[1]

الأوز

أما الأوز، فهو الطائر الأقل اعتماداً على الماء، وأكثر رشاقة على الأرض [2]، وصف بدر الدين صوت أسرابه الجميلة الهائجة عند قدومها ليلاً، وقد نزعت نفسه لسماع هذه الأصوات لارتباطها بمشاعر الحنين والشوق عند البدر، كما وصف قدومها ليلاً، سرعة نفورها عندما يبدأ خط الصباح،حيث ترفع جناحيها وتصفق بهما وتطير بعيداً، فقال:

(الكامل)

وَالـــوَزُّ كَـــمْ قَـــدْ هاجَنَـــا بِنَغيمِـــهِ لَـــيْلاً، وَكَـــمْ قَـــدْ شَـــاقَنا أسْـــحارَا
فإذا بَـــدَا ضَـــوءُ الصَّـــباحِ ثَنَـــى لَـــهُ عِطفاً، وَصَـــفَّقَ بالجَنَـــاحِ، وَطَـــارا[3]

الكُيُّ

ومن الطيور التي أعجب بها بدر الدين، وهو من الطيور التي تظهر في الصيف، تشوب لونه غُبرة تميل إلى البياض، أحمر المنقار، رجلاه تضربان إلى السـواد [4]، وذهـب إحسـان عباس إلى أنَّه الطائر الذي يسمى " أبو الحجل "[5]،وقد ركز الشاعر على صفاته الطبيعية، فهو طائر أزرق الجلباب، كالشيخ الرئيس[6] تزمّل ببردته، وتبدو عليه علائم الهيبة والوقار، وخـفَّ

([1]) **ديوانه:** 34.

([2]) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (ت1448هـ): **المستطرف في كلِّ فن مستظرف**، طبعـه وعلّـق عليه محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط2، 2006م، ص 626.

([3]) **ديوانه:** 34.

([4]) انظر النويري: **نهاية الأرب**، 10 /203.

([5]) انظر العمري: **التعريف بالمصطلح الحديث**، ص 215.

([6]) الشيخ الرئيس: هو لقب أبو علي الحسين بن سينا، الشيخ: هو ابن سينا،والرئيس: لقب أكتسبه من اشتغاله بالسياسـة، وتوليه الوزارة، فهو أشبه بالحاكم الفيلسوف. انظر الأهواني، أحمد فؤاد: **ابن سينا**، دار المعارف بمصـر، 1958م، ص 19.

خفة الشباب، في تحويمه فوق الماء، وقد مسح جناحيه على الماء،وهو شرس يهاجم الأسماك، مع اشتداد جوعه' يقول:

(الكامل)

وَالكُـــيُّ كَالشَّـــيخِ الـــرَّئيسِ مُزَمَّـــلٌ فِـــي بُردَتَيْـــهِ هَيْبَـــةٌ وَوَقَـــارَا
يسْـطو عَلَـى الأسْـماكِ يومـاً كُلّمـا أذْكَـى لَـهُ حَـرُّ المَجاعَـةِ نـارَا[1]

اللغلغ

وذكر الدميري أنّه اللقلق[2]، ويتميز بالأرجل والرقبة الطويلة،والعيون الصفراء، وهو من الطيور التي فتن بدر الدين بجمال وصغر عيونها، ذات الجفون الصفراء، التي يتطاير منها رماد عن لهب، وكأن ثمرة حمراء اللون قد ذابت فيها فزادتها جمالاً على جمال[3]، يقول:

(الكامل)

وَتَـــرَى اللّغَـــالِغَ تَسْـــتَبيكَ بـــأعْيُنٍ خَزَرِيَّـــةٍ[4] صُـــفْرِ الجُفـــونِ صِـــغْارَا
وَكأنَّ وَرْسـاً[5] ذيـبَ فِـي أجفانِهـا فَحَكَـى النُّضـارَ، وَحَيَّـرَ النُّظَّـارَا[6]

الأنيسة

وهي من الطيور التي سماها الرُماة: الأنيس،جمع أوانس، مأواه الأنهار والأماكن كثيرة المياه، لبست من كلِّ الألوان[7]، تغنّى بدر الدين بهذا الطائر،الذي يرد الروض في الربيع، حيث ازدانت الأرض بجمالها، وكأنها نساء جميلات سلبن عقول المحبين، وهن يتمايلن في مشيتهن،ولكنها أكثر حذراً، وأشد نفوراً عند الخوف، فقال:

([1]) **ديوانه:** 34.

([2]) انظر الدميري، **حياة الحيوان الكبرى:** 2/ 390.

([3]) انظر ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي(ت321هـ)**:جمهرة اللغة**، دار صادر،بيروت، 1992م، ج1، ص16.

([4]) خزرية: خزرت العين – خزراً: صغرت وضاقت خِلقة.انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 231، مادة " خزر".

([5]) الورس: نبت من الفصيلة القرنية، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء، كما يوجد عليه زغب قليل، يستعمل لتلوين الملابس الحريرية، لاحتوائه على مادة حمراء. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 1025، مادة"ورس".

([6]) ديوانه: ص (34 –35).

([7]) انظر الأبشيهي: **المستطرف من كل فن مستظرف**، ص 226.

(الكامل)

وَتَــرَى الأنيســاتِ الأوَانَــسَ تَنْثَنَــي بَــيْنَ الرِّيَــاضِ كَــأنّهنَّ عَــذارَى
يَسْــلِبْنَ أرْبَــابَ العُقــولِ عُقُــولَهُمْ وَيَــرُغْنَ مِنْــهُ حِيلَــةً، وَنِفَــارا[1]

الحُبرج

وهو ذكر الحُبارى[2]، تغنّى بدر الدين بهذا الطائر، فهو كزّهر الــروض، منمــق بــين المروج بألوان مختلفة، وريشه يشبه ريش طائر القطا في ألوانه،وهذا الطائر يبتعد عن جــداول المياه الجارية،ويهجر منزله إلى القفار إذا شعر بالظمأ الشديد، ويقرن الشاعر هنا الحُبرج بالقطا في جمال ريشها وتلوينه، فهو كأزهار الروض المتفتحة كثيرة الألوان، يقول:

(الكامل)

وَتَــرَى الحُبَــارِجَ كَالقَطَــا أرْيَاشُــهَا أوْ كَالرِّيــاضِ تَفَتَّحَــتْ أزْهَــارَا
هَجَرَتْ مَنَازِلَهَــا عَلَــى بَــرْحِ الظَّمَــا وَاسْــتَبْدَلتْ مِــنْ دُونِهــا، قِفَّــارا[3]

أعجب بدر الدين بطائر الكراكي[4]،وريشه الجميل الذي يميل إلــى اللــون الرمــادي، وصوته العالي،ومن أفعاله الواقعية التي وصفها الشاعر، حبُّه للجماعة في نومه،ويطير لمسافات بعيدة على شكل جماعات تشكل أسطر منتظمة في السماء وراء رئيسها، فقال:

(الكامل)

وَتَــرى الكَرَاكِــيَّ كَالرَّمَــادِ، وَرُبَمَّــا قَرَقَتْ؛ فَأذَكَــتِ فِــي القُلُــوبِ النَّــارا
قَدْ سَطَّرَتْ فِــي الجــوِّ مِنْهَــا أسْــطُرَاً وَطَــوَتْ سِــجِلَّ سَــخَائِهَا أسْــفَارَا[5]

([1]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 139.

([2]) انظر الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، 1/ 283.

([3]) انظر الأصبهاني: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، 3 / 676.

([4]) انظر شكر: **الحيوان في الأدب العربي**، ص 203. الصالحي، مصطفى عباس: **الصيد والطرد في الشعر العربي** حتّى نهاية القرن الثاني الهجري، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1981م، ص 134.

([5]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4 / 139.

الغرنوق

وتغنَّى بدر الدين بجمال بهذا الطائر[1]، الذي يختال بجمال ريشه، فله ريشتان تمتدان من رأسه إلى خلفه، معقودتان عند أذنيه، كأنهن ذوائب شعر أبيض في الرأس، وهذه الذوائب جعلت الشاعر يحسبهن فتيات صغيرات السن، ومن صفاتها الطبيعية التي أشاد بها الشاعر حمرة عيونها، التي تشبه كؤوساً من الخمر،يقول:

(الكامل)

وَبَدَتْ غَرَانِيقٌ لَهُنَّ ذَوائِبٌ لَولا البَيَاضُ لَخِلْتَهُنَّ عَذارَى
حُمْرُ العُيُونِ تُديرُ مِنْ أحْدَاقِهَا فِينَا كُؤوساً قَدْ مُلِئْنَ عُقارا[2]

الصّوغ

أعجب بدر الدين بهذا بطائر[3]، وهو يحلق عالياً كالغمام الرقيق في السماء، ويطير واحداً خلف الآخر،،وتميز على غيره من الطيور، بأن له عضواً حاداً يشبه نصل الرمح في حدته، إذا استعمله تفوق على غيره، فقال:

(الكامل)

وَالصَّوغُ فِي أفْقِ السَّماءِ مُحلِّقٌ مِثْلَ الغَمامِ إذا استقلَ وَسارا
ذو مَغْرَزٍ[4]ذَرِبٍ[5] فَلَوْ يَسْطُو بِهِ فَضَحَ السِّنانَ وَأخجَلَ البتّارا[6]

([1]) الغرنوق من طيور الماء، يشبه الكراكي، سُمي الغرنوق لبياضه، جميل المنظر، له قنزعة ذهبية اللون. أنظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2 / 651، مادة" غرنق".

([2]) **ديوانه:** 37.

([3]) الصّوغ: طائر مختلط اللون من السواد والبياض، أكثر ميله إلى الخضرة والأشجار، وذكر في بعض المعاجم العربية باسم"الصرد"، والصرد طائر آخر فهو حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان، يقال له الصّوام، لأنه أول طير صام يوم عاشوراء. انظر الأبشيهي: **المستطرف من كل فن مستظرف**، ص 626.

([4]) مغرز: كل موضع غرز في أصل شيء، جمع مغارز. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 649، مادة " غرز".

([5]) ذرب: صار حديداً ماضياً. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 310، مادة " ذرب".

([6]) **ديوانه:** 37.

المرازم

ووصف بدر الدين طائر المرازم، مفردة مُرزم، فهو طائر أبيض اللون، في أطراف ريشه حمرة، فيبدو كالورد الأحمر إذا نثر بين زهر الياسمين الأبيض،أما أجنحته الطويلة فكأنّها مراوح، فقال:

(الكامل)

وَمُرازِمٌ بِيضٌ، وَحُمْرٌ، رِيشُها كَالوَرْدِ بَيْنَ الياسمينِ نِثارا
خَفَقَتْ بِأجْنِحَةٍ عَلَى مُحْمَرَّةٍ كَمَراوِحٍ أَضْرَمِنَ مِنْهُ جِمارا[1]

الشبيطر

أما طائر الشبيطر الذي يسمى عالمياً " البلشون"، أو مالك الحزين[2]،فوصف بدر الدين بعض أفعاله الواقعية، التي ميزته بالفطنة والذكاء،ومنها أنّه حين يشعر بالدفء حتى يبني له بيتاً في أعلى شجرة،أو في جدار،يحب منزله حباً شديداً،وإذا أردتَ صيده فانتظر حتى يفارق بيته، يقول:

(الكامل)

وَشُبَيْطَرٌ مَا إنْ يَحِلُّ لَهُ دَمٌ مَهْمَا عَلا شَجَراً، وَحَلَّ جِدارا
وَالسِّرُّ فِيهِ إلفُهُ لِمَنازِلٍ فَاصْبِرْ لَهُ حَتّى يُفارِقُ دَارَا[3]

العُنَّاز

وفتن بدر الدين بهذا الطائر[4]، الذي تميز بريشه الجميل، وكأنه شيخ تجلل بثوب أسود،تحته ثوب أبيض،حيث أشرق بياضه في سواده، ولكنه ضاق بما يلبس من السواد، فأخذ يفك ما يلبسه فوق قميصه، يقول:

([1]) انظر العمري: **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص 354.

([2]) انظر ج. هنرك: **موسوعة الطيور المصورة**، ص 56.

([3]) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، 4 / 140.

([4]) العُنّاز: هو طائر أسود اللون، أبيض الصدر، أحمر الرجلين والمنقار. انظر العمري: **التعريف بالمصطلح الشريف**، 355.

(الكامل)

وَكَأَنَّمَـــا العُنّـــازُ لَمّـــا أنْ بَـــدَا لَبِسَ السَّـوادَ عَلـى البَيـاضِ غِيَـارا
وَكأنّـــهُ قَـــدْ ضَـــاقَ عَنْـــهُ مُـــزَرَّرَاً فَـــوقَ القَمِـــيصِ فَحَلَّـــلَ الأزْرَارَا [1]

وتميز منقاره ورجلاه باللون الأحمر، فكأنه عبَّ في كأس خمر، أو خاض في بحر من الدم، يقول:

(الكامل)

هَلْ عَبَّ فِي صَـرْفِ العُقَـارِ بِمَغْـرَزٍ أمْ كَانَ خَاضَ مِـنْ الـدّمَاءِ بِحَـارَا[2]

النعام

ووصف بدر الدين النعام، وطلب من صاحبه أن ينهض إلى المرعى باكراً، فقد بزغ الفجر، ونبَّه الأطيار، ليرى تتابع الطيور أسراباً وجماعات، وكأنَّها نعام يتسابق مسرعاً، يقول:

(الكامل)

وَتَتَابَعَـــتْ جُفاتُهـــا[3] **فِـــي أُفْقِهـــا مِثْـــلَ النَعَـــامِ قَوادِمَـــاً تَتَبَـــارى**[4]

واهتم بسباع الطير وجوارحها، قدر اهتمامه بالطيور الأليفة،ووصف بعض صفاتها الطبيعة، وعاداتها وأفعالها الواقعية،وربطها بمشاعره وأغراضه الشعرية، فوصف الشاعر العُقاب،وركّز على بعض صفاتها الطبيعية،فهي من كواسر الطير وجوارحه، تنقضُّ على فريستها تعمل فيها ما تعمل، وتنشب فيها أظافرها،مستعملة كفّها، وتترك مخالبها ثقوباً في جسد فريستها [5]، ويستخدم الشاعر الطباق في إبراز بعض صفاتها المعنوية التي تميّزها عن غيرها

([1]) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 140.

([2]) **ديوانه**: 38.

([3]) جفاتها: الجُفة، والجَفة: جماعة الناس. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 127، مادة "جفَّ".

([4]) هكذا في الأصل. انظر اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 140.

([5]) انظر الجاحظ: **الحيوان**، 7/ 37.

من الطيور،ومن ذلك " تمنع وتعطي" وسبب ذلك إما التكرم على غيرها أو غيْرة منها، وكأنَّهـا إنسان كريم، يمتاز بالغيرة والبأس، فقال:

(الكامل)

وَإذا العُقـابُ سَـطَا وَصَـالَ بِكَفّـهِ عَايَنْـتُ مِنْـهُ كَاسِـراً جَبّـارَا
يُعْطِـي، وَيَمْنَـعُ غيْـرَةً وَتَكرُّمـاً وَيُبـيحُ مَمْنوعـاً، وَيمْنَـعُ جَـارَا[1]

ووقف عند النِسر' الذي عُدَّ من سلاطين الطيور، فوصف جناحيه الكبيـريين القـويين، كأنها درع صنع من حديد، يلبسه محارب شجاع لحمايته،ولكن هذا الدرع لا يمنع قدراً، يقول:

(الكامل)

وَالنَّسْـرُ سُـلْطَانٌ لَهَـا، لَكِنّـهُ لَـمْ يَلْقَهَـا لِـدمَائِها مِهْـدارا
أرْخَـى جَنَاحَيـهِ عَلَيْـهِ كَجَوشَـنٍ لَـوْ كَـانَ يَمْنَـعُ دُونَـهُ الأقْـدارا[2]

وضربوا به المثل بطول العمر، يقول:

(الكامل)

قَدْ شَابَ منْهُ رَأسُـهُ مِـنْ طُـولِ مَـا كَـرَّتْ عَلَيـهِ عُصُـورُهُ الأدْوارا[3]

وخلاصة القول إنّ الصفات التي جاء بها بدر الدين لهذه الطيور، تكاد تتقارب وصورتها الطبيعية، وأفعالها الواقعية.

الخمريات

وصف بدر الدين الخمر وأدواتها،وتفنن في تلوين لوحاتها، وما يرافقها مـن طقـوس، وطرب، وغناء، وصوّر أوانيها وكؤوسها، ومجالسها، وسقاتها، وأثرها في شاربيها ويبدو أنه لم يأت بجديد في وصفها، نظم فيها أشعاراً تراوحت بين مقطوعات قصيرة، وأبيات ضمنَّها قصائد

([1]) **ديوانه:** 36.
([2]) المصدر نفسه :ص 36.
([3]) المصدر نفسه : ص 37.

الوصف والغزل، ولعل مبعث اهتمام الشاعر بالخمر، هو هروبه من الواقع المرّ، ففي الكأس يجد ما ينسيه واقعه وهمومه،يقول:

(البسيط)

وَانْفِ الهُمومَ بِهَا عَنّي فَقَدْ كَثُرتْ الآمُهَا وَاشْفِ مَا بِالقَلْبِ مِنْ دَاءِ[1]

ويبدو أن بدر الدين كان مغرماً بالخمر يشربها صافية مشعشعة غير ممزوجة بالماء، يقول:

(البسيط)

لا تَلْحَنِي فِي سَاقٍ، وَصَهْبَائِي وَسْقِّنِي كَأسَهَا صِرفاً بِلا مَاءِ[2]

وكان أكثر رغبة في احتساء الخمر صباحاً، وسط البساتين التي تكثر فيها الطيور ذات الأصوات الشجية، مثل البلبل والهزار، يقول:

(الكامل)

وَدَعَا إلى شُرْبِ الأصائِلِ وَالضُّحى فِي كُلِّ وادٍ بُلْبُلٌ وَهَزارُ [3]،[4]

أنّهَ كان محباً للخمر المعتقة، شأنه شأن سابقيه من الشعراء، فها هو يفضل الخمر التي عتقت في ذي قار، وقد ثوت في دنها حقباً متلاحقة من عهد كسرى، يقول:

(البسيط)

صَهْبَاءُ مِنْ عَهْدِ كِسْرى حِينَ عَتَّقها فِي دَنِّها، وَبِهِ كَانَتْ بِذي قَارِ[5]

([1]) **ديوانه:** 11.

([2]) المصدر نفسه: ص 10.

([3]) الهزار: طائر حسن الصوت، (فارسي معرب)، ويقال له: هزار دستان ؛ لأنه يغني ألحاناً كثيرة، و"هزار" في الفارسية بمعنى الألف. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 984.

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([5]) ذي قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، بينها وبين واسط. وكان يوم من أعظم أيام العرب، انتصف فيه العرب من العجم، وبه انتصروا، وكان يسكن بها بنو شيبان، فأتى العجم بقيادة كسرى لقتال العرب، فانهزمت العجم خوفاً من العطش، وأبلت بعض القبائل بلاء حسناً. انظر ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 1مج، ص (482–490). القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص 457. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 4/ 333.

وهي صافية تجذبه بلطف، ولا تُرى في الكأسِ لشدة رقتها، يقول:

(الكامل)

رَاقَـــتْ وَرِقَّـــتْ مَنْظَـــرَاً وَلَطَافَـــةً وَشَفَتْ وَشَفَّتْ فِي الكُؤوسِ فَلَنْ تُـــرى[1]

ويمزج بدر الدين بين الخمر والوصف، فيصف كأسها برقته وشـــفافيته،كأنَّها الشـــمس بنورها، وإذا لمسها الماء أعاد لها روحها وحياتها،وأشعرته بالدفء بعـــد بـــرد شديد،وشـــمس أضاءت من خلال السحب التي تحجبها، وقصد بالسحاب الفقاقيع التي تطفو على سطحها، يقول:

(مجزوءالكامل)

تَبْـــــدو لَنَـــــا فِـــــي كَأسِـــــهَا كَالشّـــمسِ فِـــي خُلَـــلِ السّـــحَابْ
كَالمَـــــاءِ تلمسُـــــها وَلَـــــــَ كِـــــنْ فِعْلُهـــا فِعْـــلَ الحَبَـــاب[2]

فهي زجاجة صفراء شفافة، ذهبية اللون، يحملها الساقي على راحته، ويدور بها، كمـــا يبدو في قوله:

(الكامل)

وَأَشْـــرَبْ عَلَـــى ذَهَبِيّـــةِ الأَوْراقِ مِـــنْ ذَهَبِيّـــةٍ بِيَـــدِ السُّـــقاةِ تُـــدارُ[3]

ويصف الشاعر كأس الخمر، وما كان يطفو فوقها من حباب، فيصورها دموعاً تـــذرف من عيون فتاة عذراء جميلة،ويقرن بالشمس صفاء الخمر،فهي تتلألأ في كؤوسها، وقـــد خلَّـــف النَّدى على ردائها حمرة كحمرة الشقيق من الورد، يقول:

(البسيط)

عَـــذراءُ مَشْـــمولَةٌ تَطْفـــو فَواقِعُهـــا كَأَنَّهـــا أَدْمُـــعٌ فِـــي خَـــدِّ عَـــذْرَاءِ[4]

وقال أيضاً:

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 360.

([2]) **ديوانه**: 360.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([4]) **ديوانه**: 10.

(الكامل)

حَمْـــرَاءُ صَـــافِيةٌ كَـــأنَّ حَبَابَهـــا طَـــلٌّ تَرَقــرقَ فِـــي شَـــقيقٍ أحمـــراُ[1]

وبدا أنَّ بدر الدين متأثراً بقول أبي نواس:

(الطويل)

تُدارُ عَليهـــا الـــرَّاحُ مِـــنْ عَسْـــجَدِيَةٍ حَبَتْهـــا بـــألوانِ التَّصـــاويرِ فـــارِسُ
قَرارتُهـــا كِســـرى وَفـــي جَنَباتِهـــا مَهـــا تُـــديرُها بِالقسِّـــي الفَـــوارِسُ [2]

فجاء بالصور الرقيقة تزين الكؤوس، وكتابة بعض العبارات عليها، وما اتخذه أصحاب المجالس من تصوير الأبطال وهم يركبون الخيل، فقد وصف شكلها،وما تراه العين منها، وكأنَّ شاربي الخمر بعضهم في حالة سكر، وعندما ينظرون إلى الكأس يرون هؤلاء الأبطال كأنَّهم في معركة حامية الوطيس يسبحون في الدماء، الذي هو لون الخمر، يقول:

(الكامل)

انظُرْ إلى صُـورَ الفَـوارِسِ إذْ بَـدَتْ بِالخَيْلِ فِـــي كَـــأسِ المُدامَـــةِ تَرتَمـــي
مَا بَيْنَ طَـــافٍ فِـــي المُـــدامِ، ورَاســـبٍ كَفَوارِسِ الهَيجاءِ تَسْبَحُ فِـــي الـــدَّمِ[3]

ويمزج بين الخمر والغزل، وقد شبه الخمر بالعجوز صاحبة الخبرة والدرايـــة، إذا مـــا تكلمت مع الحسان بلطف، فإنَّها تليّن أخلاقهن، يقول:

(الطويل)

هِيَ الخَمْـــرُ تُـــدعى بِـــالعَجُوزِ لأنّهَـــا إذا شَافَهَتْ عُضْوَ الحِسَـــانِ تَجُـــودُ [4]

وتغنَّى الشاعر بمجالس الخمر، التي كانت تقام في أحضان الطبيعـــة، حيـــث الريـــاض النضرة، ومياه الأنهار، والأشجار والطيور المغردة، وسط جو مفعم بالمرح والأنس والبهجـــة، يقول معبراً عن هذه المعاني:

([1]) الأزهري: **مستوفي الدواوين**، 2/ 237.

([2]) أبو نواس، الحسن بن هانئ: **ديوان أبي نواس**، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي،بيروت، ط دار صادر، بدون تاريخ، ص 360.

([3]) **ديوانه:** 78.

([4]) الأزهري: مستوفي الدواوين، 2/ 237.

(السريع)

ادِرْ كُــؤوسَ الــرّاحِ فِــي رَوضَــةٍ قَــدْ نَمَّقَــتْ أبْرَادَهــا السّــحُبُ
الطَّيــرُ فِيهــا شَــيِّقٌ مُغْــرَمٌ وَجَــدْوَلُ المَــاءِ بِهــا صَــبُّ[1]

ووصف الحانات وأصحابها، وتحدث عن دوره وواجبه في توفير الاحتياجات التي ترغب بها حانته، من انتقاء البارعين من السُّقاة[2]، والخمر المعتقة في جرار، وإذا شُربت أحدثت صوتاً يشبه صوت إنسان مجهد، يقول:

(الكامل)

وَاجْــنَحْ لِحانَــةِ كَرْمَــةٍ فِــي ظِلِهــا وَالــرَّاحُ بِكْــرٌ وَالــدَّنانُ عِشــارُ[3]،[4]

ويعدُّ الخمّار عنصراً أساسياً في خمريات بدر الدين، موكل باستقبال عشاق الخمرة من الزائرين،وهو يحمل كؤوساً ملونة بالنقوش، على راحتيه، كأنها ورود قد زينت بالنّوار، يقول:

(البسيط)

قَدْ أمْطَرَتْ رَاحَةُ السَّاقي الكُؤوسَ لنَــا فَأنبَتتهــا رِياضَــاً ذاتَ نُــوّارِ[5]

ويبدو إخلاص بدر الدين للخمر في حُسن وصفها وتسميتها،فذكرها بأسماء عدة منها: القهوة [6]، والصهباء [7]، والرّاح [8]، والسلافة [9]، والمُدام [10]، وذكر كذلك عدة ألوان لها فهي حمراء تارة، وتارة، صفراء.

([1]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 123.

([2]) انظر باشا: **الأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك**، ص 518.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([4]) عِشار: اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها، فهي حديثة العهد بالنتاج،وقد وضعت أولادها. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 9/ 252، مادة " عشر".

([5]) **ديوانه**: 41.

([6]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 360.

([7]) **ديوانه**: 41.

([8]) المصدر نفسه: ص 41.

([9]) المصدر نفسه: ص66.

([10]) المصدر نفسه:ص 78.

مظاهر الحضارة

ووصف مظاهر الحضارة،التي كانت مجالاً للتنافس بين الشعراء،ويدل هذا على رهافة حس، وامتلاك ناصية اللغة، ورغبة في إظهار القدرة على الابتكار والتجديد،وتوظيف المعاني المستمدة من البيئة [1]،وإبراز روح الفكاهة الساخرة، ونقد المجتمع وإظهار ما فيه من انحرافات، ووصف الشاعر هذه الأدوات يحمل المعاني التي صُنعت من أجلها.

ومن هذه الأدوات أدوات الحرب والقتال،حيث امتاز عصر بدر الدين بعدم الاستقرار لكثرة الحروب مع الصليبيين والمغول، والفتن الداخلية بين الولاة والسلاطين، وأدت هذه الفتن والحروب إلى اقتناء أدوات الحرب من سيوف ورماحٍ،ودروع [2].

ووصف السيف، والتفنن في صناعته، فهو سيف بتار، لامع كنجمٍ قد هوى منه شهاب، يهوي على الأعداء، ومن السيوف الرقيقة البيضاء التي لا تستقر في مكان، يقول:

(الطويل)

وَذي شُـطَبٍ مَـاضٍ، إذَا مَـا سَـلَلْتَهُ تَرَاهُ كَـنَجْمِ الـرَّجمِ، يَهـوى شِـهابُهُ
مِنْ المُرْهَفاتِ[3] البِيضِ دَبَّـت نِمالُـهُ وَطَارَ مَـعَ الْهَـامِ المُطـارَدِ نابُـهُ[4]

وإلى جانبه الرماح التي افتخر بها الشعراء، ونظموا بها شعراً، يقول:

(البسيط)

تُملي عَلَيْنا الرُّدينيَّـاتُ[5] مـا نَظَمَـتْ فِيها، وَيُمْلي عَلَيْنَا السَّيفُ مَـا نَثَـرَا[6]

([1]) انظر الرُّقب: **دراسات في الأدب الأيوبي والمملوكي**، ص(166- 167).

([2]) انظر أمين، بكري شيخ: **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، ص 27. عبد المهدي، عبد الجليل حسن: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، ط2، دار البشير، عمّان، 1995م، ص 48.

([3]) المرهفات: رقَّ ولطف، فهو رهيف، وهي رهيفة، يقال سيف رهيف. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 378، مادة " رهف".

([4]) **ديوانه**: 14.

([5]) الرُّديني: الرُّمح: نسبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوِّم الرِّماح. انظر أنيس آخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 340، مادة "ردن".

([6]) **ديوانه**: 43.

شغف بدر الدين بالصيد ووصف أدواته،والصيد رياضة نبيلة، تسمو بـــالنفس، وتهـــذب الخلق، ولم يكن قاصراً على الملوك والمترفين، وكان شائعاً بين طبقات المجتمع،ويبدو أن هدف الشاعر من الصيد، قضاء أوقات جميلة مع الأصدقاء على ضفاف الأنهار والغدران،ويتميز هذا اللون من رحلات الصيد بالسرعة والقصر، يقول:

(الكامل)

وَعَلى الحِمَـــى يَومَـــاً وَنَحْـــنُ بِلَهْوِنِـــا نَصِـــلُ النّهَـــارَ وَنَقْطَـــعُ الأَنْهَـــارَا[1]

ومن أنواع الصيد التي أغرم بدر الدين بها " الرمي بالبندق"[2]،وكان للرمي بالبندق شأن عظيم في العصور الوسطى [3]،وباتت إحدى الألعاب المشهورة في العصر المملوكي، ويصـــوّر الشاعر بندقه، وقوة تركيزه ومقدرته، حيث يرفع قسي البندق مرة ويخفضه مرة أخرى،ليصـــيد هذه الطيور،ولكنه لا يستطيع إصابتها لمراوغتها، يقول:

(الكامل)

لا بُنْـــدقي مَهْمَـــا خَطَـــرْتُ يَنَالُـــهُ أَنَّـــى يَنَـــالُ مُراوِغـــاً طَيَّـــارا؟[4]

وقد حرص بدر الدين على إبراز مقدرته الفنية، وسعى إلى توظيف المعاني المنتزعـــة من بيئته،فوصف القوس[5]،التي هي أداة صيده، وقد أعدَّ كنانته محشوة بتلك السهام المصـــقولة، وطلب الشاعر من صاحبه الاستماع لصوتها عند رميها، وكأنَّها حريق اشتعل بقـــوة وأصـــدر شرراً مضيئاً، يقول:

([1]) **ديوانه** :ص 30.

([2]) البندق: أصلها الفارسي "جلامق": وهي سلاح صيد كان معروفاً في العصر الإسلامي المتـــأخر،على شـــكل كـــرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص،وهو عبارة عن قوس ملفوف بالحرير وفي وسطه وتره قطعة دائريـــة الشكل توضع فيها البندقة في أثناء الرمي، لذا سمي قوس البندق، وسميت بالعربية " البندق"، ومنها اشتقت البندقيـــة علـــى طريق النسب. انظر الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ص 175. الصالحي: **الصيد والطرد**، ص 182.

([3]) انظر الجاحظ: **البيان والتبيين**، 3/ 87.

([4]) **ديوانه**: 31.

([5]) انظر النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 6/ 222.

(الكامل)

فأَصِخْ إلى رَشْـقِ القَسـيِّ إذا ارْتَمـتْ مِثْلَ الحَرِيـقِ أطَـارَ عَنْـهُ شَـرَارَا[1]

ومـن الأدوات والأشـياء الماديـة، التـي وصـفها بـدر الدين،الشـمعة، وكـانون النّار،والفحم،وكان وصفها ظاهرة عامة لم يقتصر على شاعر دون غيره، أما الشـموع، التـي كانت تزين المجالس، وتضفي عليها جواً من الرومانسية، بنورهـا الخافت،فـانبرى الشـاعر يصفها، ويتفنن في رسم صور لها، مفعمة بالألوان، تدل على سعة خياله،فهي تجلـو الظـلام، وتبدد الأحزان، فهي تارة باكية شاكية، وضاحكة تارة،ودموعها ما زالت تنزل بغزارة، كأنهـا حسناء شابت ذؤابتاها من غير كبر، يقول:

(البسيط)

وَشَـمْعَةٍ وَقَفَـتْ تَشْـكُو لَنَـا حُرُقـاً وَدَمْعُهَـا لَـمْ تَـزَلْ تَهْمِـي سَـواكِبُهَا
وَحَيْدَةً فِي الدُّجَا مِنْ طُولِ مَـا مَكَثَـتْ تُكَابِدُ الليـلَ قَـدْ شَـابَت ذَوائِبُهَـا [2]

ويمضي في رسم لوحة غنية بالصور المستمدة من بيئته، فالشمعة صاحبة قـدٍّ أهيـف، وهذا القد يلتهب بشعلة تشبه قناة من فضة لا تحتاج إلى تهذيب، وشعلتها تشبه حد رمح لامـع كالذَّهب، يقول:

(مجزوء الرجز)

وَذَاتِ قَـدٍّ أهْيَـفٍ فُؤادُهَـا قَـدِ التَهَـبْ
كَصَـعْدَةٍ مِـنْ فِضَّـةٍ لَهَـا سِـنَانٌ مِـنْ ذَهَـبْ [3]

وهي تحترق بالنّار،لتؤنس غيرها، وتبكي بدموعها الغزيرة، وهذا الوصف من ألطـف أوصافها، وقد شبهها الشاعر بغصن يحمل نواره، ويتباهى به، يقول:

([1]) **ديوانه:** 33.

([2]) المصدر نفسه: 14.

([3]) المصدر نفسه: 12.

(المجتث)

وَبِنْـــــــتِ لَيْـــــــلٍ بِكَتْنـــــــا بِدَمْعَـــــــــــةٍ مِـــــــــــدْرَارَهْ
كَأَنَّمَـــــــا هِـــــــي غُصْـــــــنٌ فِـــــــي رَأسِـــــــهِ جلَّنَـــــــارُهْ [1]

فقد وازن بدر الدين بين جمال الشمعة وجمال غلام أتى بها في مجلس الأنس،وأخذ يقطعها عرضاً، وقد لجأ الشاعر إلى الجناس،(يَقُطُّ، قَطْ)، لزيادة جمال صورته، يقول:

(مجزوء الرجز)

وَذِي قَـــــــــوامٍ أهْيَـــــــــفٍ بَـــــيْنَ النَّـــــدامى قَـــــدْ بَسَـــــطْ
قَـــــــامَ يَقُـــــــطُ شَـــــــمْعَةً فَهَـــــلْ رَأيْـــــتَ البَـــــدْرَ قَـــــطْ؟[2]

أخذت أدوات التدفئة مكانة لا يستهان بها في شعر بدر الدين،فقد جاء الشتاء ببرده القارس، وهو لا يمتلك إلا كانوناً خالياً من الفحم، يقول:

(السريع)

وَقَصْـــلُهُ البـــارِدُ قَـــدْ جَـــاءَ نـــي مِنْـــهُ بِكـــانُونٍ بِـــلا فَحْـــمِ[3]

وكان قد طلب الفحم من أحد أصدقائه، وجاء هذا الطلب على شكل لغز، فيه نوع من الفكاهة والتملح، يقول:

(الوافر)

بِـــهِ حُـــرْقٌ وبَـــي حَـــرَقٌ إليْـــهِ وَأرْجُـــو أنْ أُزَادَ بِـــهِ لَهيْبَـــا
وكَـــمْ أبْـــدَى لَنَـــا نَـــاراً يَبِيســـاً وَقِـــدْمَاً كَـــانَ يُخْفيهَـــا رَطْيبَـــا[4]

([1]) **ديوانه:** 45.

([2]) المصدر نفسه: ص 55.

([3]) المصدر نفسه: ص 78.

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 183.

أدوات الكتابة

ولم ينس أدوات الكتابة،التي وصفها لتسير في ركاب مدائحه، فكتابــه للممــدوح رداء يجلب له الخير، كتبه لممدوحه بلسان قلم بقدّه الرفيع،الذي يشبه قدّ حسناء، نقط وأسطر تتــداخل فيها الألوان،فقد بدت هذه الأسطر، وكأنها الكحل في عين تلك حسناء، يقول:

(الطويل)

أمِنْ قَلَــمِ الرَّيْحــانِ فِــي خَــدّه نُقَــطْ وَفِي قَدّهِ مِنْ لِــينِ مَــا تُنْبِــتُ الخَــطُ
بَــدَا مِنْــهُ سَــطْرُ العُيــونِ مُحقَّــقٌ فَمُثّــلَ خَطــاً لا يُماثِلــهُ خَــطُ[1]

ويبدو أنَّ بدر الدين كان ذا خطٍ جميل،يكتب الحروف أولاً،ويحاول أن يجد لها شبيهاً في الطبيعة، ومن أعضاء جسم الإنسان، فتسمية الأعضاء شيء أكثر منه الشــعراء،لأنَّ الحــروف وأشكالها ووضع النقط عليها يمثل وسواساً يهتف في أذن الشاعر ساعة كتابــة الشــعر، فشــبه الشاعر الفم بحرف الميم في استدارته،والعين بالصاد،والهمزة على الألف كأنَّها حمامة تقف على غصن، فقال:

(الكامل)

وَفَــمٌ يُحــاكي المــيمَ إلاَّ أنَّــهُ كَــمْ حولَــهُ عَــيْنٌ تَحُــومُ كَصَــادِ [2]

وقال أيضاً: (الطويل)

بِهــا ألفــاتٌ مِــنْ غُصــونٍ تَمَثَّــتْ كَأنَّ عَليهَــا مِــنْ حَمائِمِهَــا هَمْــزَا[3]

ووصف مظاهر الحضارة والمدنية من قصور، ومساجد، ومتنزهات،ونواعير، وقد أفرد لها مقطوعات شعرية يتجاوز بعضها البيتين، ومنها الجامع الأموي، وهو من أبرز المعالم التي زادت دمشق بهاءً وجمالاً، وحبتها منزلة خاصة بين مدن الشام،وهو من أشهر الجوامع حســناً،

([1]) انظر الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير** والأعلام،حوادث ووفيات (671– 680هـ) ص 378.

([2]) **ديوانه:** 27.

([3]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، (415– 416).

واتقاناً، وسعة، وتزييناً[1]، حيث قال ابن عساكر:" شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه..." [2].

ويبدو أنَّ بدر الدين كان ينام في هذا المسجد في وقت زاد فيه الضيق والفقر والبرد، وقد خلا من الفرش،الذي يجلب الدفء، ومع هذا بيّن الشاعر محاسن هذا المسجد، ببلاطاته الرخامية المتصلة بالقبلة، وسقف الجامع كله ألواح من الرصاص[3]، يقول:

(الخفيف)

طَـــال نَـــومي بِالجَـــامِعِ الرَّحـــبِ،والبَرْ دُ مُبَـــدٍّ، وَلَـــيْسَ مِنْـــهُ خَـــلاصُ
كَيْـــفَ أدفـــأُ وَفِيـــهِ تَحْتـــي بَـــلاطٌ وَرُخامٌ حَـــولي، وَفَـــوقِي رَصـــاصُ؟[4]

النواعير

أثارت النواعير بمنظرها الساحر الخلاب، وأنينها العذب الشجي، وحزنها شكوى بـــدر الدين وقد ضلَّ عنه حبيبه، لذا فهي تستجديه بالبكاء والنحيب، وهي تنثر الماء نثراً، وإذا تعثـــر الماء في مشيته،أخذت تبكي، ودموعها تتطاير رذاذاً على الأزهار لتجعلها تضحك، يقول:

(مجزوء الرمل)

رُبَّ نـــــــــــــــاعورةِ رَوْضٍ بـــــــاتَ تَنْـــــــدى وَتفُـــــــوحُ
تَضْـــــــحَكُ الأزهـــــــارُ مِنْهـــــــا وَهـــــــي تَبْكـــــــي وَتَنُـــــــوحُ [5]

ويستمد بدر الدين صوره من واقعه، فالدولاب عادة يستخدم لرفع الماء من النهر،ويحمل الماء إلى القصور، وسقاية الأشجار والأزهار،ويفسر الشـــاعر ســـبب جريـــان المـــاء ودوران

([1]) انظر عطوان: **الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي**، ص 43.

([2]) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، 2/ 249.

([3]) انظر البدري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، ص (52- 55).

([4]) **ديوانه:** 53.

([5]) المصدر نفسه: ص19.

الدولاب، وأضفى عليهما من الصفات الإنسانية، فإذا تعثر النهر في مشيته وانكسر، ندبه الدولاب، وبكى عليه، أما الأغصان، فهي تبكي، حيث اختفت رائحة أزهارها يقول:

(مجزوء الرجز)

وَرَوْضَةٍ دُولابُهَا إلى الغُصُونِ قَدْ شَكَا
مِنْ حِينِ ضَاعَ نَشْرُهَا دَارَ عَلَيهَا، وَبَكَى [1]

وخلاصة القول: إنّ بدر الدين هرع إلى الطبيعة بحدائقها وطيورها وزهورها،ومظاهر الحضارة بأنواعها، يلتمس فيها الجمال، وتعبير عن أحاسيسه إزاء ما يصفه،ليزيد هذه المعاني وضوحاً، ويؤثر في عاطفة المتلقي تأثيراً بيناً.

رابعاً: الهجاء

الهجاء من الفنون التي وجدت في الشعر العربي، ووجوده أمر طبيعي مع وجود المديح، ولقد تطوّر هذا الفن تطوراً كبيراً في العصر المملوكي، لتغير الأسباب الدافعة إليه، وتطور الذوق العام [2]، وظاهرة التكسب بالشعر التي تُعدُّ من العامل التي أسهمت في رواج شعر الهجاء وارتقائه إلى مصاف شعر المديح [3].

قوي الهجاء في العصور المتأخرة،لما له من أهمية في رفع القيمة الاجتماعية للناس، أو انخفاضها؛ لأنه يأتي على انتقاص المهجو، وتجنبه الصفات التي افتخرت بها العرب،إلى جانب تنافس الشعراء أمام الأمراء والملوك، فلم يرقَ هجاؤهم إلى درجة عالية، كما كان في عصوره المتقدمة، واقتصر بعضه على الاستخفاف والتقريع والتنكيل واستهجان الخلق السيء بروح من الدعابة والهزلية [4].

([1]) انظر الرسالة: ص70.

([2]) انظر أمين: **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، ص135. الشّعار، فواز: **الأدب العربي**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999م، ص109.

([3]) انظر يوسف: الشعر العربي أيام المماليك من عاصرهم من ذوي السلطان، ص248.

([4]) الحويطات، مفلح ضبعان: **شعر الهجاء في مصر والشام زمن الحروب الصليبية** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة، الكرك – الأردن، 1999م، ص 48.

وقد نبه النقاد إلى أن تكون هذه المناقب والصفات معنوية خُلقية، وليست حسية مادية خَلقية، قال أبو هلال العسكري:" الهجاء أيضاً إذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس، ويثبت الصفات المستهجنة التي تختصها أيضاً لم يكن مختاراً، والاختيار أن ينسب المهجو إلى اللؤم والبخل والشَّر، وما شابه ذلك، وليس بالمختار في الهجاء أن ينسبه إلى قبح الوجه وصغر الحجم، وضؤوله الجسم" [1].

ويرى ابن رشيق:"أن أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخِلْقة الجسمية من المعايب، فالهجاء به دون ما تقدم"[2]، ودعا النقاد الشعراء القدماء إلى عدم الإطالة في الهجاء، ونبذ الكلام الفاحش فيه، لأنَّ ذلك أجود وأصوب[3].

وقد سار بدر الدين في هجائه على منوال أسلافه من حيث تجسيم العيوب والسخرية من المهجويين، بروح من الدعابة، ويلاحظ ميله إلى نظم المقطوعات القصيرة، التي جاءت وليدة حادثة فرضها واقع الحال، طلباً لسرعة علوقه بالقلب، وإيلام المهجو، وسرعة انتشاره[4]، وفي ذلك مذهب جميع الشعراء الذين يرون قِصَرَ الهجاء أجود، وترك الفُحش، وأشدَّ الهجاء أعفّه وأصدقه [5]،لأنَّ الصدق من أعظم أسباب قوته.

والهجاء عند بدر الدين لا يعادل الأغراض الشعرية الأخرى، من حيث الحجم، جاء على شكل مقطوعات، يتجاوز بعضها الأبيات الثلاثة، ولم يكن ممتزجاً بغيره من الأغراض، والشاعر يدرك ما في الهجاء من ألم للمهجو، وقد استمد مادة هجائه من حياة النّاس، ورمى إلى التأثير في

([1]) ا العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، 1952م، ص 104.

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 174.

([3]) انظر ابن رشيق: **العمدة:** ص2/ 172.

([4]) انظر المصدر نفسه: **ص** 2/ 172.

([5]) العسكري، أبو هلال: **الصناعتين** ، ص 104. ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 174.

الآخرين، بأيسر الطرق وأسرعها، وتناول فيها تفاصيل الحياة اليومية، التي تعجُّ بمختلف المشكلات [1]،وتعبر عن قضايا النّاس وهمومهم.

وتعدد مهجوو بدر الدين، إذ هجا الأمير[2]، والعامل[3]، والساقي[4]وغيرهم، ورسم مجموعة من اللوحات الاجتماعية الحيّة، التي تبرز هذه الشخصيات في إطار من الفكاهة والسخرية[5].

وجاء هجاء بدر الدين متَّفقاً مع أقوال النقاد،فقال جرير:" إذا هجوت فأضحك"[6]، فالبخل وسوء التقدير من المثالب، التي اتخذها الشاعر مادة غنية لبعض أهاجيه، وكثيراً ما يستخف جفاء محبوبه، فينقلب عليه لائماً، فقال:

(الوافر)

وَأَرَّقَنِي خَيَالٌ مِنْ حَبِيبٍ تَنَاءَتْ دَارُهُ حَتَّى نَآني
فَمِنْ سَهَرِي يُلِمُّ فَمَا أَرَاهُ وَمِنْ سَقَمِي يَطُوفُ فَمَا يَرَانِي[7]

وهجا بدر الدين أرباب السياسة، وراج هذا اللون بصورة كبيرة لأسباب، منها تقلب الأحوال السياسية، واستبداد الحكام والأمراء بالسلطة، وإهمالهم شؤون الرعية، وتقاعسهم عن الجهاد، إلى جانب فساد العلاقة بين الشاعر والحاكم، ولم يكتف بهجاء الأمراء، وانتقاد تصرفاتهم، بل وجَّه سهامه إلى كلِّ من يعمل في خدمتهم، من عمالٍ، وولاة، وقادة [8].

وأغلب هجائه للأمراء كان يخفي وراءه بواعث ذاتية ومنها: الطمع، والحقد بسبب حجب أو عدم التقيد بهبة أو عطية،فها هو يذكر أحد الأمراء بوعد قطعه على نفسه، بالعطاء بعد

([1]) انظر سبيناتي، هناء علي: **صورة المجتمع في الشعر المملوكي**، جامعة دمشق، دمشق، 2007م،، ص 320.
([2]) **ديوانه:** (20، 59، 77).
([3]) المصدر نفسه:ص 43.
([4]) المصدر نفسه: ص 69. العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 182.
([5]) انظر الرُقب: **شعراء شاميّون في العصر الأيوبي**، ص 275.
([6]) **ابن رشيق: العمدة، 2/ 172.**
([7]) **ديوانه:** 81.
([8]) المصدر نفسه: ص (60، 69،44). العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 182.

أن زاد في مدحه،والشاعر تعلَّق به قلبه ولزمه، لكنّه تفصّح وتكلّف في كلامه، وقابله بأن طلب له السيف، فهم يقولون" عليَّ بالسيف والنطع"[1]، يقول:

(السريع)

لا تَلُـــمِ المَمْـــدوحَ فِـــي بَذْلِـــهِ نِطْعَـــاً فَـــذَا خَيْـــرٌ مِـــنْ المَنْـــعِ
صَـــفَعْتُهُ بِالْمَـــدْحِ نَظْمَـــاً؛ فَـــلا غَـــرْوَ إذا جَـــازَاكَ بِـــالنَّطْعِ [2]، [3]

وتنوعت مقطوعات الهجاء، واختلفت في الشدة والعنف تبعاً لشخصية المهجو،واستحال بعضها إلى رسائل شعرية يرفعها الشاعر إلى الملك، يذكر فيها معايب، وفساد، وظلم،وسوء تدبير هؤلاء العمال والولاة، الذين كانوا أهم الركائز التي يعتمد عليها الأمراء والحكام في تسيير دفَّة الحكم، وكان على هؤلاء أن يديروا أعمالهم على أسس من العدالة والنزاهة، ولكن كثيراً منهم انحرف، واستخدم القسوة والغلظة في معاملة النّاس،واتَّجه إلى تكريس الأموال بطرق غير شرعيَّة' فقد كان الجُباة يصبون جامَ غضبهم، ويطلقون سوط عذابهم على النّاس لاستخراج أموالهم [4]، ويستحيل هذا السخط في أعماق الشاعر إلى تهكم مرير، ينفثه ساخراً من هذا العامل، ويتَّخذ موقفاً أكثر قوة وتهكماً، في تأديب أحد المستخدمين،الذي سعى إلى تأخير الرواتب،وانتزاع الأموال من يديه مبيناً أنّه لا مجال للتهاون معه، أو قبول عذره، إذ تظاهر بالزهد والتقوى، وأشاع عن نفسه العفاف والصلاح، فخدع النّاس[5]، فقال:

(الكامل)

أضْـحَى بِـديوانِ المَصـالِحِ عَامِـلٌ مـا سَـرّني أنْ لَـيْسَ مِنْـهُ سِـنانُ
بَطُلَـتْ رَواتِبُنـا عَليـهِ وَإنَّمـا قَـدْ قـامَ فِـي بُطْلانِهَـا البُرهـانُ[6]

([1]) انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط** ، 2/ 930 ، مادة" نطع" .

([2]) النطع: العقوبة والمنع. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 930، مادة" نطعَ".

([3]) **ديوانه:** 60.

([4]) انظر سبيناتي: **صورة المجتمع في الشعر المملوكي**، ص 34.

([5]) انظر الرُقب: **دراسات اجتماعية في الأدب الأيوبي والمملوكي**، ص 206.

([6]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 182.

وهجا بدر الدين بعضهم بالجهل وسوء المعاملة، فقد رحل عنه مصاباً بالغم والضجر، بعد أن أبقاه متروكاً في مكان مقفر، وأعطاه قليلاً من الطعام، وهدية – بغلة قصيرة– فلما ركبها وجد نفسه مثل من يمشي على الأرض،وجسَّد نقمته عليه، قائلاً:

(الطويل)

تَرَحَّلْتُ عَنْ نَادِيكَ لا عَنْ مَلالَةٍ وَقَدْ لَفَعَتْنِي بِالهَجِيرِ البَسَابِسُ[1]
عَلَى بَغْلَةٍ أمْطَيتنيها قَصِيرَةً كَأنِّي بِلا شَكٍّ عَلَى الأرضِ جَالسُ
وَتَحْسَبُنِي مِنْ فَوقِهَا النّاسُ رَاجِلاً وَلكنّي فيما تَرَى العينُ فَارِسُ[2]

كان للهجاء الديني نصيب في شعر بدر الدين؛ لما له من شأن في وجدان أبناء العصر، نظراً لأجواء الشحن المذهبي، والثقافة الدينية التي رسخت في النفوس،فقد هجا أحد رجالات الدين، وقد لبس ثوب صوف أسود، يشبه لباس الرهبان،فقال الشاعر متهكماً ومنتقداً تصرفاته ومتهماً إياه بالجهل والتجهيل والظلم، يقول:

(الكامل)

لَبِسَ السَوادَ؛ فَخِلْتُهُ مُتَعَبِّداً وَمَشَى قَلِيلاً فِي الطَّرِيقِ قَلِيلا
فِي هَيْئَةِ الرُّهبانِ إلاَّ أنَّهُ لا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلا [3]

ومن هنا يتضح أن الهجاء بلغ مرتبة النقد السياسي والاجتماعي لعصره، أو بعض مظاهره التي كان يرى فيها الشاعر رأيه.

خامساً : الرثاء

الرثاء فن البكاء على الميت، عرفَّه العرب بمختلف أفنانه ؛ الندب، والتأبين، والعزاء، منذ جاهليتهم، لذا انبرى الشعراء منذ القدم يقولون الأشعار في الرثاء، تلبية لتدفق مشاعرهم أمام

([1]) البسابس: القليل من الطعام. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 56، مادة " بسبس".
([2]) انظر الغزولي: **مطالع البدور في منازل السرور**، 1/ 520.
([3]) **ديوانه:** 69.

الموت، بما ينسجم مع عظم المصاب، وحجم المأساة، فنظموا قصائد ومقطوعات شعرية، بكوا فيها موتاهم ورثوهم[1].

والرثاء في حدِّ ذاته تمجيد لخصال الميت وتعداد لمآثره، ومناقبه بعد أن يكون قد ترك وراءه مثل هذه الخصال،والمناقب في حياته الدنيا،فيذكره الناس بها[2]، والرثاء يقابل المديح للأحياء، ذكر بعض النقاد أنَّ أفضل أنواع الرثاء ما خلط فيه المدح بالتفجع على الميت، فإذا وقع ذلك في كلام صحيح، فهو الغاية من كلام المخلوقين[3]،قال ابن رشيق:" ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أنَّ المقصود به ميت مثل "كان"، " عدمنا به كيت وكيت" وما أشبه ذلك [4]، وقد يسلك التأبين مسلكاً آخر يدل على الرثاء، كأن يقال: "ذهب الجودُ"، أو" مَن للجود بعده" [5]، ويجدر بالشاعر الراثي أن يبكي الميت، ويظهر الحزن واللوعة، والأسى لفقدانه، وهذا جزء أساسي في الرثاء، وربما كان المميز له عن غيره من الموضوعات الشعرية،قيل لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: "لأنا نقولها وقلوبنا محترقة " [6].

ونظم بدر الدين في الرثاء أبياتاً جميلة، تميزت بالحزن والألم، وترتيل يبثُّ نغمة الأسى والكآبة، أودعها زبدة تجاربه في الموت والحياة، وتراوحت مراثيه بين مقطوعات، وأبيات متفرقة،ويلاحظ قلة أشعار الرثاء عند الشاعر، إذا ما قيست بغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى.

وكان بدر الدين في مرثيته " يتناول المعاني التي تصوّر هول الفاجعة وشموليّة الحزن وانعدام المسرة والأمل، والسخط على الأقدار، وغدر الأيام، والتسليم بالقضاء والقدر، والدعاء لفقيده بحسن الختام، تمشياً مع التقليد العربي في ديوان العرب"[7].

([1]) انظر يوسف: الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان،ص (376 – 377).

([2]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 225.

([3]) القيرواني: **زهرة الآداب**، ص 229.

([4]) ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده**، 2/ 147.

([5]) ابن قدامة: **نقد الشعر**، ص 111.

([6]) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت732هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نسخة مصورة عن دار الكتب، بدون تاريخ،ج5، ص 165.

([7]) خالد: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 377.

ومن الأسباب التي دعته إلى رثاء هؤلاء، الرغبة في الوفاء لهم، ونيل رضى ذويهم، والحصول على الجاه والمال والسلطان، ومعرفة تفاصيل حياتهم، وما يتميزون به من أدب وعلم.

وقد تنوعت مراثي بدر الدين، رثى نفسه ورثى أصحاب السلطان والجاه، وبعض قادة الأمة، وعلماء، وأصدقاء، وأطفالاً، وغير ذلك، وفي الآتي عرض لموضوعات الرثاء في شعره:

رثاء النفس ظاهرة واضحة المعالم في الشعر العربي، ولا بدَّ لقصيدة الرثاء من تعزية النفس في الحديث عمّا آل إليه الزّمان، تلك الأداة الفاعلة القادرة على التحويل والتغيير، فالتحول الذي أحدثه الزمن، تحول مأساوي يكشف عن مصير أقوام وأمم سابقة،والشاعر يدرك أ نَّ الرّحيلَ قريب، وأنَّ المنية تطرق بابه، وهذا يتجلى في قوله:

(السريع)

أُرَاقِبُ الصُّبْحَ وَرَيحَ الصَّبَا وَالمَوْتُ مِنْ دُونِ الصَّبَا وَالصّبَاحْ[1]

وبدا بدر الدين متاثراً بشعر أبي تمام،في رثاء الشباب، فقد ذوى غصن شبابه، وبدأت في رأسه طلائع المشيب'ولعل أشجى ما يمرُّ بخاطر الشاعر أن تهجره الغيد بعد انعدام الشباب،وتعاقبه على ذنب غيره، ويستهزئ برجل علا البياض رأسه، ولم يزل يبحث عن حبٍّ جديد،يكون شفيعاً له إلى القلوب' يقول:

(الطويل)

وَعَاجَلَنِي صُبْحٌ مِنْ الشّيبِ قَبْلَ أنْ أهُوِّمَ فِي لَيْلِ الشّبَابِ، وَأهْجَعَا
وَحَجّبَ عَنّي الغانِياتِ كَأنّهُ بَيَاضٌ عَلى العينيْنِ،وَالفُودِ[2] **أجْمَعَا** [3]

([1]) **ديوانه:** 18.

([2]) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن، ويقال حلَّ الشيب بفوديه. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 705، مادة "فود".

([3]) **ديوانه:** 56.

فعيب المشيب لا ينحصر في اللون، ولكن بآثاره في النفس، من حزن عميق وحسرة دائمة، فأخذ يعتذر لنفسه، وأنّه لم يعط نفسه حقها: من اللهو والمتعة، فقال:

(الكامل)

قَالوا: تَبَاكى بِالدِّمُوعِ،وَمَا بَكَى بِدَمٍ عَلَى عَيْشٍ تَصَرّمَ،وَانْقَضَى
فَأجْبْتُهم: هَوَ مِنْ دَمِي ؛ لَكِنَّهُ لَمَّا تَصَعَّدَ صَارَ يَقْطُرُ أبْيَضَا [1]

وقد وضع بدر الدين يده على ما يفعله تقدم العمر بالإنسان، وما يسببه من ضعفٍ ومرض، وزاد هذا من أوار الحسرات في نفسه، بعدما فقد لذة العيش بسبب تغير الناس، ولم يعد يشعر بطمع في وصال من حوله، فقال:

(الطويل)

وَمَرَّ الشَّبَابُ الغَضُّ مِنِّي فَمُذْ نَأَى تَتَابَعَهُ العَيْشُ اللَّذِيذُ تَتَبُّعَا
وَقَدْ زَجَرَتْنِي الأربعونَ، فَلَمْ تَدَعْ لِي الآنَ فِي وَصْلِ الكَواعبِ مَطْمَعَا[2]

وعمد بدر الدين إلى مخاطبة الدهر، الذي فجعه بمصيبته العظيمة، وهي الاستيلاء على الشباب، وتكدير صفو حياته، وعبَّر عن ذلك بمرارة وألم، قائلا:

(الكامل)

وَقَدِ اسْتَرَدَّ الَدَّهرُ أثْوابَ الصِّبا وَكَذاكَ يُرْجِعُ مَا يَكونُ مُعارَا[3]

ورثى بدر الدين أحد الأطفال لأنَّ الموت حقيقة لا يسلمُ منها أحد، غلام لم يصب بعد مجداً يرثى من خلاله، قال ابن رشيق:" إنَّ أشدَّ الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً، أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات"[4].

([1]) **ديوانه:** 54.

([2]) المصدر نفسه: 57.

([3]) المصدر نفسه: 29.

([4]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 154.

وقال أيضاً:" وأما الأطفال، فيصفون بما كانت تعطي به الفراسة، وتقضيه في مخـــايلهم النجابة، ويقال إنّهم كانوا كالأقمار خُطفتْ قبل تمامها، وأزهار قُطفت في أكمامها "[1].

وقد ركزَّ الشاعر على براءة هذا الطفل ومحاسنه الجسدية، لذا عــزَّ عليــه أن يخطفــه القدر، فراح يعزّي نفسه، ويحُثّها على الصّبر والسلوان في هذه المصيبة، التي تجرع مرارتها، وقد أسبل هذا الفتى دموعه، يقول:

(المتقارب)

أسَـــلْتَ الـــدُّموعَ إلـــى أنْ جَـــرَتْ وَوَاراكَ تَيّارُهَـــــا المُغْـــــدِقُ
وَأيُّ غَـــــزالٍ هَضـــــيمِ الحَشـــــا يَحِـــــلُّ العُيـــــونَ وَلا يَغْـــــرَقُ[2]

ورثى واحداً من أرباب الدول الأمير "تاج الدين"[3] بمقطوعة تُعَدُّ من أجمل أشعاره، بدا فيها حزيناً عليه، كما قال ابن رشيق:" وسبيل الرثاء أن يكون ظاهراً التفجــع، بــين الحســرة مخلوطاً بالتلهف،والأسف، والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً أو كبيراً "[4].

وقد كان بدر الدين ذا حظوة كبيرة عند الأمير الراحل، شاركه كلَّ حركاته وسكناته، كلُّ ذلك احتفاءً بالميت، وتمجيداً لمناقبه، وشمائله المحمودة[5]،رغبة من الشاعر في الوفاء له، وبيان علاقة الود والصحبة التي كانت تربطه به.

وأخذ الشاعر يصوّر رحلته إلى المرثي فوق ناقة قوية صلبة سريعة قادرة على تحمــل المشاق، ويلاحظ أنَّ توظيفه الرحلة إلى مكان الفقيد في مطلع مرثيته توظيف ذكي، يدل علــى مقصد الراثي منذ البداية، ووصف حالته وما يعانيه من أسى وألم، يقول:

([1]) ابن رشيق: **العمدة:** ص2/ 158.
([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 172.
([3]) انظر الرسالة: ص8.
([4]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 157.
([5]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص (19 –20).

(الرجز)

عِوَجاً يَمْينَ الجَـزْعِ بِـالعيسِ عَسـى نَـــريحُهُنَّ فَـــالظلامُ قَـــدْ عَســـا
جُفونهـــا سَـــلَبْن سَـــقمي وَالكَـــرى لِذاكَ قَـدْ اَضـحَتْ مِراضَـاً نُعَسّـا[1]

وشرع الشاعر في تأبين الميت، بما أودع مرثيته من صدق العاطفة، وحسن التعبيـر، وذكر ما تحلى به من كرم الأخلاق والوفاء، والمنزلة العالية بين قومه' فسارت عواطـف بـدر الدين هادئة، ساكنة سكون الموت الغالب على كلِّ مخلوق، مكتفياً بدموع الذكرى، ولكن سرعان ما ثارت نفسه، وازدادت حرارتها، وانسجمت مع عواطفه،يقول:

(الرجز)

فَّخُـذْ يَمـينَ الحَـيّ بِالميِّـتِ الَّـذي مَـا غـادَرَتْ فِيـهِ الغَـواني نَفَسـا
صَـبٌّ إذا مَـا نَسْـمَةُ الغَـورِ صَـبَتْ عـاوَدَهُ بَـرْحُ الهَـوى فانْتَكَسـا
وَقُلْتُمَـا صَـبحيَ حَـيٌّ بَعْـدَهَمْ لَـوْ كَـانَ حَيّـاً بَعْـدَهَمْ تَنَفَسّـا
وَعَلّلِـلا حُشاشَـةً عَليلَـةً قَدْ عافَها الآسـي وَعَفّاهـا الأسـى[2]

وحظي بعض الأدباء والعلماء برثاء بدر الدين، وسبب ذلك ازدهار الحركـة العلميـة النشطة في ذلك العصر، وللمكانة البارزة لهـؤلاء الأدبـاء والعلماء،فقـد عاشـوا فـي سـعة وبسطة،واحترام الناس وتقديرهم، وكشف عن دورهم في إثـراء الحركـة الأدبيـة والفكريـة وتنشيطها [3].

ومن هؤلاء (جمال الدين المصري) [4]، ويصوّر الفاجعة التي حلّت باللغة والأمة، فهـو يشيعه لا بحزنه وحده، بل بخسارة أصدقائه ومواطنيه' يقول:

([1]) **ديوانه:** 242.

([2]) الإربلي: **التذكرة الفخرية:** ص 242.

([3]) انظر بدوي: **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ص (78- 79).عبد الرحيم: **فن الرثاء فـي الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص 134.

([4]) انظر حاشية الرسالة: ص9.

(الطويل)

عَزَاؤُكَ زَينَ الدينِ فِي الــذّاهِبِ الَّــذي بَكَتْــهُ بَنُــو الآدابِ مَثْنَــى وَمَوْحَــدَا
هُمْ فَارَقوا مِنْــهُ الخَلِيــلَ بْــنِ أحْمَــدٍ وَأنــتَ فَفارقــتَ الخليــلَ وَأحْمَــدَا [1]

سادساً: الفخر

من الموضوعات التقليدية غير البارزة عند بدر الدين "الفخر"، الذي عرَّفه ابن رشــيق:" بأنه المدح نفسه إلا أنَّ الشاعر يخصُّ به نفسه وقومه، وكل ما حَسُنَ في المــدح، حَسُــن فــي الافتخار"[2]، ويرى"فوزي الهيب" أن حالة الفخر أيام المماليك كانت أقل شاناً، وأحطّ مكانة مــن الفخر في العصور القديمة' وذلك لأنّ أسباب الفخر القديمة زالــت،أو كــادت تــزول، لــذهاب المعارضة السياسية أو ضعفها، وانصرافهم إلى الجهاد والفتوح، وصدِّ هجمات المغول[3].

والإنسان يفتخر بما يلفت إليه معاصريه، وبما يرفع مكانته في مجتمعه، ويجعله مميزاً، إضافة إلى ما يفخر به القدماء من جود وكرم وعفة وشجاعة، وزاد افتخاره بالــدين والتحلــي بالأخلاق.

ونظم بدر الدين مقطوعة في الفخر لا تتجاوز الأبيات الخمسة، ولعله اعتز بنفسه وأشاد بفضائله، يقول:

(المتقارب)

خِصــالُ العُــلا كُلُّهــا مِــنْ خِصــالي وَصَوْبُ الْحَيــا قَطْــرَةٌ مِــنْ شِــمالي
خُلِقْــتُ كَمــا شــاءَتِ المَكْرُمــاتُ بَعِيــدَ النَّظِيــرِ فَقِيــدَ المِثــالِ[4]

فهو يكرر الصفات التي قدسها القدماء من عفة النفس، وإحســاس بالعظمــة، والأنفــة، والإباء، والبعد عن دنايا الأمور، التي تبعث في نفسه حبَّ المفاخرة في سبيل المعالي، يقول:

([1]) انظر الرسالة: ص9.

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 142.

([3]) انظر الهيب: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**، ص (184-185).

([4]) **ديوانه** 89.

(المتقارب)

تُنَزِهُنِـــي عَـــنْ دَنايـــا الأمُـــو رِ نَفْســـي، وَتَنْـــدُبُني لِلمَعـــالي[1]

وافتخر باقتحام المصاعب وركوب المخاطر من أجل المعالي، وأنَّــه يكســب المجــد ومحامد الناس بماله وجاهه، يقول:

(المتقارب)

فَلِلْبـــأسِ طُـــوُلُ يَـــدي وَالْحُســـامُ وَلِلمَجْـــدِ وَالْحَمْـــدِ جَـــاهي وَمَـــالي[2]

موضوعات أخرى

أولاً: العتاب، والاعتذار، والشكوى

هذه الكلمات الثلاث تختلف ألفاظها، ولكنَّ معانيها متداخلة [3]. العتاب، فقد ميّــز عــن غيره من الفنون بأنه لا يكون إلا بين الأحباب، لأنه إبقاءٌ للود، وإطفاءٌ للنار الحقد، فإذا قلَّ كان داعية الألفة، وقيد الصحبة، وإذا كثر خشُن جانبه، وثُقل صاحبه[4].

لجأ بدر الدين إلى العتاب، تدفعه بواعث متباينة إلى غرض يتوسط بين اللوم والهجــاء، لذا كانت طرق العتاب عند الشعراء كثيرة،وقد أشار النقاد إلى أنّه ينبغي على الشاعر أن يســلك الطرق المقبولة في العتاب، ويمازجه استعطاف وإصرار على التمسك بالود والمحافظــة علــى العهد، قال بعضهم:" آه ما أطيب هذا القلب الذي يملي هذه الأحرف، ما أشدَّ حفظه للولاء، ومــا أغيره على حقوق الأولياء والأصدقاء..." [5].

([1]) **ديوانه:**ص 89.

([2]) المصدر نفسه: ص 89.

([3]) **عودة، فادي عبد الرحيم محمود: الحركة الشعر في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بــن العزيــز (رســالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010م، ص 147.**

([4]) انظر ابن رشيق: العمدة، 2/ 160. بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 261.

([5]) انظر الهاشمي، **جواهر الأدب**، 1/ (114- 117).

والعتاب عند النقاد، مصحوب باللين والاستعطاف، وإثارة الذكريات الماضية لصلات الودِّ والصُّحبة، وبإنكار أن يكون هناك سبب يدعو إلى الهجر والقطيعة، وإذا كانت المودة والوفاء تربط بينهما بهذا الرباط، فلا معنى لتكلف العتاب، ولا لهجر يقصر أو يطول[1].

وعاتب أحد الأمراء على نسيان عهد قطعه على نفسه، وشبهه ببستان يعطي ثمراً، وهذه الثمار لا تؤخذ بدون جهد، وكان في قلب الشاعر قسوة وجفوة تجاهه، لا تخلو من المعاتبة الممزوجة بالسخرية والتهكم مع غلبة روح الفكاهة والدعابة، التي يمازجها قدرٌ من حدة الطبع، فقال:

(البسيط)

إنِّي أُذَكِّرُ مَولايَ الأمَيرَ، وَمَا أظنُّهُ نَاسِي العَهْدِ الّذي ذَكَرَا
وَالدَّوحُ يُبدي الجَنَى ؛ لَكِنَّ أغْصُنَهُ لَو لَمْ تُهزُّ،لَمَا أَلْقَتْ لَنَا الثَّمَرَا[2]

وعاتب الشاعر الأمير محي الدين[3]، على نسيان ما وعده به من عطاء، وعلى التباطؤ في قضاء حاجته، وصوّر خيبة أمله، وعدم محالفته الحظ في الظفر بكل ما يؤمله، يقول:

(الطويل)

أمَولايَ مُحيي الدّينِ، طَالَ تَرَدُّدِي لِجَائِزَةٍ، قَدْ عِيلَ مِنْ دُونِهَا صَبْرِي[4]

وينبغي في الاعتذار ألا يؤخذ من باب الاحتجاج، وإقامة البرهان، ولا سيما مع ذوي القدرة والسلطان، وينبغي أن يدمج البراءة في العذر، ثمَّ يلجأ إلى الصفح [5]، والإصرار على التمسك ببقاء الود، أو يمازجه الاعتذار والاعتراف[6]،فقد عاتب سيداً له، أهداه فرساً، وقعت به في نهر بردى، فقال:

([1]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 267.
([2]) **ديوانه**: 44.
([3]) لم أعثر على ترجمة له.
([4]) **ديوانه**: 47.
([5]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 176.
([6]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 261.

(السريع)

أمْطَيْتَنـــي يَـــا سَـــيِّدي سَـــابِحَاً شَـــبِيهَ سَـــرْحَانٍ، فَلَـــمْ يَسْـــرَحِ
وَسَابِحَاً يُدْعَى فَمَـا بَالُـهُ فِـي المَـا ءِ أَلْقَـــى بِـــي، وَلَـــمْ يَسْـــبَحِ؟ [1]

أما الشكوى، فهي كلمة عامة تندرج تحتها معانٍ كثيرة، من المرارة والكـره، والألـم بسبب ضعف أو ظلم، أو دَيْن، أو مرارة فراق، وتلهف واشتياق.

وشكا بدر الدين الصبر الذي دعاه فلم يجبه، بعد رحيل أحبته، فهو علاج الجزع، ومفرج الكرب، وأن وقوفهم ساعة تمكنّه من رؤيتهم، ليشفي ما في قلبه من هم وأسى، يقول:

(الكامل)

وَلَقَدْ دَعَـوتُ الصَّـبْرَ حِـينَ تَرَحَّلُـوا لِيُجِيبَنِـــي، فَـــدَعَوتُ غَيْـــرَ سَـــمِيعي
أَرَكَائِـــبَ الأَحبـــابِ، وَقْفَـــةَ ســـاعَةٍ تُشْـــفِي لَـــواعِجَ قَلْبِـــيَ المَوجِـــوعِ [2]

وشكا الشاعر الليالي والأيام، وأعلن سخطه عليهما، لأنهما لا يعطيان وليدهما الإنسـان غير الشرِّ والنكبة، الزّمان يسلب ما يعطي، ويأخذ ما يمنح، فهو يبكي حظه العاثر، ويذم الـدنيا من خلال نظرة فاحصة لها، فهو يجدها تتحكم فيما يصيب الإنسان، يقول: (الطويل)

فَسُحقاً لِـــدَهرٍ لَـــمْ أَزَلْ مِـــنْ صُـــروفِهِ بِنائِبَـــةٍ فِـــي كُـــلِّ يَـــومٍ مُرَوَّعَـــا [3]

ولكنه صفح عن الزمان في ليلة استقبله الحبيب، وشربا الخمر تتابعاً، من يد السـاقي، يقول:

(الكامل)

وَلَقَـــدْ صَـــفَحْتُ عَـــنِ الزّمَـــانِ بِلَيْلَـــةٍ عَلَّ الحَبِيبُ بِهَـــا، وَجَـــادَ السَّـــاقي [4]

([1]) **ديوانه:** 20.
([2]) المصدر نفسه: 58.
([3]) المصدر نفسه: 57.
([4]) المصدر نفسه: 66.

ويتذكر بدر الدين ما آلت إليه نفسه من ألم البعد، وفقدان المكانة، هذا الماضي الذي ألّح عليه في لحظاته الكئيبة، فصرخ باكياً متذكراً ماضيه السعيد حيثُ الشباب والعزّ، يقول:

(الرمل)

آهِ، وَا لَهْفِـــي عَلَـــى عَـــيْشٍ مَضَـــى وَزَمَانٍ بِـــالحِمَى لَـــوْ كَـــانَ دَامـــا [1]

وقد تحولت الشكوى من الزّمان وأهله،ضرباً من التشاؤم، والناس ليس بهم فاضل، ولم يجد بدر الدين خلاً صادقاً وفياً معيناً يملأُ قلبه رضاً وطمأنينة، وهكذا عبّر عن آلامه وأحزانه، وما أصابه من بؤس، حتى تحولت أشعاره نغمات حزينة [2]، يقول:

(الخفيف)

لا تَـــرُمْ فِـــي الـــدُّنُوِ وُدّاً مِـــنَ النَّـــا سِ وَإنْ كُنْـــتَ عِنْـــدَهُمْ مَشْـــكورا
وِدُّهُـــمْ فِـــي الـــدُّنو مِـــنْهُمْ قليـــلٌ فَـــإذا مَـــا بَعُـــدْتَ كَـــانَ كَثيـــرا
وكَـــذا الشَّـــمسُ وَالهِـــلالُ اصْـــطَحَابا كُلَّمـــا زادَ بُعْـــدُهُ زادَ نُـــورا [3]

واصطدمَ بدر الدين بواقع أليم، وتكاثرت نوائب الدَّهر عليه، فتشاءم من الحياة، وتبّـرم من المجتمع، حتى غدا فن الشكوى فناً أصيلاً في شعره، وسمةً مميزة في بعـض مقطوعاتـه، فغصّت أشعاره بالشكوى والتذّمر من غدر الزّمان، وجفاء الخِلان، ونُـدرة الوفـاء، واختفـاء المعروف بين النّاس، فقال:

(المتقارب)

تَـــولّى وَعَـــادَ، وَلِـــي مَـــدْمَعٌ إذا مـــا سَـــألتُ الحِمَـــى عَنْـــهُ سَـــالا
فَخِـــلٌّ تَخَلّـــى، وَعَصْـــرٌ خَـــلا وَخِـــلٌّ تَـــولَّى، وَدَمْـــعٌ تَـــوالَى[4]

([1]) **ديوانه:** ص74.

([2]) انظر سبيناتي: ***صورة المجتمع في العصر المملوكي***، ص376.

([3]) **ديوانه:** 45.

([4]) المصدر نفسه: 70.

ولم يجد خِلاً وفيّاً صادقاً معيناً،يبثه أحزانه، ويملأُ قلبه رضاً وطمأنينة،ويؤكد أن النسيم العليل الذي يحمل السلام إليه، قد أصيب بسبب هجره، يقول:

(الكامل)

شَوْقِي إليــكَ عَلــى البعَــادِ تَقَاصَــرَتْ عَنْــهُ خُطــايَ، وَقَصّــرتْ أقْلامِــي
وَاعْتَلّــتِ النّسَــمَاتُ فِيمــا بَينَنَــا مِمــا أُحَمِلّهــا إليــكَ سَــلامِي[1]

وشكا بدر الدين إلى مولاه أحد الخمارين الذين بالغوا في سقايته الخمر، حتى كاد يفقد سيطرته على نفسه،وأصبح يشعر بأن الدنيا لا تسعه، يقول:

(المتقارب)

أمــولايَ، أشْــكُو إليْــكَ الخُمــارْ وَمــا فَعَلَــتْ بِــي كُــؤُوسُ العُقــارْ
وَجَــوْرَ السُّــقاةِ الَّتــي لَــمْ تَــزلْ تُرِينــي الكَوَاكِــبَ وَسْــطَ النَّهــارْ[2]

وهكذا كانت أشعاره في هذه العتاب والشكوى رقيقة الألفاظ عذبة المعاني، منسجمة مع ما يشعر به، يفرق عليها آلامه وأحزانه، وما أصابه من بؤسٍ.

ثانياً: الإخوانيات

لبدر الدين مقطعات في الشعر الإخواني، استلهمها من حبه وصداقته مع الآخرين من أبناء عصره، يتودد إليهم، ويتقرب منهم، فضلاً عن فكاهاته ونوادره مع بعضهم، ما جعل الناس تتقرب إليه وتحبُّه حبَّ منفعة، بينما الحبّ الإنساني فهو نابع من أعماق الشعور المتبادل بين الأخوة والأصدقاء.

واقتصر الشعر الإخواني عند بدر الدين على التهنئة والدعابة والاعتذار، والتعزية والمواساة، في حفلات السمر، ومجالس الشعر، وعند محبي الأدب، ومن مراسلاته الشعرية الدعابية، مراسلة دارت بينه وبين ابن إسرائيل، حين أرسل له رسالة شعرية تتضمن تشبيهات

([1]) **ديوانه:** ص 78.

([2]) المصدر نفسه: ص 43.

لطيفة، وصوراً فنية مرحة جميلة، وروحاً دعابية دمثة متخذاً من حبِّ غلامه " جـارح" مـادة لفكاهته، وهيكلاً لمزاجه، فقال:

(مجزوء الخفيف)

قلبُـــــكَ اليَـــــومَ طـــــائِرٌ عَنْـــــكَ أمْ فِـــــي الجَـــــوارِحْ؟
كَيْـــــفَ يُرْجَـــــى خَلاصُـــــهُ وَهَـــوَ فِـــي كَـــفِّ جـــارِحْ؟[1]

ويبدو أنَّ رسالة بدر الدين وصلت ابن إسرائيل،فأخذ يقرأها ويستمتع بمعانيها، ويستلطف جمال تشبيهاتها،وألفاظها الرشيقة، مؤكِّداً بأنه قصد ذلك الغلام،الذي أُغرم به،وما تمتع به مـن جمال ودلال وروح مرحة، وحتى تكتمل الصورة الإخوانية، كشف خفية من خفايـا صـديقه – يهوى غلاماً أسر لبَّه،وملك عليه قلبه.

ويبدو أنَّ ابن إسرائيل ردَّ عليه بأبيات إخوانية مفعمة بكل معاني المودة والصداقة، التي ربطت بينهما، مؤكداً له أنَّ غلامه " جارح"، قد سلبه النوم، وأن مواساته كانت فاتحة خير لـه حيث استطاع أن يتخلَّص من حبِّ هذا الغلام، فقال بدر الدين بهذا المعنى:

(الكامل)

خَلَّصْـتَ طـائِرَ قلبَـكَ العَـانِي الَّـذي مِـنْ جَـارِحٍ يَغْـدو بِـهِ، وَيَـروحُ
ولَقَـدْ يَسُـرُّ خَلاصُـهُ إنْ كُنْـتَ قَـدْ خَلصْـتَهُ مِنْـهُ، وَفِيـهِ رُوحُ [2]

ومن المكاتبات الأخرى التي دارت بين بدر الدين وأحد أدبـاء عصـره، وهـو"ابـن الصيرفي"[3]، وفيها يشكره فيها على مقدار تقديره لشعره،واهتمامه بتوريده، الـذي زاده جمـالاً وبهاءً.

([1]) انظر الرسالة: ص 18.

([2]) انظر الرسالة: ص (17 –18) .

([3]) انظر الرسالة: ص20.

ومن إخوانيات بدر الدين المواساة والتعزية، فقد كان على علاقة وطيدة مع بعض الأصدقاء الذين كانوا على صلة بشيخ النحو في عصره "جمال الدين أحمد المصري" الذي كان من العلماء الفضلاء، وحدث أن توفي جمال الدين المصري العالم، فأرسل إليه رسالة يشاركه المصاب ويشاطره الحزن، يقول:

(الطويل)

عَزاؤُكَ زَيْنَ الدينِ فِي الـذّاهِبِ الَـذي بَكتْهُ بَنُـو الآدابِ مَثْنَـى وَمُوَحـدا[1]

وهكذا جمع بدر الدين بين محبة الناس وصداقتهم، التي تغذيها علائق المودة والأخوة والمحبة.

ثالثاً: الألغاز

بدأ ولع الإنسان بالألغاز منذ القدم، وتفنن في ابتكارها وتنويعها حتى أصبحت من وسائل الترفيه والتسلية، ووسيلة لتنمية وتدريب العقل على التذكر والتفكير بذكاء، وسرعة بديهة وقوة ملاحظة[2]، وقد عرف العرب الألغاز والأحاجي، والتراث العربي يزخر بأنواع عدة من الألغاز سواء، أفي رسائل الملوك، أم في كتب الأدب واللغة [3].

ونظم بدر الدين الألغاز شأنه شأن غيره من شعراء عصره، حيث أغرم بها الأدباء والعلماء، وتراسل في أمرها الأصدقاء، وجاءت ألغازه على شكل مقطوعات تجاوز بعضها الأبيات الأربعة، ذكر فيها أوصاف الملغَز فيه،وأتى بكلمات تتضمن اسم المطلوب بقلب بعضها أو تصحيفه [4]، وعدَّها وسيلة لإثارة العقول، وتنشيط الأفهام،وطريقاً للطرف الأدبية، والدعابات الإخوانية، ذكر ابن رشيق:" أنَّ من أخفى الإشارات وأبعدها اللغز، وهو أن يكون للكلام ظاهر عجيب، وباطن ممكن غير عجيب " [5].

([1]) انظر الرسالة: ص9.

([2]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 179.

([3]) انظر الفقي، محمد كامل: **الأدب في العصر المملوكي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص (160 – 161).

([4]) انظر النابلسي: **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، ص 231.

([5]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 307.

وقد شارك بدر الدين ألوان البديع والبيان في تكوين اللغز، من مجاز وتشبيه، وكناية، وتورية وغيرها، إلى جانب المقومات اللغوية، وجنح إلى الصنعة اللفظية والتلاعب بالحروف والاحتيال على المعاني.

ومن أنواع الألغاز التي نظم فيها بدر الدين "التصحيف" فهو عنصر قائم بذاته، وهو سهل الطريقة، قد يساعد عامل السهو والغلط في إيجاده، ما دعا الحريصين من علماء اللغة إلى التنبيه عليه في كتب ألفوها، منها "الأشباه والنظائر" لجلال الدين السيوطي وغيره [1]،يقول:

(السريع)

مَـا اسْـمٌ إذا مَـا أنْـتَ صَـحَّفْتَهُ صَـارَ مَثَنَّـى بِاعْتِبَـارَيْنِ
فِـي الـرَّأسِ وَالعَـيْنِ يُـرى دائِمَـاً وَهْـوَ بِـلا رَأسٍ، وَلا عَـيْنِ[2]

وهذا القول في السرطان، وهو من قبل المُعمّى وبيت القصيد أنَّها من الأسماء الملحقة بالمثنى، انتهت بالألف والنون، والأوصاف التي أعطاها للغز تذهب جميعا إلى أنه كلمة مثناة، ويُرى، وليس له رأس ولا عين، وهنا يلائم بين الشيء الذي أراده، وبين المعاني المتضمنة[3].

وتحدث بدر الدين في لغز آخر عن حاجته إلى فاكهة الشتاء"النّار"، ولكنَّه لا يمتلك ما يُضرِمها به "الفحم"، فطلبه من صديق له،وذكر صفات الملغز به،ومنها: قضيب،وجمر، ولهيب،ويبيس، ورطيب،ومغارس، وأسود اللون، وكيف كان قبل أن يصبح قطعة سوداء، أشعلها في كانون، لتعطيه دفئاً، يقول:

(الرمل)

وَمَـا أحْـوى لَـهُ قَـدٌّ إذا مَـا أرَدْنَـا وَصْـفَهُ قُلْنَـا قَضِـيبَا
تبيـتُ بِـهِ القلـوبُ إذا قَلاهـا عَلَـى جَمْـرِ يـذيبُ بِـهِ القُلوبـا
أحِـنُّ إليـه إنْ هبَّـتْ شـمالاً وَأذْكُـرُهُ إذا هَبَّـتْ جَنُوبـا

([1]) انظر الحوت: **عصر سلاطين المماليك، إنتاجه العلمي والأدبي**،5/ 311.

([2]) **ديوانه:** 82.

([3]) انظر سالم، محمد محمود: **أدب الصناع وأرباب الحرف**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص 171.

بِـــهِ حَـــرْقٌ وَبِـــي حُـــرْقٌ إليـــهِ وَأَرْجـــو أنْ أُزادَ بِـــهِ لَهِيبَـــا
وَكَـــمْ أَبْـــدى لَنَـــا نَـــاراً يبيسَـــا وَقِـــدْماً كَـــانَ يُخْفِيهَـــا رَطِيبَـــا
عَرِيـــقُ الأصْـــلِ سَـــوَّدهُ أَبُـــوهُ وَلَـــمْ يَـــكُ فِـــي مَغَارِسِـــهِ نَجِيبَـــا [1]

ويتمثل في هذا اللغز العنصر البلاغي بأشكاله المختلفة، الجناس التام (القلوب،والقلوبا)، والتضاد (شمالاً، وجنوباً)، (أبدى، وأخفى)، (يبيسا، ورطيبا)، وهو بهذا لا يذهب بالسامع بعيداً عن موضوع اللغز، فكأنَّه يصفه ويسميه حتى يفصح عن نفسه من غير حاجة إلى تفكير طويل وعميق [2].

الفنون الشعرية المستحدثة

أحدث الشعراء أوزاناً شعرية جديدة كالقوما، والكان كان، والمواليا، والدوبيت، والموشح، والزجل،ومنهم من جعل الحمّاق من هذه الفنون، وقد عدّد صفي الدين الحلّي أنواع النظوم المعروفة في عصره وهي سبعة أنواع، فقال ": ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة لا اختلاف في عددها بين أهل البلاد، وإنّما الاختلاف بين المغاربة والمشارقة في فنَّين منهما...، والسبعة المذكورة هي عند أهل المغرب ومصر والشام هذه: الشعر القريض، والموشح، والدوبيت، والزجل والمواليا، والكان كان، والحماق"[3]، وعند جميع المحققين أنَّ هذه الفنون السبعة منها معربة أبداً لا يغتفر اللحن فيها، ومنها الدوبيت،ومنها ثلاثة ملحونة أبداً، ومنها الزجل[4].

أولاً: الدوبيت

الدوبيت معناه عند العجم زوج بيت، المقول فيه عند العرب بيتان، إذ هو مزدوج النظم، وقد جرى العجم في إضافة الاسم عند التثنية إلى العدد، كما فعل الشعراء العرب، وهو قالب

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 183.

([2]) النابلسي: **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، ص 231.

([3]) الحلي: العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص 2.

([4]) انظر الحلي: **العاطل الحالي والمرخص الغالي**، ص 1. الأبشيهي: **المستطرف من كل فن مستظرف**، ص 757.

شعري ولع به المشارقة[1]، أصله كلمة فارسية مكونة من شطرين (دو) ويعني اثنين، والأخرى (بيت) العربية [2]، وهو شعر ثنائي الأبيات، لا يقال منه إلا بيتان بيتان في أي معنى يريده الناظم [3].

والدوبيت بيتان يكونان وحدة شعرية لما فيهما من انسجام إيقاعي، أو اتحاد في القافية، وقد يكون منهما فكرة واحدة مكتملة، ووزنه واحد هو:

فَعْلُنْ مُتَفاعلُنْ فَعولُنْ فعَلُنْ

وقد تغير " متفاعلن " إلى متفاعيلن " و" فَعِلُن" إلى " فعْلُن"، وهو مؤلف من أربع شطرات ذات قافية واحد، وقد تخالفها الثالثة.

ونظم بدر الدين الدوبيت شأنه شأن غيره من شعراء عصره،وجاء شعر الدوبيت على شكل نتف، ولم ينظمه عبثاً، واستهانة بالشعر، بل توسعاً في موضوعات الشعر وأغراضه، دلالة على طول باعه في النظم القوافي المتنوعة، والتحلّل من قيد القافية الموحدة، والاسترسال في التعبير عن تجاربه وأحاسيسه [4]، وهذا الفن من الفنون المعربة الخارجة عن أوزان الشعر العربي، وهو قالب شعري "مستعار" دخل العربية من الفارسية [5]، ومن أسباب انتشاره النهضة العظيمة التي أصابتها الآداب الفارسية في العالم الإسلامي، وتسلط الفرس على مقاليد الحكم، وتشجيع السلاجقة لهذه الآداب، والاستعانة بالموظفين الفرس في تسيير أمور الدولة [6].

([1]) المقري التلمساني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1004هـ): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الإمارات العربية، 1978م، ص 23.

([2]) وهبه، مجدي وآخرون: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص170.

([3]) انظر الهاشمي: **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، ص140.

([4]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 249.

([5]) انظر سلاّم: **الشعر في العصر المملوكي**، ص 98.

([6]) انظر الشيبي: **ديوان الدوبيت في الشعر العربي**، ص 96.

ومن الدوبيت بيتان في الغزل،عبّر فيهما بدر الدين عن شدة عشقه للمحبوب، الذي لــو ضمه ضمة إلى صدره، لأصبحا شيئاً واحداً،مثل الخمرة مزجت بالماء،يقول:

مَــا زِلْــتُ أضُــمهُ إلــى أحْشَــائِي حَتَّــى فتَــرَت مِــنْ ضَــمِّهِ أعْضــائي
لَــوْ كُنْــتَ رَأيْتَنَــا لَقُلْــتَ: "اتحــدا " كَــالخَمْرَةِ إذ مَزَجْتهَــا بِالمــاءِ"[1]

وهذا الدوبيت مؤلف من أربع شطرات ذات قافية واحدة، وخالفتها الثالثة.

ثانياً: الزجل

الزجل هو أرفع الفنون المستحدثة مرتبة" وأشرفها نسبة، وأكثرهــا أوزانــاً وأرجحهــا ميزاناً"، أوزانه متجددة، وقوافيه متعددة،أداته اللغوية هي إحدى اللهجــات العربيــة الدارجــة، ومخترعوه أهل المغرب[2]،قال صفي الدين الحلي: الزجل من" الفنون التــي إعرابهــا لحــن، وفصاحتها لَكَنْ، وقوة لفظها وَهَنْ، حلال الإعراب بها حرام، وصحة اللفظ بها سَــقام، يتجــدَّد حسنها إذا زادت خلاعة، وتضعف صنعتها، إذا أودعت من النحو صــناعة... "[3]، وتعــددت أغراضه بتعدد الأماكن التي نشأ بها، وكثيراً ما كان الزجل أصدق في التعبير من الشعر الفصيح لقربه من النفوس، واشتماله على عبارات مألوفة، وعدم احتياجه للتكلف في الصناعة، واختيــار الألفاظ [4].

جاء الزجل معبراً عن خواطر بدر الدين ملتقياً مع عواطفه، متسقاً مع قدرته على الفهم والتذوق والإدراك، فقد كان مقصوراً على القول في الغزل، وخلع العذار، واللهو والمجون.

ونظم بدر الدين مقطوعة زجلية واحدة على ما يبدو، عبّر فيها عن خواطره التي تلتقي مع رغبات العامة، وبخاصة من لا يجيد العربية من أبناء الــبلاد، مجــاراة لشــعراء عصــره وروحه.

([1]) **ديوانه:** 8.

([2]) انظر الحلي: **العاطل الحالي والمرخص الغالي**، ص 1.

([3]) المصدر نفسه: ص106.

([4]) انظر خفاجي، محمد عبد المنعم: **الأدب الأندلسي التطور والتجديد**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص 414.

ولعل قلَّة أزجال بدر الدين التي وصلت إلينا، سببها تساهل القوم في المحافظة عليها، محافظتهم على الدواوين والموشحات، ولم يكن جمع أشعار الزجل يلقي الاعتبار والتقدير الكافييْن، وبخاصة أن حفظة التراث ومحبي الفصيح، واستهجان العامية، لم يروا في الزجل رأياً كريماً يدفعهم إلى المحافظة عليه [1].

ونظم بدر الدين زجلية فكاهية، صوّر فيها غلاماً طبّاخاً، ووصف مهنة الطبخ، هذا الغلام الذي كواه بنار هواه، بسبب صده،وكأنَّه نار جمر ازداد اشتعالاً تحت قدره.

وتعددت أقسام منظومة الزجل عند بدر الدين، وتعدد أشطار وحداتها من حيث التنوع في التقسيم الموسيقي لعناصرها، فقال ناسجاً على منوال ابن مقاتل[2]:

نِهْوَ طبّاخْ في مَطْبخِ أفكاري خَلِّ ناري تقيدْ
يا رَبْ عيذو بسورةِ الدُّخانْ يا حميدْ يا مجيدْ
في كوانينْ حشاي أطلقْ نارْ تزيدْ حسرتي
ولقتلي نَصَبْ نَصبهْ غِبتْ عَنْ حَضرتي[3]
وَعَلى حَرْ جمرْ هِجْرانو قدْ طَبَخْ قِدرتي[4]

وتميزت مقطوعته الزجلية بكثرة التشبيهات والمحسنات، وقد استلهم من سورة الدخان ليوري بها عن دخان الطبّاخ، ولم يوفق الزجال في هذا، لشرف القرآن الكريم، وانحطاط الدُّخان. وتميز هذا الطبّاخ بأنامل تحاكي الفضة البيضاء جمالاً،وعيون نرجسية جميلة كوته بنارها، يقول:

حَبٌّ رمانْ نهودْ، وَما أحلاهْ لَيسَ تعوزْ تْحليّه
وَأنامِلْ مَعُو حكَتْ فِضْةْ بيضْ بحالِ أطرّيهْ

([1]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 213.

([2]) ابن مقاتل، هو علاء الدين بن علي بن عبد الخالق الحموي (ت761هـ)، التاجر الزجال،ولد بحماة، سنة (664هـ)، غلب عليه نظم الأزجال، فاشتهر بها، وأصبح إمامها. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات** 16/ 218.

([3]) أي نوى قتلي، واستعد لذلك.

([4]) النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والأزجال**، ص 218.

وَعُيونْ نَرجسيّةْ قدْ حكَـتْ مَّهْجَتـي تَقلّيـهْ[1]

وزاد من جمال هذا الغلام حواجبه المخططة التي سَبَت كل من نظر إليها، وهو صاحب محاسن مخفية، يظهر منها كل يوم فتنة جديدة ليراها الناس، يقول:

وَحَواجـبْ مْعرَّقـةْ تسـبي للفقيـهْ وَالبليـدْ
وَفـي دُكـانْ مَحاسـنو يِظهـرْ كُـلْ يـومْ جديـدْ

ووصف بدر الدين أدوات طبخه، ومنها سكينه الذي قطع قلبه، وجعلـه حـاداً بهجـره القاسي، لما يحويه من قسوة وهجر، كأنَّه نار شديدة الغليان، ووضعه في قدر يغلي، بسبب عدم مبالاته يقول:

وفي دِستْ الهوانْ عَلى قَلبـي غَليـانو شَـديدْ
سَنْ سكّينْ جفاهْ وَفي قلبي صارْ يقطـعْ قِطَـعْ
وُرماهْ في قُدورْ هواهُ حتّى مِنْ عِظامي انتـزعْ
وأشعلْ النّارْ عليّ وأهراني ضرّني ما انتفـعْ[2]

ويصوّر بدر الدين الطعام الذي صنعه هذا الطّباخ، فهو طعام مفتخر، يحيـر الأذهـان، وكل من أكل منه أصبح سعيداً، وكان يتمنى أن يأكل منه، فقال:

لُوْ طَعامْ خاصْ يحيّرْ الأذهانْ، كُلْ أحدْ فيه يَحيرْ
أيُّ طعامْ مفتخرْ أبانْ، يروا ما لَها مِـنْ نظيـرْ
كُلْ مَنْ كَانْ سَعيدْ أكَلْ منّو، وأنا مِسكينْ فَقيـرْ

ويبدو أنَّ بعض أصدقاء بدر الدين أكل مما طبخ هذا الغلام "اللّبة" [3] والمرق والثريـد، ولكنه اشتهى ذلك، فكان أكله من اللحم القديد،يقول:

بـينَ الإخـوانْ إذا اشْـتهيتْ اقنـعْ بِـالمَرقْ وَالثريـدْ
وَخلافـي شَـبِعْ مِـنْ اللّبـةْ وأنـا لحمـي قَديـدْ[4]

([1]) النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والزجال**، ص219.

([2]) انظر المصدر نفسه : ص 218.

([3]) اللّبة: وسط الصدر والنحر. انظر ابن منظور: **لسان العرب**،12/ 241، مادة " لبب".

([4]) القديد: اللحم المملوح والمجفف في الشمس. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 52/11، مادة " قدد".

ويبدو أنَّ بدر الدين التقى هذا الطّباخ، ودار بينهما حوار، افتخر هذا الطّباخ بصـــنعته، وأنّ كبار القوم هم الذين يأتون إليه، ثم دعاه إلى بيته، ولبّى الطّباخ الدعوة، وعدّ الشاعر هـــذا اليوم أفضل يوم في حياته، فقال:

ســـامَعَ تُجارْوَنـــاسْ أجيـــادْ عِنـــدي مِثْـــل عيـــدْ
لي بالأسواقِ وُقوفْ بِحالْ غِلمانْ وأنا سيدْ كُلُّ ســـيدْ
فنهـــارْ تجـــي ونتواكـــلْ ذاكَ نهـــارْ ســـعيدْ
جا لـــداري وُكلّـــهُ مْخفّيـــهْ ظَهـــرتْ فـــي المَقـــامْ
وَمِنْ أفخـــرِ طعـــامو أطْعَمنـــي وبَلغـــتْ المَـــرامْ[1]

وأكل بدر الدين من الطعام حتى شبع،وحمد الله، وتمنَّى زيادة النعمة، وأظهر سعادته في الوصول إلى مبتغاه في حبِّ هذا الطّباخ، فقال:

كَلْـــتْ [2] حتـــى شـــبعتْ واشـــتهيتْ وأنـــــا عيشـــــي رَغيـــــدْ
نَحْمِـــدْ الله لقَـــدْ بلـــغْ قلبـــي كُـــلْ مـــا كـــانْ يريـــدْ

وأخذ بدر الدين يفتخر بصنعته، التي جعلته في مكانة عالية، وفضّل صناعة الذَّهب على غيرها من الصناعات، فقال:

ما أنـــا طبّـــاخْ ولا الطّعـــامْ فنّـــي وإنّمـــا صَـــنعِتي
ذهبـــيٌّ، وكُـــلْ يشـــهدْ لـــي بِعَـــلا رَفعتـــي
وَالذي جا بِقطعتو بِنقـــاسْ فـــي نظيـــرْ قِطعتـــي[3]
مِثـــلُ مـــا جـــا يقـــايسْ الفضـــةْ وَالـــــــذَّهبْ، بِالحديـــــــدْ
أو يشـــبّه مصـــر[4] – بِـــلا تشـــبيه– لِـــــــــبلادْ الصـــــــــعيدْ

([1]) انظر النواجي: **عقود الآل في الموشحات والأزجال**، ص 219.

([2]) كلت: أي أكلت.

([3]) انظر النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والأزجال**،ص 220.

([4]) أراد بمصر القاهرة. ويريد أنَّ زجله أفضل من أزجال غيره.انظر النواجي: **عقود اللآل في الموشـحات والأزجـال**، تحقيق عبد المنعم محمد قباجا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل ، 2006م، ص 318.

والأبيات الزجلية هذه حافلة بصور ترتبط بجوانب بالبيئة الشعبية، ولغة الشعب وعاداته، وقد نقل الشاعر لنا كلمات سمعها وترددت على ألسنة العامة، وهذا الجانب أكسب زجله طرافة، وقيمة أدبية.

الفصل الثالث

شعر بدر الدين يرسف بن لؤلؤ الذهبي
دراسة فنية

أولاً: بناء القصيدة

ثانياً: اللغة الشعرية

ثالثاً: الأسلوب

رابعاً: الموسيقا

خامساً: الصنعة البديعية

سادساً: الصورة الفنية

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لشعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي: دراسة فنية

أولاً: بناء القصيدة

جاء شعر بدر الدين محاكياً القديم، ومقلداً له في شكله الفني، وهيكله الخارجي، حيث انقسم إنتاجه الشعري، من حيث الحجم إلى قصائد طويلة، ومقطعات قصيرة، أو نتف تتجاوز البيت الواحد، فالقصائد قيلت في كثير من الأغراض، وأهمها الوصف، والغزل، والمديح، أما المقطعات والنتف، فعددها يفوق بكثير عدد القصائد، حيث وجد فيها الشاعر مجالاً رحباً لكثير من الأغراض، منها العتاب، والإعتذار والشكوى، والإخوانيات، والرثاء، والهجاء والغزل، والمديح.

وترجع الكثرة الواضحة للمقطوعات الشعرية في شعر بدر الدين، إلى طبيعته وحبّه لها، وإلى طرقه موضوعات جديدة صغيرة تقوم على فكرة واحدة، لا تحتاج إلى قصيدة لإفراغها فيها، فتكون المقطوعة الشعرية كالخاطرة السريعة تعبرٌ عن دفقة شعورية فيها سرعة وإثارة وإيجاز، وهذا الموقف لا يسمح له بالإطالة والتفصيل في شرح عواطفه [1].

أما النتف، فهي تتضمن معنى محدداً، أو تشبيهاً، أو صورة محددة، أو غير ذلك، ولعل ذلك راجع إلى تفاعل الشاعر الآني مع الموقف، بحيث لا ينتظر حتى يأتيه الإلهام الشعري،فيدبجه في قصيدة طويلة، تحتاج إلى تحضير وتخطيط مسبقين.

ويرى المحدثون أنَّ المقطوعة الشعرية، تبدو أكثر تماسكاً، وأكثر استقصاءً للحظة الشعور[2]،فلم يعد للنّاس وقت لسماع القصيدة الطويلة،وميله لاستعراض قدرته ومواهبه في ميدان المنافسة الشديدة، واستنشاد الشعراء في مجالس الملوك والأمراء.

([1]) انظر ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ): **الشعر والشعراء**، دار المعارف بمصر، 1966م، ج1،ص405.

([2]) القط، عبد القادر: **في الشعر الإسلامي والأموي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص 139.

وكان لهذه المقطعات دور في سهولة الشعر فانتشارها ورواجها بين العامة والخاصة، يتطلب لغة سهلة، تمكنهم من حفظها وروايتها، وقد نبَّه النقاد قديما إلى أثر القطع الصغار في النفوس، فذكروا أنَّها أولج في المسامع، وأحفل في المحافل[1]، كما لعب شيوع الغناء والألحان دوراً كبيراً في شيوع المقطعات وكثرتها.

وعني النقاد العرب ببناء القصيدة الفني، واهتموا بتماسكها والتحام أجزائها لتشكل وحدة فنية واحدة، ورأوا أنَّ أحسن الشعر ما ينتظم فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، ويجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة، في اشتباه أولها بآخرها نسجاً حسناً وجزالة ألفاظ، ودقة معنى، وصواب تأليف[2].

إلى جانب اهتمامهم بالوحدة الفنية في القصيدة، قال ابن رشيق:" ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله، ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة "[3].

وأكد ابن طباطبا الوحدة الفنية في القصيدة بقوله:" أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره، إذ يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها "[4]، ومثله ابن قتيبة الذي يرى أن القصيدة تتكون من عدة أغراض، وعلى الشاعر المجيد الانتقال من غرض إلى آخر على أن يحسن التخلص في أثناء الانتقال[5].

عنَّي بدر الدين بدر ببناء قصيدته، فقسمها كأنه مهندس معماري، يتأمل ألفاظها، وما تحويه من معانٍ، وما ينبغي لها من وزن وقافية، وما تستلزمه الصنعة من بديع، وما يضيفه من القيم الجمالية والفنية عليها، وهذه تفصيلاتها:

([1]) **انظر ابن رشيق: العمدة، 1**/ 187.

([2]) المصدر نفسه: ص 1/ (188– 189).

([3]) انظر المصدر نفسه: **ص** 261/1.

([4]) ابن طباطبا: **عيار الشعر**، ص 126.

([5]) انظر ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، 1/ 75.

المقدمة

اعتنى القدماء بمقدمة القصيدة وحثّوا الشعراء على استحسان تقديمها، وأسموها بأسماء كثيرة كالابتداء، والاستهلال، والافتتاح[1].

وحريٌّ بالشاعر أن يحسن ابتداء قصيدته، لأنه " أول ما يطرق السمع من الكلام... فإذا كان الابتداء حسناً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام" [2]، ولأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطيّة النجاح... "[3].

ويتوجب على الشاعر أن يحسن الربط بين المقدمة والغرض الرئيس في القصيدة، بحيث تكون المقدمة مشعرة بغرض الشاعر، ودالة على المعنى الذي يريده بعده[4]، تلميحاً لا تصريحاً.

والناظر إلى قصائد بدر الدين، يلمس اعتناءه بالمقدمة حسب ما ذهب إليه الأقدمون ودعوا إليه، ولكن المقدِّمات كانت قليلة في شعره، فقد قدّم لإحدى قصائده في الوصف بمقدمة طللية طويلة جاءت في خمسة عشر بيتاً، مضى الشاعر فيها صوب أجواء سردية متصلة، أحس القارئ أن هذا الاستهلال يشعر بقصة شعرية مصوغة بلغة شعرية،ضَمِنَ الشاعر متابعة القارئ لها معتمداً على عناصر مجتمعة في استهلاله، كالاستفهام والتصريع بغية جذبه إلى أجواء القصيدة، يقول:

(الكامل)

هَلْ ذاكَ بَرْقٌ بِالْغُوَيْرِ أنارَا ... أمْ أضْرَموا بِلِوى المُحَصَّبِ نارَا
فَكِلاهُما إنْ لاحَ مِنْ هُضْبِ الحِمى ... لِي شائِقٌ، وَمُهَيِّجٌ تِذكَارا[5]

([1]) انظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء التراث الكتب العربية، 1952م، ص 431. ص 431. القزويني، جلال الدين بن عبد الواحد بن عبد الرحمن: **الايضاح في علوم البلاغة**، مكتبة النهضة، بغداد، ص 241. ابن رشيق، **العمدة**، 1/ 217

([2]) العسكري: **الصناعتين**، (435 – 437). انظر القزويني، **الايضاح**، ص 241.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، ص 1/ 217.

([4]) انظر ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن محمد بن عبد الكريم: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، ص 1990م، ج2، ص 223.

([5]) انظر الرسالة: ص 13.

وهذه المقدمة ليس فيها إخلال بوحدة القصيدة،إذ وقف بدر الدين فيهـا علـى ملاعـب أترابه، متذكراً أيام شبابه وصباه مع أحبائه الذين تركوه وحيداً يقاسي مرارة الفراق، فذكر أسماء بعض الأماكن التي كان يزورها، ومنها الغُوير، والمحصِّب، ونهر الصَّراة، والفيض، يقول:

(الكامل)

فَارْفُقْ بِدَمْعِكَ فِي الفِـراقِ فَمـا الَّـذي يَبقـى لِيسْـقى أرْبُعـاً، وَدِيـارا
وَلَقَدْ ذَكَـرتُ عَلـى الصّـراةِ مَراميَـاً تُنْسي بِحُسْـنِ وَجوهِهـا الأقْمـارا[1]

وقد اهتم النقاد بحسن التخلص أو الخروج، ووضعوا له ضوابط، وبينوا أنَّ الشاعر يأخذ في معنى من المعاني، ثم ينتقل إلى معنى آخر يختلسه اختلاساً رشيقاً، بحيث لا يشعر السـامع بالانتقال، إلا قد وقع في المعنى الثاني.

وأحسن بدر الدين التخلص في بيت بجملته،وهو أفضل أنواع التخلص، ويرى حـازم القرطاجني، أن التخلص قد يأتي في "شطر بيت أو بيت بجملته، أو بيتين"[2]، ودعا النقاد" إلى أن يتحرز الشاعر فيه من انقطاع الكلام، ومن التضمين،والحشو، والإخلال، واضـطراب الكـلام، وقلة تمكّن القافية "[3]، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض، مـن غيـر أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، فكان تخلصه لطيفاً سهلاً، دقيق المعنى، بحيـث لـم يشـعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع في المعنى الثاني، لشدة الممازجـة والملاءمـة بينهما[4].

وخرج بدر الدين إلى الوصف بكلمة " الآن"، التي أوهم فيها القارئ أنه تخلص بالانتقال الزمني في حياته، بين الماضي وما فيه من ذكريات جميلة، والحاضر الذي تمثله كلمـة "الآن"، وهو في رحلة صيد مع أترابه،يحملون أدوات الصيد، وقد اشتاق إلى الديار والملاعب التي كان يزورها يقول:

([1]) **ديوانه:** 29.

([2]) القرطاجني: **منهج البلغاء**، ص 320.

([3]) المصدر نفسه: ص 321. قلقيلة: **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، ص 13.

([4]) انظر الحموي: **خزانة الأدب**، 1/ 149.

(الكامل)

مِنْ كُلِّ نجْمٍ فِـــي الـــدَّياجي قَـــدْ لَـــوى فِـــي كَفّـــهِ مِثـــلَ الهِـــلالِ ؛ فَـــدَارا
وَالآنَ، قَدْ حَنَّ المَشُـــوقُ إلـــى الحِمَـــى وَتَـــذَكّرَ الأَوْطَـــانَ، وَالأَوْطَـــارا [1]

وذكر بدر الدين في أثناء هذه الرحلة أسماء عدد كبير من طيـــور الصـــيد، والطيـــور الجارحة،التي يبدو أنه أغرم بها، أمثال " التَّمُّ، والكُيّ، والأنيس، والحُبارج وغيرها، كـــل فـــي عالمها الخاص، ومراتعها، وصفاتها الطبيعية، يقول:

(الكامل)

وَصَـــبا إلـــى البَـــرَزاتِ قَلْـــبٌ كُلَّمـــا طـــارتْ بِـــهِ خُـــزْرُ اللَّغـــالغِ[2] طـــارا
يـــا حُسْـــنَهُ مِـــنْ مُخْلِـــفٍ لَكِنَّـــهُ فِـــي الجَـــوِّ عـــالٍ لا يُسِـــفُّ مَطـــارا
وَيَطيرُ خَطْفـــاً عَـــنْ مَقـــامي عاضِـــداً وَلِشَـــقْوَتي لا يَـــدْخُلُ المِقْـــدَارا[3]

فقد رأى في الطير ولغته وصدوحه معاني الألم والنوح والصبابة والنوى، وكان ذلـــك داعياً له، أن يدخل مع الطيور في حوار نفسي ملتهب، وفي مناجاة وجدانية صادقة، يقول:

(الكامل)

وَاطْـــربْ إلـــى نَغَمـــاتِ أَطْيـــارٍ بَـــدَتْ فِي الجَوِّ، وَهْـــيَ تُجـــاوِبُ الأَوْتـــارا[4]

ويظهر للقارئ أن هناك مقدمات في بعض قصائده، وهي ليست بمقدمات، لكنها جزء لا يتجزأ من موضوع القصيدة غير منفصل عنه أو مخل بوحدته، وصف فيها رحلة إلـــى الـــديار الحجازية، ويظهر ذلك في قوله، "الرّكاب،الموعدا، وغدوا، شوقاً، مكابدا، الصـــدى، المنـــازل، ربوعهم وغيرها، يقول:

([1]) **ديوانه:** (29 –30).

([2]) اللغالغ: مفردها لغلغ، وهو، غير اللقلق. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 448/8، مادة" لغَغَ".

([3]) **ديوانه:** 31.

([4]) المصدر نفسه: ص 33.

(الكامل)

حَثُّــوا الرِّكــابَ، وَأَخْلَفُــوكَ المَوْعِــدا وَغَدَوْا بِقَلبِكَ فِــي الحُمُــولِ مُقَيّــدا[1]

والناظر إلى قصائد بدر الدين، يلمس اعتناءه بمطالعها، إذ جاءت متفقة مع ما ذهب إليه الأقدمون، ودعوا إليه، وأشعرت بمضمون القصيدة، واتسمت بالسهولة، والبعــد عــن التعقيــد والتكلف من الألفاظ، كما يبدو التلاؤم واضحاً بين شطري المطلع الواحد، قال ابن الأثير:" وإنما خصّت الإبتداءات بالاختيار لأنّها أول ما يطرق السمع من الكلام "[2]، ويقول ابن حجة:" فــإنهم اشترطوا في براعة الاستهلال، أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بُنيت عليه، مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بهــا علــى القصيد " [3].

ويرى النقاد أن يكون الإبتداء حسناً، ولائقاً بالمعنى الوارد بعده، توفرت الدواعي إلــى استماعه [4]، ويرى بعضهم أنَّ المطلع ينبغي أن يكون حلواً وسهلاً، وفخمــاً جــزلاً، صــحيح المعنى، قوي السبك،لا تعقيد فيه،ولا تكلف، وأن يحترز الشاعر في أشعاره، ومفتح أقواله، ممــا يتطير منه ويستخفى من الكلام والمخاطبة والبكاء، ووصف افتقار الــديار،ونعي الشــباب وذم الزمان، لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني[5].

ومن المعايير التي يجب أن تتــوافر فــي المطلــع " أن يكــون خاليــاً مــن المآخــذ النحوية[6]،،وأن يكون تام الموسيقى بالتصريع بأن يستوي آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه وزناً، ورويا وإعراباً [7].

([1]) **ديوانه:** 24.

([2]) انظر ابن الأثير الجزري: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، 2 / 224.

([3]) ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي بن عبد الله: **خزانة االأدب وغاية الأرب**، تحقيق كوكب دياب، ط1، بيــروت، دار صادر، 2001م، ج1، ص 342. ابن الأثير: **المثل السائر**، 2/ 223.

([4]) **انظر ابن الأثير: المثل السائر، 2/ 224.**

([5]) انظر ابن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 269.

([6]) انظر بكار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية**، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر،1979م، ص 275.

([7]) بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 307.

وقد جاءت مطالع بدر الدين الغزلية متلائمة مع الموضوع ونفسيته، بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، فمن ذلك يقول:

(البسيط)

لَوْ بَلَّغَ الشّوقَ هَــذا البــارقُ السَّــاري أوْ بعضَ وَجْدي الَّذي أُخْفي وَتَذْكارِي[1]

وعبَّر بدر الدين في هذا المطلع عما يُضمره من حب وإعزاز لمحبوبه الذي رحل، وما كان يخشاه من عدم إبلاغه شوقه وصبابته.

وجمع بدر الدين في بعض مطالعه بين الوصف والغزل، فتغزل بمحبوبته،ووصف مفاتن جمالها، فهي صاحبة نشوة وانعطاف، ولكنَّها فاترة الطرف، ضعيفة الجسم، وتحدث عن تــأثير هذه الصفات في نفسه، يقول:

(الكامل)

وَافَــى يميــلُ بِعِطْفِــهِ، وَقَــدْ انْتَشــى وَسْنَانُ سَاجي الطَّرفِ مَهضُومُ الْحَشا[2]

وقد دعا في مستهل قصيدة غزلية محبوبه أن يرفق بقلب أصيب بالألم والمرض، ومــا أثارته هذه الانفعالات القوية من تأثير الحب على قلب المحب، فقال:

(المنسرح)

رِفْقَــاً بِقَلْــبِ المُتَــيمِ الــدّنِفِ[3] **أذَبْتَــهُ بِالأسَــى، وَبِالأسَــفِ**[4]

وجمع بدر الدين بين حبّه وبين حبِّ حمامة الأيك في إحدى مطالعه، ولكــن حبّــه زاد، بحيث لا يقدر على كتمانه، كما يفعل الحمام، وعبّر عن ذلك بقوله:

([1]) **ديوانه:** 39.

([2]) المصدر نفسه: ص50.

([3]) الدّنف: مادة " دنف": المريض الذي لزمه المرض الشديد. انظر أنيس وآخرين، **المعجم الوسيط**، 1/ 298.

([4]) **ديوانه:**62.

(السريع)

أَهْـدي حَمـامَ الأيـكِ وَجْـدَاً ؛ فَنـاحْ وَلَـمْ يُطِـقْ كِتمـانَ سِـرٍّ؛ فَبـاحْ[1]

وتحدث في مطلع قصيدة عن وصف ملاعب أترابه وأيام شبابه، يقول فيها:

(الطويل)

تَـذَكّرَ رَبْعَـاً بِالشَّـآمِ، وَمَربَعَـا وَمَلْهـىً لأيّـامِ الشّـبابِ، وَمَرْتَعـا [2]

وخصّ بعض قصائده بمطلع في وصف الطبيعة، ومظاهر جمالها من أزاهير، وخضرة، وطيور، ورسم لوحات متعددة الألوان، يقول:

(الطويل)

تَرَنَّحَ عِطْفُ البانِ في الحُلَـلِ الخُضْـرِ وَغَنّى بِألحانٍ عَلى عُـودِهِ القُمْـري[3]

وبدأ بدر الدين إحدى قصائده بمطلع في وصف نسائم الربيع،وأظهر فيهـا حبّـه لهـذا الفصل، والعلامات التي يخلفها هذا الفصل على الأرض من قطرات النّدى، وشمس ذهبية اللون، وجداول الماء التي تجري مسرعة، وغصون نضرة، وورود متفتحة قد امتـدت علـى سـطح الأرض كأنها خيام، إلى جانب حمام الأيك الذي يبث لكل مشتاق سلاماً، فقال:

(الرمل)

نَـمْ فَقَـدْ هَبّـتْ نُسَـيمَاتُ النُّعَـامى وَالنّـدى نَبَّـهَ بِـالرّوضِ النَّـدامَى[4]

ثم يمضي الشاعر متحدثاً عن روضة، فيها من جمال ما أسعده، وخاصة وقت الصباح، يقول:

([1]) **ديوانه:** 18.

([2]) المصدر نفسه: ص 57.

([3]) المصدر نفسه: ص 42.

([4]) المصدر نفسه: ص 74.

(السريع)

بـــاكِرْ إلـــى الرَّوْضـــةِ؛ تَسْـــتَجْلِها فَثَغْرُهـــا فِـــي الصُّـــبْحِ بَسَّـــامُ[1]

واتسمت مطالع بدر الدين بالسهولة، والبعد عن التعقيد، والمتكلف من الألفاظ، كما يبدو التلاؤم واضحاً بين شطري المطلع الواحد في قصيدة اهتز فيها بدر الدين إعجاباً بفصل الربيع، وما جمع منها زمانه، يقول:

(الكامل)

رَقَّ النَّهـــارُ وَراقَـــتِ الأَنْهـــارُ وَسَـــرى النَّسـيمُ وَغَنَّـــتْ الاطيـــارُ[2]

وفي المقابل ابتعد عن المقدمة الغزلية في قصيدة المديح، التي مدح بها الملك الناصـــر، واستهل قصيدته بالغرض الرئيس، مراعياً حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال فـــي مطلعـــه،لأنَّ الموقف لا يستدعي الابتداء بمقدمة، قال ابن رشيق:"ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة" [3]، وأشار ابن الأثيـــر بقولـــه:" إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح، أو تقليد، أو غير ذلك، فإنّه لا ينبغي أن يبـــدأ فيهـــا بغزل، وإن فعل ذلك دلَّ على ضعف قريحة الشاعر، وقصوره عن الغاية، أو عن جهالة بوضع الكلام في موضعه" [4].

فقد قال بدر الدين قصيدة التهنئة هذه في موقف تعرض فيه لاستثارات شعورية، وجـــد نفسه مضطراً للردِّ الفوري، لينفس عن مشاعره أو انفعاله، فجاءت منسجمة مع شروط النقـــاد، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة، وهو تهنئة الملك الناصر لما جاءه التقليد من الخليفة، يقول:

([1]) **ديوانه:** ص 76.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 231.

([4]) انظر ابن الأثير: **المثل السائر**،236/2.

(البسيط)

وَفَى لَكَ السَّعيُ بِالسَّـعْدِ الَّـذي وَفَـدَا وَأنجزَ الدّهرُ مِـنْ عَليـاكَ مَـا وَعَـدَا
سُدْتَ الملوكَ فَما كَانَـتْ مَواهـبُ مَـا أسْدى إليكَ أميرُ المـؤمنين سُـدى[1]

أما الرِّثاء، وما يستدعيه من حزن وتفجَّع، فقد ابتعد بدر الدين عن المقدمـة الغزليـة، والطلّلية، ولجّ في موضوعه مباشرة، وذلك لأن الغزل لا يتلاءم وموضوع الرثاء، ولا يتفق مع حالة الشاعر النفسية [2]، وثقل واقعة الموت، وقد أشار ابن رشيق إلى ذلك بقوله:" ولـيس مـن عادة الشعراء أن يقدِّموا قبل الرثاء نسيباً، عن التشبيب بما هو فيـه مـن حسـرة والاهتمـام بالمصيبة"[3]، يقول:

(الرجز)

فَخُـذْ يَمـينَ الحـيِّ بالمَيِّـتِ الَّـذي مـا غـادَرَتْ بِـهِ الغَـواني نَفَسَـا[4]

وزاد من جمال مطالع بدر الدين، استخدامه التصريع، وهذا الأمر كما يقول ابن الأثيـر يوقظ السامعين للإصغاء " لأنه يقرع السّمع شيء غريب ليس بمثله عادة ليكون سـبباً للتطلـع نحوه والإصغاء إليه"[5]، وقال أبو حازم:" إنَّ للتصريع في أوائل القصائد حلاوة وموقعـاً فـي النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي الضرب والعروض، وتماثل مقاطعها "[6]، وهو يؤدي وظيفة جمالية وتواصلية تعين على تحقيق التواصل المنشود بين الشاعر والمتلقي[7]، يقول:

(الكامل)

رِفْقَـاً أذَبْـتَ حُشاشَـةَ المُشْـتَاقِ وَأسَـلْتَهَا دَمْعَـاً مِـنَ الآمَـاقِ[8]

([1]) **ديوانه:** 23.
([2]) انظر عبد الرحيم: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص 304.
([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 151.
([4]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.
([5]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 2/ 224.
([6]) القرطاجني: **منهج البلغاء**، ص(271 – 283).
([7]) انظر عسران، محمود: **الإيقاع في الشعر العربي**، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدّوار، 2007م، ص 186.
([8]) **ديوانه:** 63.

وعبّر الشاعر عن أشجانه ومعاناته التي سببها المحبوب، ويقول إنّه ضعيف أمام هـذا الحب، ولا يستطيع مقاومته، والصبر عليه.

أما التصريع، فأمثلته كثيرة، ومنه ما جاء في مطلع قصيدة في الشكوى من تقلبات الحياة والدهر،وعتاب الزَّمان، الذي أبعده عن أحبته، يقول:

(الكامل)

بَخِـــلَ الزّمـــانُ بِوَقْفَـــةِ التَّوديِـــعِ هيْهَاتَ كَيْـفَ يَجُـودُ لِـي بِرُجُـوعِ[1]

حسن الانتهاء

اهتم النقاد بخاتمة القصيدة،قال ابن رشيق:" خاتمة الكلام أبقى فـي السـمع، وألصـق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسُنَ، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها "[2]، كما قـال الرسول الكريم، وأسمو خاتمة القصيدة بأسماء مختلفة مثل المقطع [3]،الانتهاء [4]، وقـد دعـا العسكري إلى جعل الخاتمة أجود ما في القصيدة، وأكثرها ارتباطاً بالموضوع الذي نظمت مـن أجله [5]، فهي آخر ما يطرق الأسماع، ويعلق بالأذهان [6].

ويجب أن يكون " ما وقع فيها من الكلام أحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفِّر للنفس عمَّا قصدت إحالتهـا إليـه... وجـب الاعتناء بحسن الانتهاء لأنه منقطع الكلام وخاتمته [7]،وعلى الشاعر أن يجتهد فـي رشـاقتها ونضجها، وحلاوتها وجزالتها[8]،وفصاحتها، ودقة معانيها، وصواب تأليفها، فإذا أجاد الانتهـاء

([1]) **ديوانه:** ص 57.

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 278/1.

([3]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص442.

([4]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 239.

([5]) العسكري: **الصناعتين**، 443.

([6]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 239. بكار: **بناء القصيدة العربية**، ص 229.

([7]) القرطاجني، حازم أبو الحسن: **مناهج البلغاء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجـة، ط دار الكتـب الشـرقية، تـونس، 1966م، ص 285.

([8]) ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**،3/ 616.

جبَّ بفضله ما قبله من الهفوات في القصيدة، وإن كان غير ذلك، فقد يُنسي محاسن مـــا جـــاء فيها[1].

وقد اشترط النقاد في حسن الانتهاء أن يكون ساراً في المديح و التهاني، وحزينـــاً فـــي الرثاء، متضمناً حكمة أو مثلاً سائراً[2]،مشتملاً على تشبيه حسن [3]، ويكون اللفـــظ مســـتعذباً، والتأليف جزلاً متناسباً، ولا يزاد عليه، ولا ينتظر بعده أجمل منه، بحيث لا يبقى في النفس بعده تطلع ولا تشوق إلى ما يقال[4].

والناظر إلى قصائد بدر الدين، يجد عناية في خواتيمها كما في مطالعها، وما دام هـــدف بدر الدين من قصيدة المديح هو التكسب، فإنه قد أجاد في خواتيمها حتى ينال إعجـــاب الملـــك الناصر، ويحظى بوافر عطائه، وأنهى قصيدته مؤكداً مكانة الملك الناصر، ومعبراً عن مقصده من المدح، وهو الحظوة والظفر بالعطاء، مستخدماً الصور الفنية، وأكثر من الحديث عن جـــود الممدوح،وأنهى مدحيته مؤكداً مكانة الملك الناصر، وأن لا أحد يشبهه في الكرم،يقول:

(البسيط)

مُؤمِّلَ الرَّفْدِ فِي لَيلِـــى سُـــرىً وَقِـــرىً وَنافذَ الأمرَ فِـــي يـــومىْ نـــدىً ورَدا[5]

وَلا بَرِحْـــتَ لِمُرْتَـــادِ النّـــدى عَلَمَـــاً يَزينُ بَيْتَ قَصِـــيدٍ، أوْ لَمَـــنْ قَصَـــدَا[6]

واختتمها بالدعاء للملك الناصر بالنصر والعزة، والمنعة والطاعة، وطول العمر، وهـــو بهذا يتفق مع ما قاله النقاد" أن تختتم قصيدة المديح بالدعاء ولا يكون ذلك إلا للملوك لـــرغبتهم بالدعاء لهم،يقول ابن رشيق:" وقد كره بعض الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالـــدعاء، لأنـــه من، لأنَّه من عمل أهل الضعف، إلا للملوك، فإنهم يشتهون ذلك" [7].

([1]) انظر القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص 224.

([2]) انظر بكّار: **بناء القصيدة**، ص 239.

([3]) المصدر نفسه: ص 302.

([4]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 241.

([5]) **ديوانه**: 24.

([6]) المصدر نفسه: ص24.

([7]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 339.

وختم بعض قصائده بالمثل السائر، بعد الشكوى من جفاء الحبيب، وأصبح مثل ذلك الغراب الذي لا يعرف الراحة والاستقرار، يقول:

(الرمل)

واْغْتِرابَاً كُلّمَا قُلْتُ: انْقَضَى نَعَبَتْ غِرْبَانُهُ عَامَاً، فَعَامَا
دَائِرٌ كَالنّجْمِ فِي أفلاكِهِ لا يَرَى فِيهَا سُكوناً مَا أقامَا [1]

وختم بدر الدين قصيدة وصف فيها رحلة صيد مع بعض أترابه، مستخدماً أسلوب الدعاء، إلى استغلال أيام الصَّبا، والتمتع بها، يقول:

(الكامل)

خُذْ مَالِكي وَصْفَ الجَلِيلِ مُنَقّحَاً يا سَعْدُ، وَاقْضِ بِرَمِّهَا الأوْطَارَا
وَاستغنِمِ اللَّذاتِ فِي زَمَنِ الصِّبا لا زالَ كفُّكَ للنَّدى مِدْرارا[2]

وختم بعض قصائده متأثراً بالقرآن الكريم في قوله تعالى:" *وَلا تَقْتُلوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ*"[3]، يقول:

(الكامل)

وَوَراءَهُمْ قَلْبٌ يُساقُ لِمُغْرَمٍ مُتَمَلْمِلٍ فِي ساقَةٍ، وَسِياقِ
إنّي لأهواهُ عَلَى المَلَلِ الَّذي فِيهِ، وَيَكْرَهُنِي عَلَى إمْلاقِي[4]

واعتنى بدر الدين بقصيدة الرثاء، فقد ختمها بموعظة الموت وحتميته، وقوة بأسه، وتأسٍ على ما أصيب به من فقد صاحبه، ويتجلى ذلك فيما ختم به قصيدة رثى فيها الأمير تاج الدين، يقول:

([1]) انظر الرسالة: ص 59.

([2]) **ديوانه:** 39.

([3]) **سورة الأنعام: الآية 9.**

([4]) **ديوانه:** 66.

(الرجز)

وَعَـــدِتمَانِي يَـــا خَلَيلـــيَّ بَـــأنْ تَعْرِّجَـــا عَلَـــى النَّقَـــا وَتَحْبِسَـــا
وَقُلْتُمـــا صَـــبحيَ حِـــيٌّ بَعْـــدَهُمْ لَـــوْ كَـــانَ حَيّـــاً بَعْـــدَهُمْ تَنَفَسّـــا [1]

وأعرب بدر الدين في خاتمة قصيدة في الرثاء، بالاعتذار لنفسه، في ذهـــاب الشـــباب ولذاته، والحسرة التي زادته ألماً، يقول:

(الطويل)

وَمَرَّ الشَّبابُ الغَضُّ مِنّـــي، فَمُـــذْ نـــأى تتابَعَـــهُ العَـــيشُ اللّذيـــذُ تَتَبُّعَـــا
وكانَـــتْ بِأَحْنَـــاءِ الضّـــلوعِ حُشَاشَـــةٌ فَأسَـــبَلْتُهَا فَـــوقَ المَحَـــاجِرِ أدْمُعَـــا [2]

ويلاحظ أنَّ بعض قصائده، لم تنته بخاتمة ملحوظة، فقد قطعها، والنفس بهـــا متعلقـــة، وفيها راغبة مشتهية، تنتظر أن يكون للكلام بقية أو صلة [3]، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد أن يجعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو، وإسقاط التكلف، ومن ذلك قصيدته التي يصـــف فيها حيرة محبوبه، يقول:

(الكامل)

عَبَـــرْتُ أَجْرَعَـــهُ، وَخَـــدُّ غَـــديرِهِ عَبَثَتْ بِـــهِ أيْـــدي الصَّـــبا ؛ فَتَخَدَّشَـــا
وَقَدْ ارْتَمَـــى ذَهَـــبُ الأصـــيلِ عَشِـــيّةً فَغَـــدَا لُجَـــينُ النّهـــرِ مِنْـــهُ مُجَيّشَـــا
وَتَلَفّتَـــتْ عينـــي إلـــى بـــانِ الحِمـــى فَرَأيتُـــهُ لِغَزالِـــهِ مُسْتوحِشـــا [4]

فإن النفس بعد هذا القول لا تشعر بأن الغزل الذي أخذ به بدر الدين قد انتهى إلى غايته، بل ترقب مزيداً من الغزل.

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([2]) **ديوانه**: 57.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 240. بدوي: **أسس النقد الأدبي**، ص 312.

([4]) **ديوانه**: 52.

ومن الأمثلة على عدم وجود خاتمة ملحوظة في قصائده، قصيدة يصف فيها الريـــاض ومظاهر الجمال، من أزهار، وأشجار، وطيور، قطعها والنفس راغبة فيها، يقول:

(الطويل)

بَكَتْـــهُ حَمامـــاتُ الأرَاكِ، وَشَـــقَّقَتْ عَلَيهِ الصَّبَا أثْوابَ رَوضَـاتِها النُضْـرِ
فَكَـمْ مِـنْ نَحيـبٍ للحَمـائِمِ بالضُّـحَا عَلَيْهِ، وَلِلأنْوَاءِ مِـنْ دَمْعَـةٍ تَجْـرِي[1]

ثانياً: اللغة الشعرية

اعتنى النقاد بلغة الشعر، التي هي ليست إلا وعاء ينقل فيه الشاعر معانيه، ويسكب فيه عواطفه، فلا بدَّ أن تلتقي اللغة والمعنى معاً في ترجمة الفكرة وإبرازها [2]،لأن كلاً منهما متمم للآخر، ويرى ابن رشيق:" أنَّ اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى، واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظاً، ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير واجب "[3]، لأن اللغة ليست مجرد تعبير عن معنى محدد من خلال ألفاظ مرصوفة أو قوالب لغوية جاهزة، بل هي خلايا لفظية ومعنوية وعقلية ووجدانية تتفاعل داخل الجسم الحي للعمل الأدبي، ولا تملك لنفسها حياة فعلية خارج هذا الجسم [4].

فاللفظ والمعنى أهم ركيزتين يرتكز عليهما الشعر[5]، وعلى الشاعر الحاذق أن ينتقـــي أفضل الألفاظ، التي تساعده على أداء المعنى وإتمامه، فلا يصح أن يكون المعنى صائباً، واللفظ فاتراً ركيكاً، وفي ذلك مدعاة إلى رفضه [6]، ولهذه المشاكلة بين اللفظ والمعنى قيمـــة جماليـــة،

([1]) **ديوانه:** ص 42.

([2]) انظر الهيب: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**، ص 371.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 124.

([4]) انظر الكوفي، محمد سبل: **مبادئ النقد الأدبي**، تقديم محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة، 2007م، ص 157.

([5]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 363.

([6]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص 133.

لأنها تؤدي إلى حسن الشعر وحلاوته،وقوة تأثيره في نفس المتلقي، أما إذا قصّر الشاعر في ذلك، فإنه يكون سبباً في ضعف بنائه اللغوي،، وسوء تأثيره في النفوس[1].

وتأتي أهمية اللغة الشعرية، في كونها القالب الذي يسكب فيه الشاعر تجربته الشعرية، وهي الوسيلة التي تتبلور بها عناصر الشعر جميعاً بانفعالاته وأفكاره [2].

واشترط النقاد حسن الربط بين الأسلوب وغرض القصيدة، فلكل مضمون ألفاظه الخاصة به، فألفاظ المديح مثلاً، لا يستعملها الشاعر في الهجاء [3]،وألفاظ المديح الجزلة لا تستعمل في غرض الغزل الذي يحتاج إلى ألفاظ رقيقة سهلة [4]، قال ابن أبي الأصبع:" ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزلاً إذا كان المعنى فخماً، ورقيقاً إذا كان المعنى رشيقاً"[5]. وأشار الجرجاني إلى ذلك بقوله:" ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، بل ترتب كلاً مرتبته وتفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه، فإن المديح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسّلاح، ليس كوصف المجلس والمدام، فلكل واحد نهج، هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه "[6].

فالشعر في العصر المملوكي يتميز بصورة عامة بالفصاحة، والملاءمة بين الألفاظ والمعاني، والسهولة، فالمتلقي لا يجد عناء كبيراً في فهم ألفاظه، وتعبيراته، وهذه السهولة أصبحت ذوق العصر وأناسه، وكثيراً ما وجه النقاد الأدباء إلى حسن عرض المعنى، بألفاظ مناسبة، لأن الكلام إذا كان لفظه غثاً ومعرضه رثاً كان مردوداً، ولو احتوى على أجل معنى

([1]) انظر عثمان، عبد الفتاح: **نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم**، مكتبة الشباب، القاهرة، ص 186.

([2]) انظر الحليبي، محمود بن سعود بن عبد العزيز: **الحركة الأدبية في مجالس هارون الرشيد**، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2008م، ج2،ص 299.

([3]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي**، ص 477.

([4]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 166.

([5]) انظر ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 195.

([6]) انظر الجرجاني: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ص29.

وأنبله[1]، لذا اشترط النقاد في الكلام " خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد"[2]، لآن ذلك من شأنه إبعاد المعنى عن السامع وإيهامه يضعف التركيب، أو ثقل الكلام على الأسماع وصعوبة النطق به[3]، لذا ابتعد بدر الدين عن الألفاظ التي حذر النقاد من استعمالها، فقد دعا العسكري إلى تجنب الألفاظ الحوشية الغربية، والسوقية المبتذلة [4]، التي تحط من قيمة العمل الأدبي، ودعا إلى اختيار الكلام " ما كان سهلاً جزلاً، يشوبه شيء من كلام العامة، وألفاظ الحوشية، وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال"[5].

ووصف النقاد القدامى شعر بدر الدين بأنَّه على درجة من السهولة، وجمال اللفظ، وصحة السبك، وكلما أُنشِدَت أجدّت مسرّة، وأهدت إلى القلوب قراراً وإلى العين قرّة، تطرب الأسماع لبدائعه، وتنتظم المسرّة بفواصله ومقاطعه[6].

والناظر في شعر بدر الدين، يجده يتفق – في معظمه– مع ما اشترطه النقاد، فاتسم بالسهولة، والملاءمة بين اللفظ والمعنى، إذ حرص على اختيار اللفظ العذب الرقيق، والابتعاد عن الألفاظ الغريبة، يقول:

(الكامل)

أَخْفَيْتُ تَبريحَ الفُؤادِ وَإِنَّما نَمَّتْ بِأسرارِ الغَرامِ دُمُوعي
ما كُنْتُ أَعلَمُ أنَّ عيني فِي الهَوى عَيْنٌ عَلى ما تَحْتويه ضُلُوعي[7]

ومثل هذه الألفاظ جعلت شعر بدر الدين في متناول إدراك أوساط الناس يحفظونه ويتناقلونه.

([1]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص67.

([2]) انظر الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ط14، القاهرة، مكتبة الآداب، 1997م،ج1، ص345.

([3]) انظر المصدر نفسه: ص 1/ (14 –16).

([4]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص 148.

([5]) المصدر نفسه: ص 149.

([6]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

([7]) **ديوانه**: 58.

وعمد بدر الدين في إخوانياته إلى سهولة الألفاظ، وقد اعترف النقاد بقيمة هذه الإخوانيات ؛" فلها موقع خطير من حيث تشترك الكافة في الحاجة إليها، والشاعر إذا كان ماهراً،أغرب معانيها، ولطف مبانيها وتسهل له فيها مالا يكاد أن يتسهل في الكتب.. " [1]، ولعل مردَّ ذلك إلى انشغاله بمعاناته وانفعالاته الحادة، ليجد متنفساً لهمومه التي تلازمه، فقال:

(الطويل)

خَلِيليَّ، جَدَّ الجِدُّ، وَاتَّصَلَ الأسَى وَضَاقَتْ عَلى المُشْتَاقِ في قَصْدِهِ السُّبُلُ
وَقَدْ أصْبَحَ القلبُ المُعَنّى كَما تَرى مُعَنّى بِوَرَّاقٍ، وما عندهُ وصلُ[2]

ومن أشعار بدر الدين التي اتسمت بالرقة واللين والسهولة، ويستطيع القارئ فهم معظمها دون عناء[3]، بقوله:

(الكامل)

وَالنَّهْرُ جُنَّ بِهِ فَراحَ مُسَلْسَلاً صَبٌّ تَحَيَّرَ لا يُصيبُ قَرارا
بَهَرَ النَّواظِرَ حِينَ أَنْبَتَ شَطُّهُ لِلنَّاظِرينَ شَقَاشِقاً وَبَهارا [4]

وعلى الرغم من سهولة شعره، إلا أنه قد أغرب في بعض أشعاره مقلداً القدماء في ذلك، ومستخدماً معجمه اللغوي وحصيلة ثقافته الشعرية القديمة، يقول:

(الكامل)

فَإذا هَوَى بِكَ مَنْزِلٌ مُسْتوبِلٌ رَفَعَتْكَ هَوْجُ اليَعْمُلاتِ الوضَّعِ
كَلَّفْتُها مَسْحَ الفَيافِي قِسْمَةً فَلِذاكَ تَضْرِبُ أذْرُعاً فِي أذرُعِ[5]

([1]) بدوي: **أسس النقد الأدبي**، ص 577.

([2]) **ديوانه:** 71.

([3]) نهر الفيض: نهر في مدينة البصرة. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 4/ 323.

([4]) **ديوانه:** 32.

([5]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 172.

وتكثر الألفاظ الجزلة والتراكيب الفخمة في قصائد المديح وشعر المناسبات التي قيلت في الملك الناصر وغيره من الأمراء، إذ ربط النقاد بين المديح والجزالة، فسبيل الشاعر في مدحه، أن يجعل من معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة، يقول:

(الطويل)

أَمولايَ نجمَ الدينِ، وَالباسلَ الَّذي يَخُوضُ العوالي، وَالرّدَى وَجهُهُ جَهْمُ
أجَلَتَ قِدَاحَ الحَربِ فِي حَومَةِ الوَغَى فَلا غَرْوَ أنَ وَافاكَ مِنْ ضَرْبِهَا سَهْمُ[1]

وبرز التلاؤم بين الألفاظ والمعاني بجلاء في مدحه للملك الناصر، فالكلمات الراشد، المقتدر، معقد الآمال، الجود، الرافد، نافذ الأمر، وغيرها ملائمة لغرض المديح والإشادة بفضائل الملك الناصر[2].

وتتضح خصوصية التشكيل اللغوي في استعمال بدر الدين مهارته اللغوية في شعر الوصف، فجاءت ألفاظه تمتاز بالدقة والعذوبة والمباشرة، وقد أجمع النقاد "على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يماثله عياناً للسامع، وذلك بان يأتي الشاعر بأكثر معاني ما يصفه، وأظهرها فيه، وأولاها بان تمثله للحس بنعته" [3]نحو قوله:

(الطويل)

وَما ذَهَبتْ شمسُ الأصيلِ تَحيَّةً إلى الغَربِ حَتى ذَهَبتْ فِضَّةُ النَّهرِ
وَأَمسى أصيلُ اليومِ مُلْقىً مَنَ الضَّنا عَلى فُرُشِ الأزهارِ فِي آخرِ العُمرِ[4]

واستخدم بدر الدين ألفاظ الوصف وعباراته، حين رسم صورة الذّهاب إلى مكان الصيد وقت الصباح ومنها (فانهض، المرمى، هبَّ الصباح، نبّه الأطيار، نغمات أطيار)، هذا فضلاً عن تكرار لفظة الأطيار، يقول:

([1]) انظر الرسالة: ص17.

([2]) انظر حاشية الرسالة: ص8.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ (294– 295).

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 179.

(الكامل)

فَانْهَضْ إلى المَرمَى الأنيقِ بِنــا؛ فَقَــدْ هَــبَّ الصَّــباحُ، وَنَبّــهَ الأطيــارَا
وَاطــربْ إلــى نَغَمــاتِ أطْيــارٍ بَــدَتْ فِي الجَوِّ، وَهْــيَ تُجــاوِبُ الأوتــارا[1]

ويحتاج غرض الغزل إلى الرقة والليونة والبساطة والعذوبة في،التي تنساب على لسان الشاعر، فقد اشترط النقاد في الغزل" أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غيــر كزٍّ ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهرَ المعنى، لين الإيثار، شفاف الجوهر" [2]، ومن ذلك يقول:

(الكامل)

فّــارْفِقْ بِصَــبٍّ مُغْــرَمٍ يَــا شــادِنا لَولاكَ مَــا عَــرَفَ الغَــرامُ لَــهُ حَشَــا
وَاعْطِــفْ عَلَــى ذي لَوعَــةٍ، وَتَلَهُّــفٍ وَإلَــى لِقائِــكَ لَــمْ يَــزَلْ مَتَعَطِشــا [3]

فالألفاظ (ارفق، صبٍّ، الغرام، اعطف، تلهف، لقاء، متعطش)،كلهــا ملائمــة لموقــف التعبير عن حال عاشق شفّه الوجد والأسى من حبيب يتلاعب به.

وإنَّ جلَّ ألفاظه ومعانيه تحتوي على النغمة العاطفية، والجرس الحزين،فهذا لا يعني أنَّه لا توجد ملاءمة بينها، بل أن شعره الغزلي اتسم بالتلاؤم بين الألفاظ والمعاني، عبّر فيها عمــا يجيش به صدره من لواعج العشق والغرام بأسلوب عذب، واستخدم الألفاظ الدالة علــى ذلــك، (أضرم، أضلع، ناقض، غدّار، نار موججة، طافحة)، تعكس حالة الشــاعر، وانكســاره أمــام المحبوبة، يقول:

(البسيط)

وَأَضــرَمتْ أضــلُعي نــاراً مُؤجَجَــةً وَحَيَّرَتْ أدْمُعِي فِــي العَــينِ يــا حــارِ
فَبِــتُّ بِالــدّمعِ كَالغُــدْرانِ طافِحَــةً مِني عَلَــى نــاقِضٍ لِلْعَهْــدِ غَــدارِ[4]

([1]) **ديوانه:** 33.

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 116.

([3]) **ديوانه:** 51.

([4]) المصدر نفسه: ص40.

وتضمنت لغة بدر الدين أسماء أماكن ومدن ارتبطت بحياته أو بحوادث معينة، فقد ذكر للشام وضواحيها ومدنها مثل جلّق "دمشق" والنيرب، ولبنان، والعراق وأنهارها مثل (الفرات، والصَّراة والفيض، وبلاد الحجاز وبعض ضواحيها مثل المحصب، الغوير)[1].

وقال بدر الدين في بعض الأشعار المستحدثة، الدوبيت والزجل، ومال شعره إلى السهولة، والبساطة والعامية وخاصة في الزجل، وارتبط شعره بجوانب البيئة العامة، ولغة الشعب وعاداته، لتكون في متناول أيدي الناس، وبخاصة أصحاب المهن، فقال في طبّاخ مليح:

نهارْ تجي ونتواكلْ ذاك نهارْ سعيدْ
ونمدْ السماطْ معْ الأخوانْ ويكونْ عندي عيدْ[2]

وفقد أدى اختلاط العرب بالأعاجم في حاضرة الخلافة، إلى اختلاط اللغة العربية بالألفاظ الأعجمية، وهذه سنة طبيعية من سنن تزاوج الحضارات وتوالدها، وليس في هذا ما يعيب العربية، ما دامت الألفاظ تؤدي المقصود، وتزيده ثراءً وغنىً[3].

وشهد معجم بدر الدين وفراً من الألفاظ ذات الصلة الماسة بالحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية، نتيجة التفاعل اللغوي بين اللغة الأم وغيرها من اللغات، فقد برزت ألفاظ فارسية وتركية، ومن الألفاظ الفارسية، التي وردت في وصف طائر اللغلغ كلمة " الدستار"، التي يقابلها في العربية كلمة " المنديل"، فقال:

(الكامل)

جَبَلٌ عَلى ضَعْفِي إذا اسِتَعْطفْتُهُ ألوى عَليَّ العُنْقَ، وَالدَّستارا[4]،[5]

([1]) **ديوانه:** ص(13، 28،14).

([2]) النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والأزجال**، ص 218.

([3]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 203.

([4]) الدِّستار: " المنديل"، المنديل الذي يلاث عمامة، ولعله يعني ريش الرأس، وقد تكون الدِّستار الشال أو العمامة ذاتها، انظر هامش **ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبي**، ص 31.

([5]) **ديوانه:** 31.

ووردت كلمة " مشربش"[1]، التي اختلف في أصلها، فقيل سريانية الأصل، أو من أصل فارسي، وهو غطاء يجعل على الرأس بغير عمامة، ويلبس معه على قدر رتبته، ويبدو أن الشربوش رمز مميز للأمير، وقد وظفها في وصف جمال محبوبه، يقول:

(الكامل)

لاَثَ القِناعُ عَلى الصَّباحِ، وَإنّهُ يُسبي العقولَ مُعَمَماً، وَمُشَرْبَشا[2]

ووردت كلمة " السنجق"[3]، تركية الأصل، في مدحه لشجاعة الملك الناصر، كما قال:

(البسيط)

وَسَنْجقٍ سَائرٍ تَهفُو ذَوَائِبُهُ وَسْطَ السَّمَاءِ كَنَجْمِ الرَّجْمِ مُتَّقِدا[4]

واستعان بكلمة " الجوشن"[5] في وصف جناحي طائر النسر، يقول:

(الكامل)

أرْخَى جَناحيْهِ عَليه كَجوشَنٍ لَوْ كَانَ يَمْنَعُ دُونَهُ الأقْدارَا[6]

واستخدم كلمة " الجلنار "[7] الفارسية في قوله يصف الخمر في لونها الأحمر، يقول:

([1]) الشّربش: هدب الثوب مولّد، وهي كلمة مركبة من كلمتين "سر": بمعنى الرأس، و"وش": بمعنى الغطاء، وقيل الشربوش شيء يشبه التاج، كأنه شكل مثلث، يجعل على الرأس بغير كمامة، ويلبس معه على قدر رتبته، ويبدو أنَّ الشربوش رمز مميز للأمير. انظر الفيروز أبادي: **قاموس المحيط**، 2/ 276، مادة "شربش". الكرمي، حسن سعيد: **الهادي في لغة العرب**، ط1، دار لبنان، بيروت، 1991م،ج2، ص 445.

([2]) انظر **ديوانه**: 51.

([3]) السنجق: لفظ تركي فارسي معناه العلم أو الراية أو اللواء، انتشر ذكره في العصرين الأيوبي والمملوكي، انظر الخطيب، مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخي**ة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996م، ص 259.

([4]) **ديوانه**: 23.

([5]) الجوشن: كلمة فارسية، اسم الحديد الذي يلبس من السلاح، ويقول الجوهري:" هو الدرع البتراء القصيرة، التي تغطي الصدر فقد بلا ظهر ولا أكمام. انظر إبراهيم، رجب عبد الجواد: **ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م، ص 95.

([6]) **ديوانه**: 36.

([7]) الجلنار: زهر الرمان. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1 / 132.

(الكامل)

قَـــدْ أيْنَعَـــتْ وَتألَقَـــتْ فَكَأنّمَـــا هِـــي جُلُّنَـــارُ لِلنَـــديمِ وَنَـــارُ[1]

ولم يمنع حرص بدر الدين من الوقوع في شرك المآخذ والعيوب التي حذر منها النقاد، كالوقوع باللحن والضرورات الشعرية،ولم يكن جاهلاً بقواعد اللغة وقوانينها، وهـو صـاحب الثقافة الواسعة، وإنما لحن لإقامة الوزن، وقد دعا العسكري إلى الابتعاد كلّ البعـد عـن هـذه الضرورات "حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر"[2]، ورفض ابن فارس أن يـأتي الشـعراء فـي أشعارهم بما يخالف أعراف اللغة وقواعدها عند الضرورة"[3].

وقد عاب بعض النقاد العرب القدامى والمحدثين على الشعراء اللحن في أشعارهم، لمـا فيه فساد للغة، وعبث بتقاليدها وقوانينها المتوارثة[4]،ويرى ابن طباطبا أنه ينبغي للشاعر " أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب، التي نبه عليها، وأمر بـالتحرز منها، ونهى عن استعمال نظائرها، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار، وأنه يسـلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يقتدي بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن"[5].

ومن مظاهر ذلك اللحن صرف ما لا ينصرف، كما يبدو في كلمة " أهيف"، التي وصف فيها أحد الغلمان، يقول:

(مجزوء الرجز)

وَذي قَـــــــوامٍ أَهيـــــــفٍ بَـــينَ النَّـــدامى قَـــدْ بَسَـــطْ [6]

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([2]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص 55.

([3]) ابن فارس، أبو الحسن أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشُّويمي، مؤسسـة أ. بدران، بيروت، 1963م، ص 276.

([4]) عبد الرحيم: **فن الرثاء**، ص 327.

([5]) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي: **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، 1956م، ص 16.

([6]) **ديوانه**: 55.

وقوله في صرف لفظة " أحمد " العلم الذي على وزن أفعل، فقال:

(الطويل)

هَمُ فَارَقوا مِنْــهُ الخَلِيــلَ بــنَ أحمــدٍ وَأنــتَ فَفَارقــتَ الخليــلَ وَأحمــدا[1]

ومن الضرورة الشعرية قصر الاسم الممدود في كلمة السما، فقال:

(الرمل)

مَا هُــمُ مِــنْ قَــومِ نُــوحٍ يــا سَــما أقْلِعي عَنْهمْ ؛ فَهُمْ مِنْ قَــوْمِ لُــوطِ [2]

ومثله لفظة "الحَيا" في قوله:

(الرمل)

وَاتَّقــى نَبْــلَ الحَيــا لَمَّــا ارْتَــدَى عِطْفُهُ مِــنْ حَبَــبِ الغُــدْرانِ لامــا[3]

ثالثاً: الأسلوب

تنوعت الأساليب الشعرية في شعر بدر الدين، واعتمدت على محصوله الثقافي والمعرفي، وحصيلة تجاربه، وتنوع الأغراض الشعرية، التي دفعته إلى استخدام الأسلوب المناسب لها، ومن الأساليب البارزة في شعره:

التناص

"تعدُّ ظاهرة تداخل النصوص وانفتاحها على بعضها على بعض" وهي سمة جوهرية في الثقافة العربية، قديمة قدم الممارسة النصية ذاتها، وقد انشغل الخطاب النقدي العربي القديم بهذه الظاهرة في مجال دراسة النص، وعلاقة القديم بالمحدث، واللفظ بالمعنى..." [4].

([1]) انظر الرسالة: ص9.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

([3]) **ديوانه:** 74.

([4]) انظر وعد الله، ليديا: **التناص المعرفي في شعر عز الدين مناصرة**، عمّان، دار مجدلاوي، 2005م، ص 15.

وتعتمد تقنية التناص على إلغاء الحدود بين النص والنصوص،أو الوقائع،أو الشخصيات التي يضمنها الشاعر نصه الجديد،حيث تأتي هذه النصوص موظفة ومذابة في النص، فتفتح أفاقاً أخرى دينية وأسطورية وأدبية وتاريخية [1]، إذ اعتمد تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح.

ولا بدَّ للشاعر أن يعتمد في كتاباته على ما تأثر به من نصوص أخرى بحسب طبيعة تفكيره وميوله الأدبية، وما من كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة، دون أن تكون متأثرة بغيرها[2] من نصوص مكتوبة، وغير مكتوبة، أو ينتقي منها صورة أو موقفاً درامياً أو تعبيراً ذا قوة رمزية' ليمنح نصوصه الشعرية ثراءً دلالياً، وطاقة تعبيرية هائلة[3].

ووظّف بدر الدين التناص في شعره من خلال ما ذكره النقاد سابقاً من المصطلحات النقدية السائدة آنذاك، كالاقتباس، والتضمين، والسرقات الشعرية، ويمكن إجمال مظاهر التناص في شعره في الآتي:

التناص الديني

ويمّثل الخطاب الديني مرجعية ثقافية واجتماعية وفكرية، ومحور العلوم والمعارف في العصر المملوكي، فمن أرضيته ينطلق الشاعر للتعبير عن رؤيته للعالم [4].

واستخدم بدر الدين التناص الديني متمثلاً بالقرآن الكريم، إذ بدا التأثر به واضحاً عنده، وهذا يعني إعطاء مصداقية متميزة لمعاني الخطاب الشعري،حيث يعدُّ القرآن الكريم رافداً مهماً في الشعر العربي، استطاع الشاعر أن يقتبس منه صياغات جديدة غير مستهلكة، تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس ؛ واستعار لغة دينية وآيات قرآنية ذات ظلال مشبعة بجوّ روحي،

([1]) انظر مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري**، " إستراتيجية التناص"، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1992م، ص 121.

([2]) انظر حسين، محمد طه: **التناص في رأي ابن خلدون**، مجلة فكر ونقد، 2000م، ع32، ج4،ص 127.

([3]) انظر سلمان، ختام سعيد: **اتجاهات الشعر بين الجاهلية والإسلام**، رام الله، د. ن،2009م، ص 229.

([4]) انظر إسماعيل، يوسف أحمد: **بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي**،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الكويت، الرسالة 220، العدد (2005 – 2006)، ص 92.

أسهمت في وصول الرسالة الشعرية، وتداعي المعاني والصور في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية [1].

إنَّ علاقة التناص مع القرآن الكريم في شعر بدر الدين،كانت في حلقتيْن كبيرتيْن، يجسدان التعامل معه الأولى: الاقتباس. والثانية: الإشارة [2].

الاقتباس: تتعدد صوره من القرآن الكريم ؛ فمنها اللفظي، بغاية إيقاعية، أو بغاية دلالية، ومن ذلك قوله:

(الكامل)

البَرْدُ قَدْ ولّى ؛ فَمَا لَكَ رَاقِداً يَا أيُّهَا المُدَّثِرُ المُزَّمِّلُ[3]

فالشاعر استوحى قوله تعالى:"***يَا أيُّهَا المُدَّثِّر***"[4] والآية الأخرى "***يَا أيُّهَا المُزَّمِّل***"[5]، هذا من شأنه إثبات شدة البرد والأمطار الغزيرة، التي أصيبت بها بلاد الشام، وخلو الشوارع من المارَّة، أو ميلهم إلى الكسل في فصل الشتاء.

ووظَّف بدر الدين التناص الديني في وصفه تزهير نوّار اللوز، في استدعاء الشيب بكثرة في الرأس، دلالة التعجب والإعجاب، يقول:

(مخلع البسيط)

مَا نَظَرَتْ مُقلتي عَجَبَاً كَاللَّوْزِ لَمّا بَدَا نُوارُهُ
اشْتَعلَ الرَّأسُ مِنْهُ شيباً وَاخْضَرَّ مِنْ بَعْدِ ذا عِذارُهُ[6]

([1]) انظر جيدة، عبد الحميد: **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**،مؤسسة نوفل،بيروت، 1980م، ص 66.
([2]) انظر المصدر نفسه: ص70.
([3]) **ديوانه:** 71.
([4]) سورة المدثر: الآية 1.
([5]) سورة المزمل: الآية 1.
([6]) انظر الرسالة: ص75.

مستوحياً قوله تعالى:"***قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَأسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًا***"[1].

وقال في استعطاف أحبته والتأسي يوم رحيلهم:

(مجزوء الكامل)

إنَّ الـــــــذين تَرَحَّلـــــــوا نَزَلُـــوا بِعَينـــــي النَّـــــاظِرةْ
أسْـــــكَنْتُهُمْ فِـــــي مُهْجَتـــــي إذا هُـــــــمُ بالسّـــــــاهِرَةْ [2]

فالشاعر استوحى قوله تعالى:"***فَإِذا هُمُ بِالسّاهِرَةِ***"[3]، لتأكيد العلاقة بين رحيل أحبائه، وعنايته بهم، فقد أسكنهم في أرض لم توطأ، كأنَّ قلبه يشبه أرضاً يحشر فيها الناس يوم القيامة.

وتشكل الإشارة إلى النص القرآني بعداً ثقافياً في مخزون كل شاعر، ويرتبط هذا في العصر المملوكي بشكل خاص بخصوصية الثقافة الدينية فيه، وتأخذ الإشارة إلى النصِّ موقعاً متقدماً على الاقتباس الحرفي، إلا أن ذلك لا يفضلها عليه، لأنَّ عامل التفضيل ينحصر في طبيعة التناص والقوانين التي تتحكم في مساره[4]، يقول معبراً عن هذا المعنى:

(الكامل)

إنّـــي لأهـــواهُ عَلَـــى المَلَـــلِ الَّـــذي فيـــهِ، وَيَكْرَهُنِـــي عَلَـــى إمْلاقِـــي [5]

واستوحى بدر الدين قوله تعالى:"***وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ***"[6]، للإشارة إلى الحالة الاجتماعية السيئة والمعاناة من الخطوب، التي كان يعاني منها الشاعر وغيره من الناس.

([1]) سورة مريم: الآية 4.
([2]) **ديوانه:** 87.
([3]) سورة النازعات: الآية 13.
([4]) انظر جيدة: **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**، ص 74.
([5]) **ديوانه:** 66.
([6]) سورة الأنعام: الآية 151.

ووظّف بدر الدين الإشارة القرآنية في وصف السيف الحاد، وحركته أثناء المعركة، فقال معبراً عن هذا المعنى:

(الطويل)

وَذي شُطَبٍ، مــاضٍ، إذا مــا سَــلْتَهُ تَراهُ كَنَجْمِ الــرَّجمِ، يَهْــوى شِــهابُهُ[1]

واستحضر الشاعر قوله تعالى:" ***وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا*** "[2]، وقوله تعالى:" **إِلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمعَ فَاتبَعَهُ شِهابٌ ثاقب**"[3]، لتأكيد علاقة المشابهة بين السيف الحاد، الذي يهبط على رقاب الأعداء، والشهاب الذي يرسله الله تعالى وراء من يجلس يسترق خبر السماء من الجن.

واستعان بدر الدين بالإشارة الدينية في وصف غلام أوقعت به جماعة، فاكتالوا منه وعليه: أي أخذوا منه وتولّوا الكيل، يقول:

(الكامل)

وَاكْتالَــهُ كُــلٌّ هُنــاكَ، وَمــا رَأى مِنْهُمْ سِوى حَشَفٍ، وَسُــوءِ الكَيْــلِ[4]

استحضر الشاعر قوله تعالى:" ***وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّــاسِ يَسْــتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ*** "[5]، فهؤلاء بسوء تصرفهم، أصبحوا مثل أردأ التمر: وهو الذي يجف ويصلب ويتقبّض قبل نضجه، فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ولا لحم، وقالوا:" أحشفاً وسوء كيلة:" لمن يجمع خصلتين مكروهتين "[6].

([1]) **ديوانه:** 14.

([2]) سورة الجن: الآية 9.

([3]) سورة الحجر: الآية 18.

([4]) انظر الرسالة: ص 55.

([5]) سورة المتطففين: الآيات 1،2،3.

([6]) انظر الصعيدي: **بغية الإيضاح**، ص 456.

ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الحضور، تعدد أسماء الرسل، إلا أنَّها تدخل في سياق النص الشعري بدلالات مختلفة،وفقاً لعلاقة التناص التي يتوخاها الشاعر، وما توفره من أبعـــاد دلالية، ومن ذلك اسم سيدنا " نوح "– عليه السلام–، لقصته مع قومه، إذ كانت السفينة في قصة الطوفان وسيلة للنجاة، واتخذت قصة الطوفان بعداً شعورياً آخر يكمن في البحث عن وسيلة نجاة من اشتداد هطول الأمطار، والاستغفار لأهل الشام،فهم ليسوا كقوم نوح، بل أنّهم من قوم لوط، إشارة إلى أن العذاب جاءهم لسوء أخلاقهم، يقول:

(الرمل)

أنْ أقـــامَ الغَيْـــثُ شَـــهْرَاً هَكَـــذَا جَـــاءَ بِالطُوفَـــانِ، وَالبَحْـــرِ المُحْـــيطِ
مَا هُـــمْ مِـــنْ قَـــومِ نُـــوحٍ يَـــا سَـــمَا أقْلِعِي عَنْهُمْ؛ فَهُمْ مِـــنْ قَـــومِ لـــوطِ [1]

ويستحضر بدر الدين قصة داود عليه السلام في وصف أتراب له فـــي رحلـــة صـــيد، ويوضح مدى شجاعتهم، و يقول:

(الكامل)

مُتَعَطِّفـــاً مِـــنْ حَـــزمِ داودَ الَّـــذي فَـــاقَ الأنَـــامَ صِـــناعةً، وَفَخَـــارَا[2]

استخدم العبارة " حزم داود" إيماء لصنعة داود الدروع من الحديد، وقد سخره الله تعالى له.

ويأتي في طليعة الرموز الدينية التي وظّفها بدر الدين رمز" يعقوب" –عليه السلام– فقد تناص بدر الدين مع هذه الشخصية، وكان لها حضور مميز، فشخصية " يعقوب" – عليه السلام – باقية بما تكتنفه من الايجابيات، يسهل وضعها في قالبها اللغوي، إذ الـــتمس تلـــك المعانـــاة الإنسانية – بكيد أبناء يعقوب لأخيهم يوسف – التي عاشها سيدنا "يعقـــوب"– عليـــه الســـلام – ليصهر الهم الفردي الذي قاساه، حين صوّر حزن الحمامة، وتعبيرها بهديلها الشجي، يقول:

([1]) **ديوانه:** 55.

([2]) المصدر نفسه: ص30.

(الكامل)

وَرْقَاءُ قَدْ أخَذَتْ فُنُــونَ الحُــزنِ عَــنْ يَعْقُوبَ، وَالألحَانَ عَــنْ إسْــحَاقِ[1] [2]

مستوحياً قوله تعالى:" ***وَتَوَلَّى عَنْهُم وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّــتْ عَيْنَــاهُ مِــنْ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ*** "[3].

واستحضر بدر الدين القصة بالإشارة الدينية، قصة "بلقيس"، مع نبي الله سليمان عليــه السلام، في وصفه الخمر المعتق، ومما قاله:

(البسيط)

قَدِيمَــةٌ ذَاتُهــا، فِــي رَوضِ جَنَّتِهــا كَانَتْ، وكَانَ لَهَا عَرْشٌ عَلَــى المَــاءِ[4]

فالشاعر يستحضر قوله تعالى:" ***قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْصَّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجّةً، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا وَقَالَ إنَّه صَرْحٌ مُمَرّدٌ مِنْ قَوارِيرَ، قَالَتْ رَبِّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيمَانَ لله رَبِّ العَالْمينَ*** "[5]، عندما لبّت بلقيس دعوة سليمان- عليه السلام – بالدخول إلى الصرح الذي صنعه لها (أدخلي الصرح)،فلمّا رأته حسبته لجة من الماء [6].

واستوحى بدر الدين قصة أحد ملائكة الله تعالى "هاروت"[7]، يقول:

(البسيط)

قَدْ عَلَّقَ القُرطَ فِــي ذاكَ الفَضَــاءِ بِــلا ذَنْبٍ، وَهَارُوتُ عَينَهُ الَّــذي سَــحَرَا[8]

([1]) **ديوانه:** 65.

([2]) انظر التناص الأدبي من الرسالة ص 159.

([3]) سورة يوسف: الآية: 84.

([4]) **ديوانه:** 11.

([5]) سورة النمل: الآية 44.

([6]) انظر مصطفى، محمد السيد حسن وآخرون: **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، ط1، مؤسســة شــباب الجامعــة، 1981م، ص(72- 75).

([7]) هاروت: هو من أصلح الملائكة وأعبدهم، واسمه: عِزا،، وإنما غيِّر اسمه لما اقترف الذنب. انظر الثعالبي: **قصــص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، ص (44-46).

([8]) **ديوانه:** 43.

يعيذ الشاعر غلامه من تعلم السحر، كما جاء في قوله تعالى:" ***وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيمانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيمانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِموا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوُا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَو كَانُوا يَعْلَمونَ***" [1]، كتعلق هاروت بالسحر عندما ابتلاه ربه.

ومن المصطلحات الدينية التي وظفها بدر الدين " المجوس"[2]، في وصفه للخمر، وعشق عبيد النار لها، كأنَّها عند شربها نار تصدر نوراً ولهيبا، فقال:

(البسيط)

صَلَّى المَجوسُ إليهَا، وَاصْطَلَوْا لَهَبَاً مِنْها ؛ فَصَلُّوا لِذاتِ النُّورِ، وَالنّارِ[3]

واستوحى الشاعر رمز الديانة النصرانية، في وصف طائر المرازم، وحنينه إلى عشه، فقال:

(الكامل)

وَعَجِبتُ كَيفَ صَبَتْ إلى صُلْبانِها تِلكَ الرُمَاةُ، وَمَا هُمُ بِنَصارى[4]

التناص التاريخي

وظّف بدر الدين التاريخ بتجلياته المختلفة ليعبِّر عن المعاني التي أرادها، واحتفى ببعض الأحداث والشخصيات التاريخية، واستدعاها في نصوصه للتعبير عن رؤية خاصة، وموقف

([1]) سورة البقرة: الآية 102.

([2]) المجوس: وهي الدين الأكبر والملة العظمى، أو ما يسمى الثنوية وهما (النور والظلمة)، ومسائل المجوس تقوم على قاعدتين إحداهما امتزاج الظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة. انظر الأندلسي، ابن حزم الظاهري (ت456هـ): **الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني** (ت548هـ)، صححه وذيله بهوامش مفيدة عبد الرحمن خليفة، ط1، 1347هـ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر بمصر، ج2، ص 57.

([3]) ديوانه: 41.

([4]) المصدر نفسه: ص38.

ذاتي، إيماناً منه بوحدة التجربة الإنسانية، ومحاولاً الربط بين الماضي والحاضر، ومن تلك الشخصيات: كسرى، وبلقيس[1]، والجوهري، وإسحاق الموصلي[2]، ومعركة ذي قار[3]، وبعض القبائل العربية منها بنو أسد[4]، وبني ثعل[5].

أما كسرى، هذه الشخصية التي تمثل في الذاكرة العربية بعدين ؛ الأول: رمز الرفاهية والسلطان، والثاني: رمز التبشير بالدعوة الإسلامية حين ولد الرسول الأعظم، ولكن بدر الدين استحضر طقوساً من رفاهية كأس الخمر التي عتقت في زمنه[6]، يقول:

(البسيط)

صَهْبَاءُ مِنْ عَهْدِ كِسْرَى حِينَ عَتَّقَهَا فِي دَنِّهَا، وَبِهِ كَانَتْ بِذِي قَارِ[7]

وبنو أسد وبنو ثعل من القبائل العربية المشهورة في الجاهلية،واشتهرت بإحكام الرمي، يقال بأسنانه ثُعل: وهو زيادة سن أو دخول سن تحت سن مع اختلاف المنابت، [8]،وقد استوحى الشاعر أسماء هاتين القبيلتين للدلالة على شجاعة محبوبه، وشدة تأثير عيونه فيمن ينظر إليهم، يقول:

([1]) انظر التناص الديني من الرسالة: ص 151.

([2]) **انظر حاشية الرسالة: ص 81.**

([3]) انظر الرسالة: ص 91.

([4]) قبيلة بني أسد: أسد قبيلة مضرية، عدنانية من أرجاء العرب، فهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان، امتدت أسد في ديارها امتداداً واسعاً شمل الحجاز،و تميزت بالفروسية، ولزوم الخيل، واكتسبت أسد منزلة عالية ونأت شزراً بعيداً في الإسلام، ومصاهرة الرسول الكريم. انظر السنديوني، وفاء فهمي: **شعر قبيلة بني أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام**،ط1، النشر العالمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1421هـ، ص 80.

([5]) قبيلة بني ثُعل: من القبائل العربية المشهورة، بطن من بطون قبيلة طيء، تميزوا بإتقان الرمي المصيب، ومن أشهر رجالاتها عمرو بن المسيح الثعلي الذي قدم على الرسول في عام الوفود، أسلم وهو ابن مائة سنة. انظر النابلسي: **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار**، ص 152.

([6]) انظر إسماعيل،: **بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي**، ص 45.

([7]) **ديوانه:** 41.

([8]) ثُعل: يقال رجل أثعل وامرأة ثعلاء، والثُعل اسم السن الزائد، وكذلك الظبي الزائد. انظر الزمخشري، جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر: **أساس البلاغة**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص 93.

(البسيط)

إذا سَطَا قُلْتُ: شِـبلٌ مِـنْ بَنِـي أسَـدٍ وإنْ رَنَا قُلتُ: رَامٍ مِـنْ بَنِـي ثُعَـلِ[1]

التناص الأدبي

استخدم بدر الدين التناص الأدبي، إذ استعان بثقافته الأدبية، وإرثه الشعري في قصائده ومقطوعاته،وتكمن القيمة الفنية لهذا التناص في تأكيد المعنى، وإضفاء لمسات الجمال عليه[2]،وعلى الشاعر أن يحسن التصرف فيما استملحه من الشعر المُضمن عن معناه الأصلي الذي قيل فيه سابقاً، ليتلاءم مع المعنى الجديد الذي رُحِل من أجله[3].

وبرز هذا التناص بوضوح في غرضي الوصف، والغزل، ويشكل شعر الشعراء في العصور الأدبية السابقة المادة الرئيسة في تناصه الأدبي، وبخاصة من اشتهر منها عبر تاريخ الأدب بسمات محددة، ومن ذلك عنترة بن شداد، ومتمم بن نويرة، والمتنبي، وابن القيسراني، ويكون استلهام هذه الأشعار متعدد الجوانب على حسب المغزى الأدبي، وإيماءات السياق الرامز.

ووظّف بدر الدين بعض الشخصيات الأدبية ومنها" الجوهري"[4]، واضع معجم "تاج اللغة وصحاح العربية"، الذي يمثل مرحلة جديدة في تطور المعاجم العربية، وترتيب مواد اللغة حسب النظام الأبتثي مع اعتبار أوائل الأصول،وذلك في وصفه جمال فم محبوبته، الذي يتكلم كلاماً يشبه الكلمات الموجودة في معجم الصحاح، دلالة على الفصاحة، والدراية، يقول:

([1]) **ديوانه:** 72.

([2]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 2/ 326.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 85.

([4]) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد، كان من أعاجيب أهل زمانه، ذكاء وفطنة، أصله من بلاد الترك من فاراب، رحل إلى بغداد،وهو إمام في علم اللغة والأدب، كان يوثر السفر والطواف، تلقى علومه على يد عدد من أفذاذ اللغة، ولم تعرف سنة ولادته، توفي (393هـ). انظر عطّار، أحمد عبد الغفور، **مقدمة الصحاح**، ط1، القاهرة، دار العلم للملايين، 1956م، ص(108– 109).يعقوب، أميل بديع: **المعجم المفصل في اللغويين العرب**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج1، ص 105.

(السريع)

وَجَـــوْهَرِيِّ الثَّغْـــرِ قَـــدْ أصـــبَحَتْ فِيـــهِ أحاديـــثُ غَرامـــي صِـــحَاحْ[1]

ووظّف بدر الدين شخصية إسحاق الموصلي[2]،رائد الموسيقى والغنـــاء فـــي العصـــر العباسي، ليستحضر في ذهن المتلقي المعاني الموسيقية، ويقرب بين ألحـــان حمامتـــه وألحـــان إسحاق الموصلي، يقول:

(الكامل)

وَرقاءُ قَدْ أخَذَتْ فُنُـــونَ الحُـــزْنِ عَـــنْ يَعْقُـــوبَ، وَالألحـــانَ عَـــنْ إسْـــحَاقِ[3]

ومن أنواع التناص التي شاعت في شعر العصر المملوكي " التضـــمين"،وقـــد اتخذتـــه جماعة من الشعراء مذهباً خاصاً بها، وأطلق عليها النقاد " الإيداع بمعنى " أن يـــودع النـــاظم شعره بيتاً من شعر غيره، أو نصف بيت، أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة مناسبة بـــروابط متلائمة بحيث لا يظن أن البيت بأجمعه له"[4]، وأكد ابن حجة ضرورة صرف البيت المضَّـــمن عن معناه إلى معنى جديد، وهذه ميزة فنية لا يقدر عليها كل شاعر[5].

والتضمين يكشف عن ثقافة ودراية الشاعر بنتاج غيره من الشعراء، ليقطف منه زهوراً يضعها في حدائق أشعاره، ولم يكتف بدر الدين بأخذ الشطر المُضَّمن وإلصاقه بتناسق وانسجام في أبياته، بل غالباً ما يعمد إلى أحسن التضمين، وذلك بصرفه عن معناه الأصلي ليلائم المعنى الجديد الذي وضع له.

وضمّن بدر الدين أشعاره بيتاً كاملاً من شعر المتنبي، في هجاء أحدهم، وقد لبس ثوب صوف أسود، قال فيه:

([1]) **ديوانه:** 18.

([2]) انظر حاشية الرسالة: ص 81.

([3]) **ديوانه:** 65.

([4]) ابن حجة: **خزانة الأدب**، 1/ 377.

([5]) المصدر نفسه: ص1/ 377.

(الرجز)

فِـــي هَيْئَـــةَ الرُّهْبَـــانِ إلا أنّـــهُ لا يَعْـــرِفُ الْتَحْـــرِيمَ وَالْتَحْلِـــيلا [1]

واستطاع بدر الدين بمهارته أن ينقله من بيت يتحدث عن الأسد، إلى بيت يهجـــو فيـــه أحدهم، وقد ادَّعى التدين، من أجل الانتقاص من تصرفاته الدينية، وتوضيح أثرها في المجتمع.

وأُعجب بدر الدين بشطر بيت الشاعر عنترة، وقد صرف الشطر البيت المُضَمَّن عـــن معناه الأصلي، في وصف سوء الحال الذي يعيشه في صيف شديد الحر، فالشاعر يعـــيش فـــي غرفة لا يدخلها الهواء العليل، ولا يفارقها الذباب، يقول:

(الكامل)

عَـــزَّ الْنّســـيمُ بِهَـــا، فَلَـــيسَ بِسَـــابِحٍ وَخَلا الذُّبابُ بِهَـــا، فَلَـــيسَ بِبَـــارِحٍ[2]

وهذا الشطر مضمن من بيت لعنترة يتحدث فيه عن دار محبوبته عبلة التي يطنُّ فيهـــا الذباب طرباً،ويصوّت تصويت شارب الخمر حين رجع صوته بالغناء، فقال:

(الكامل)

وَخَلا الـــذُبَاب ُ بِهَـــا، فَلَـــيْسَ بِبـــارِحٍ غَـــرِدَاً كَفِعْـــلِ الْشّـــارِبِ المُتَـــرنمِ[3]

واستوحى بدر الدين شعر ابن القيسراني[4]، فقال:

(البسيط)

هَذا الَّـــذي سَـــلَبَ العُشّـــاقَ نَـــومَهُمُ أما تَرى عَيْنَهُ مَـــلأى مِـــنَ الوَسَـــنِ[5]

([1]) البرقوقي ، عبد الرحمن : **شرح ديوان المتنبي ، مطبعة السعادة ، بيروت، بدون تاريخ ، ص** 356.

([2]) **ديوانه:** 20.

([3]) ابن شداد، عنترة بن معاوية بن قرد: **ديوان عنترة بن شداد**، تحقيق فوزي عطوي، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2003م، ص 42.

([4]) ابن القيسراني: هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القرشي، الملقب شرف المعالي، أصله من قيسارية فـــي بـــلاد الشام، ولد بدمشق (478هـــ)، وصار بها وزيراً للملك السعيد بن الظاهر، توفي بالقاهرة (548هـــ). انظـــر الزركلـــي: **الأعلام**، 4/ 125.

([5]) ابن القيسراني، **شعر ابن القيسراني:** جمع وتحقيق ودراسة عادل جابر صالح محمد، ط1، الوكالـــة العربيـــة للنشـــر والتوزيع، الأردن – الزرقاء، 1991م، ص 402.

فقد وظّف الشاعر معاني الحزن والأسى في رثائه الأمير تاج الدين، لأنها إذا سلبت سقمه فقد صحَّ، يقول:

(الرجز)

جُفونُها سَلَبْن سقمي وَالكَرى لِذاكَ قَدْ أَضحَتْ مِراضَاً نُعَسّا[1]

واستعان بدر الدين بالأمثال لتأكيد ما ذهب إليه في غزله بمحبوبه،الذي يشبه الغصن الذي يطيب قطفه، والغزال الذي فيه كل صفات الجمال، ومنها جمال عيونه التي سحرته، لتقريب المعنى المراد إلى الأذهان، يقول:

(البسيط)

طَرْفُكَ قَبْلَ العَذلِ قَدْ أبادَني فَمَا احْتِيَالي؟ "سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ" [2] [3]

وقوله: "سبق السيف العذل" من الأمثال الشائعة، ويضرب لما قد فات، إذ وظّفه في عدم الحيلة، أمام جمال هذه العيون.

وأعاد بدر الدين توظيف المثل نفسه في غرض الوصف، بما ينسجم ومواقفه الخاصة، والمعنى الذي يريد، وارتكز على معنى التمثيل في المثل، وأن السبق يكون للسيف وليس للعذل، فقال:

(البسيط)

أبَادَني طَرْفُهُ مِنْ قَبْلِ عَاذِلِهِ وَالسّبْقُ للسّيْفِ لَيْسَ السّبْقُ للعَذْلِ[4]

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 243.

([2]) "سبق السيف العذل ": يقال إنَّ أول من قاله سعيد بن النعمان بن ثواب العبدي، حيث أراد أن يختبر إخوان وأصدقاء له، ويضرب لما قد فات. انظر الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت518هـ): **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م، ج2، ص 97.

([3]) **ديوانه:** 69.

([4]) المصدر نفسه: ص 72.

كما استعان بدر الدين بالأمثال لتأكيد ما ذهب إليه في هجاء جماعة أوقعت بغلام، ولتقريب المعنى المراد في ذهن المتلقي، يقول:

(الكامل)

وَاكتالَهُ كُلٌّ هُناكَ، وَما رَأى مِنْهُمْ سِوى حَشَفٍ، وَسْوءِ الكَيْلِ[1]

وقد وظّف المثل:" أحشفاً وسوء كيلة" "،وهو يضرب لمن يظلم من جهتين، وتشبه فيه هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر حشفاً بتطفيف في الكيل، فقال له ذلك، ووظَّفه الشاعر في انتقاد تصرفات هذه الجماعة [2].

وبرزت المعارضات الشعرية في شعر بدر الدين، فقد خاض بدر الدين غمار هذا الفن، تحدوه رغبة أكيدة في محاكاة الأولين من الشعراء، وإظهار براعته الفنية، ولعل الباعث النفسي سبب في هذه المعارضة، التي أثارت كوامن نفسه وعواطفه.

وعارض بدر الدين الشاعر المخضرم "متمم بن نويرة "[3]،عندما رثى أخاه مالكاً بعد مقتله على يد خالد بن الوليد، وتعد هذه المرثية من أجمل المراثي في الشعر العربي، حيث استلهم معانيها وألفاظها وصورها، مع التزامه الوزن والقافية والروي وحركة ما بعد حرف الروي، هذا فضلاً عن إيقاعها الموسيقي، وقصيدة متمم تبدأ بأسلوب القسم، أما قصيدة بدر الدين، فتبدأ بالتصريع مستهلاً صوتياً، ذا إجلال إيقاعي الصوتي، قال متمم في مطلع قصيدته:

([1]) انظر الرسالة: ص54.

([2]) انظر الصعيدي: **بغية الإيضاح**، ص 456.

([3]) مالك بن نويرة: هو شاعر من شعراء الإسلام في عصر الخليفة أبي بكر الصديق، شارك في حروب الردة، وقتل،هو فارس وشاعر، يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول، وأحد فرسان ابن يربوع ورجالهم في الجاهلية، ذكر متمماً أخاه، فقال: كان يخرج في الليلة عليه شملة الفلوات بين المزادتين على جمل بطيء، معتقل الرمح الخطّى. انظر ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ص 120. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت307هـ): **المؤتلف والمختلف**،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص 360.

(الطويل)

لَعَمْرِي وَمَــا دَهْــرِي بِتَــأبينِ هَالِــكٍ وَلا جَزَعَــاً مِمّــا أَصَــابَ فَأَوْجَعَــا[1]

وقال بدر الدين في مطلع القصيدة التي عارضه بها:

(الطويل)

تَــــذَكّرَ رَبْعَــــاً بالشّــــآمِ، ومَرْبَعَــــا وَمَلْهَــــى لأيَــــامِ الشّــــبابِ وَمَرَتَعَــــا[2]

واختار الشاعران البحر الطويل، لأنه من الأوزان جليلة النظم،ما أعطى مساحة، ونفساً طويلاً للشاعرين، ليلعبا على أوتار مشاعر القارئ بنغم شجي تلاقت في اظهاره كلُّ معطيــات اللغة من وزن إلى قافية إلى تصوير إلى تعبير، والقافية العينية المطلقــة مــع ألفــات المــد، المستوعبة نبرة التأثر الناتجة عن رحيل الأحبة، وتمثيل لواعج النفس الإنسانية.

والقصيدتان متوازيتان إلى حدٍّ كبير من حيث الغرض، فقصيدة متمم تحمل معاني رثاء وتأبين أخيه مالك، إلى جانب الصدق العاطفي لا سيما في حسن التعبير عن مشاعره وأشــجانه بعد مقتل أخيه،وذكر صفات أخيه من شجاعة،وكرم، وسمو أخلاق وغيرها، يقول:

(الطويل)

إذا ضَرّسَ الغَــزْوُ الْرِجــالَ، وَجَدْتَــهُ أخا الْحَربِ صِدْقَاً في اللّقاْءِ سَمَيْدَعا [3]

فَتَى كَانَ مِخْدَامَاً إلى الــرّوعِ رَكْضُــهُ سَرِيعَاً إلى الدّاعِي إذا هَــوَ أفْزعَــا [4]

وتحسَّر متمم على فراق أخيه، وتغير حاله، والدعاء له بالسقيا ،يقول:

([1]) انظر ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت328هـ): **العقد الفريد**، المطبعة الزهرية، القاهرة، 1903م، ج2، ص 421.

([2]) ديوانه: 56.

([3]) السميدع: السيد الكريم السخي، الشجاع، الخفيف في حوائجه. انظر أنيس وآخرين، **المعجم الوسيط**، 1/ 448، مــادة:" سمد".

([4]) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، حققه علي محمــد البجــاوي، دار النهضة، القاهرة، ص266.

(الطويل)

سَــقى اللهُ أرضَــاً حلّهَــا قَبْــرُ مَالِــكٍ ذِهَابَ الغَوادي المُــدجِنَاتِ فأمْرَعَــا [1]

ويلاحظ أن متمماً يتوسل إلى الدهر ونكباته، ويتصّبر ويعفُّ عند الحاجة، يقول:

(الطويل)

ولَسْتُ إذا مَــا الــدّهْرُ أحْــدَثَ نَكْبَــةً بألْوثَ [2] زوَّار القّرْائِــبِ أخْضَــعَا [3]

واعتنى متمم بخاتمة القصيدة، فجاءت ملائمة لغرض الرثــاء، فقــد ختمهــا بالحكمــة والموعظة، والحديث فيها عن الموت وحتميته، يقول:

(الطويل)

فَلا تَشَــمتَنْ وَاسَــتْبق نفْسَــكَ إنّنــي أَرَى الموتَ وَقاعاً عَلى مَنْ تَطَلّعَــا [4]

أما قصيدة بدر الدين،التي لا تقل عنها حسناً، فهي تحمل معاني تأبين النفس ورثائها،إلى جانب الصدق العاطفي في التعبير عمّا أصابه من ألم وحزن لذهاب الشــباب، والشــوق إلــى الأحبة،كما اشتاق متمم إلى أخيه، وكأنه لم يجتمع معه ولا ليلة،يقول:

(الطويل)

تَولّى، وَأبْقــى فــي الجَــوانِحِ حُرْقَــةً وأوْدَعَ قَلْبِــي حَسْــرَةً حَــينَ وَدّعَــا
فَلَمّــا تَفَرّقنــا كَــأنّي وَمَالِكَــا لِطُولِ اجْتِماعٍ لَــمْ نَبِــتْ لَيْلَــةً مَعَــا[5]

وتوسل بدر الدين في نهاية القصيدة إلى الدهر ونوائبه، والإيمان بما قضاه الله وقــدر، يقول:

([1]) القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام،ص 598.

([2]) الألوث: يقال رجل ذو لوثة: بطيء، ذو ضعف. انظر أنيس وآخرين، **المعجم الوسيط**، 2/ 844، مادة " لوث".

([3]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 599.

([4]) المصدر نفسه: ص602.

([5]) **ديوانه**: 57.

(الطويل)

كَانَــتْ بِأحنَــاءِ الْضُــلوعِ حُشاشَــةٌ فَأسْــبَلَتْها فَــوقَ المَحــاجِرِ أدْمُعــا [1]

تمثل قصيدة متمم اللغة الجاهلية بكل معانيها وألفاظها، أكثر من قصيدة بدر الدين، يقول فيها:

(الطويل)

ومَــا وَجْــدُ أظْــآرِ[2] ثــلاثٍ رَوائــمٍ رَأيْنَ مَجَرّاً[3]مِنْ حُــوَارِ وَمَصْــرَعَا[4]

وقال بدر الدين في قصيدته:

(الطويل)

عَلَى حِــينِ شَــطَّتْ بِــالفَرِيقِ رَكائِــبٌ وَأسْرى بِها الحَادي الطَّروبُ فَأَسْرَعا[5]

وجاءت نهاية الأبيات في كلا القصيدتين متشابهة من حيــث الألفــاظ، ومختلفــة فــي دلالاتها، ومن ذلك قولهما (فأوجعا، مُروعا، مُنزعا، ودّعا، معا، أجمعا) وغيرها، قال متمم:

(الطويل)

فَــإنْ تَكُــنْ الأيــامُ فَــرَّقْنَ بَيْنَنَــا فَقَدْ بانَ محموداً أخِــي يَــومَ وَدَّعــا[6]

وقال بدر الدين:

(الطويل)

تَوَلَّى، وَأبْقــى فــي الجَــوانِحِ حُرْقَــةً وَأَوْدَعَ قَلبــي حَسْــرَةً حِــينَ وَدَّعــا[7]

([1]) **ديوانه:** ص57.

([2]) أظآر: جمع ظئر: وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوســيط**، 2/ 575/ مــادة " ظئر".

([3]) رَأيْن مجرّاً: أي مسحباً من حوار، وهو ولد الناقة، وقد فَرَسه الأسد،ولم يجد إلا مجرّه ودَمَهُ. انظر القرشي: **جمهــرة أشعار العرب**، ص 600.

([4]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، ص 600.

([5]) **ديوانه:** 56.

([6]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، ص 599.

([7]) **ديوانه:** 56.

قصيدة متمم غنية بالتراكيب اللغوية، وجمال التصوير، وقد وصف زوج أخيه بعد مقتل زوجها، يقول:

(الطويل)

وأرْمَلَـــةٍ تَسْـــعَى بِأشْـــعثَ مُحْتَـــلٍ[1] كَفَرْخِ الحُبَارِى رَأسُهُ قَدْ تَصَـــوّعَا[2] [3]

وقصيدة بدر الدين فيها من جمال التصوير، ما وصف به محبوبه الذي يشبه الغـــزال، فقال:

(الطويل)

فَقَامَ كَظَبْـــي الرَّمْـــلِ وَسْـــنانَ، خَائِفَـــاً يُكَفْكِفُ مِنْ خَـــوفِ التَّفَـــرُّقِ أدْمُعَـــا [4]

وتتميز قصيدة متمم بحوار دار بينه وبين زوج أخيه، قائلة له ما لـــك شـــاحب الوجـــه متغيرا، كثير الشعر، فقال:

(الطويل)

تَقُولُ ابنـــةَ العَمْـــرِيِّ[5] مَالـــكَ بَعْـــدَمَا أراكَ قَـــديمَاً نَـــاعِمَ الوَجْـــهِ أفْرَعَـــا[6]

فردّ متتم عليها قائلاً:

(الطويل)

فَقُلتُ لَهـــا طُـــولُ الأسَـــى إذ ســـألَتِني ولَوعةُ حُزْنٍ تَترُكُ الوَجْهَ أسْـــفَعَا [7] [8]

([1]) المحتل: سوء الحال، وسيء الغذاء. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 156، مادة " حتل".

([2]) تصوعا: تفرقا. انظر أنيس وآخرين، 1/ 528، مادة " صاع".

([3]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، ص 596.

([4]) **ديوانه**: 57.

([5]) **ابنة العمريُّ: زوجة مالك انظر القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص 267.**

([6]) القرشي: جمهرة أشعار العرب،ص 599.

([7]) أسفعا: سواد يضرب إلى الحمرة. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 434، مادة "سفع".

([8]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، ص 267.

وتميزت كذلك قصيدة بدر الدين بحوار دار بينه وبين حمامة الصباح، وهي تقف على أحد الأغصان، فقال:

(الطويل)

فَقُلْتُ لَهَا لا تُظْهِري مِنْ لَواعِجٍ فُنُوناً بَأفْنانِ الأرَاكِ تَصَنُعَا[1]

فرّد عليها قائلاً:

بَلَى طَارحيني مَا شَجاكِ ؛ فَكُلُّنَا عَلى غُصْنٍ نُبْدي الأسَى، وَالتَّفَجُّعَا [2]

التناص العلمي

كان لثقافة بدر الدين دور في استحضار العلوم بألفاظها ومعانيها، وعمد إلى توظيفها في قصائده،وفق الغرض الشعري كالمدح، والرثاء،والهجاء، والوصف، وقد حذر النقاد من استخدامها في الأدب بعامة والشعر خاصة، وذلك لحرصهم على نقاء لغة الشعر، ولأنها تضعف الصناعة الشعرية بجمودها وفراغها من النبض الإنساني[3]، وقد كثر استحضار مصطلحات العلوم المختلفة في العصر المملوكي، وأشار السبكي إلى ذلك بقوله:" ومن العلماء طائفة، استغرق حب النحو واللغة قلبها، وملأ فكرها، فأداها إلى التقعر في الألفاظ، وملازمة حوشي اللغة، بحيث خاطب به من لا يفهمه" [4]، وقال ابن الأثير:" إذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني، وأتاه ذلك إلى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك، فليس له أن يتركه ويحيد عنه، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده "[5].

وحازت المصطلحات النحوية بنصيب الأسد في شعر بدر الدين،ومن هذه المصطلحات، الرفع، والفتح، والكسر، والعلم، والعامل، والتأكيد، في تكوين معانيه في مدح الملك الناصر جاءت كلها في الحديث عن هيبته، ومكانته، وقوته في المعارك، يقول:

([1]) **ديوانه:** 57.

([2]) المصدر نفسه: ص 57.

([3]) انظر عثمان: **نظرية الشعر**، ص (107 – 108).

([4]) قلقيله: **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، ص 287.

([5]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 462.

(البسيط)

لَــوْ لَــمْ يَكُــنْ عَلَمَــاً لِلرّفْــعِ عَامِلُــهُ مَــا أَكَّدَتْــهُ لَنَــا أيــدي العُــلا أبَــدَا
فَــارْفَعْ لِــواهُ فَمــا وَافــاكَ عَامِلُــهُ إلا لِفَــتْحِ أقــالِيمٍ، وَكَسْــرِ عِــدَا[1]

فبدر الدين يأمر ممدوحه بالانتصار للإسلام والمسلمين، ويجعله مفرداً علماً، رافعاً قدره بين النّاس، لأنه يعلم شرط الاسم المرفوع، وهو الرفع في الانتصار علــى العــدو، وهزيمتــه وكسره.

كما استعان بدر الدين بالمصطلحات الفقهية، ومنها (المواريث الحشرية)[2]، ووظّفها في معرض حديثه في طلب المساعدة من أحد الأمراء، وقد أحيل على ديوان الحشرية، فقال:

(الطويل)

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الحَشْــرِ أرْجُــو نَجازَهَــا فَكَيْفَ وَقَدْ صَيّرتُمُوها إلــى الحَشْــرِ[3]

ويستدعي بدر الدين مصطلح المثاني، وهي الآيات التي تتلى وتتكرر، في توضيح علاقة المجوس بالنّار،وتقديم الخمر قرابين وإراقتها في معابد النَّار، يقول:

(البسيط)

عَلى اصْطِحابِ المَثْانِي كَــانَ سَــفكُهُمُ دِمــاءَ هــا بَــيْنِ عيــدانٍ، وَأوْتــارِ[4]

ويتجلى في شعر بدر الدين مصطلح (الأنواء) مصوراً الأمطار الغزيرة، فقال معبراً عن هذه المعنى:

(الرمل)

يَــا أُهيــلَ الجِــزْعِ، مَــا أغنــاكُمْ عَــنْ حَيَــا الأنــواءِ طَــلاً وَرُكامَــا[5]

([1]) **ديوانه:** 23.

([2]) ديوان مواريث الحشرية: هو الذي يعنى بالمواريث، وهي تركة من يموت ولا وارث له، أو لــه وارث لا يســتغرق الميراث كله. انظر القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 4/ 33.الصابوني ، محمد علي : المواريث في الشريعة الإسلامية ، دار الجيل ، بيروت ، 1999م، ص 26، (116– 120) .

([3]) **ديوانه:** 47.

([4]) المصدر نفسه: 41.

([5]) المصدر نفسه: 74.

استعان بدر الدين بمصطلحات الكتابة مثل" القلم، والخط، وصفحات التشكيل، والسطر، والنقط"،وأحسن توظيفها إذ وصف هذا القلم، وتغزّل به، يقول معبراً عن هذا المعاني:

(الطويل)

أمِن قَلَمِ الرَّيْحانِ فِي خَدّهِ نُقَطْ وَفِي قَدِّهِ مِنْ لِينِ ما تُنْبِتُ الخَطُّ[1]

رابعاً: الموسيقا

تُعَدُّ الموسيقى من أهم الظواهر التي يمتاز بها الشعر العربي، ومن أبرز عناصر الشكل، وعصب حيوي في بناء الأسلوب، والموسيقى تنساب في أبيات الشعر أو القصيدة، فتحدث أنغاماً تساعد على الكشف عن الحالة النفسية للشاعر، أو التعبير عن حالة شعورية، وقد حاز الوزن على اهتمام النقاد القدماء لأن " للشعر الموزون إيقاعاً يطرب الأفهام لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه[2].

والوزن أساس العمل الشعري، ودعامة من دعائمه، ولكل وزن شعري خصائص صوتية معينة، نظراً لتناسب تفاعيله وتماثلها، وتداخلها وتخالفها[3]. والنغمات التي تنبعث منها،فهي تثير كوامن النفس الإنسانية [4]، وتجعل الشعر أسهل على اللسان، وأخف على الأسماع، وأقرب إلى القلوب، وأعلق بالذاكرة، وأسهل للحفظ [5].

وعرف العرب الشعر في نظامه الخاص، وأوزانه المتعددة المحكمة النسج،حيث جعلوا ذلك علماً قائماً بذاته هو علم العروض،والوزن ليس صفة شكلية من صفات الشعر بل يتعدى

([1]) الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،حوادث** (671 – 680هـ)، ص 378.

([2]) ابن طباطبا: **عيار الشعر**، ص 21.

([3]) انظر حسب الله: **شعر الطبيعة في العصر المملوكي**، ص 326. يوسف: **موسيقى الشعر العربي**، 1/ 21.

([4]) انظر الجندي: **الشعر وإنشاد الشعر**، ص 92.

([5]) انظر النويهي، محمد: **قضية الشعر الجديد**، المطبعة العالمية، القاهرة، 1964م، ص 28.

الشكل إلى المضمون، فيؤثر في اختيار الألفاظ وتأليفها[1]، حتى انتظمت الأوزان العربية على صورتها المألوفة، فهذه الأوزان هي ثمرة ثقافات ونتيجة تطور مرَّت به القصيدة[2].

رأى النقاد العرب في الوزن مكوناً أساسياً لا يستقيم الشعر إلا به، فالوزن أعظم أركان حدِّ الشعر وأولاها به خصوصية[3]، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة، فهم يرون أنَّ الشعر موزون مقفى، والانسجام الموسيقي يكون في توالي الكلام، وخضوعها إلى ترتيب خاص، مضافاً إلى هذا تردد القوافي وتكرارها، لذلك ألحّ النقاد على ضرورة تخير الألفاظ سهلة المخارج، السلسة غير متنافرة الحروف[4].

واهتم النقاد بشروط معينة في الوزن، وعوَّلوا عليها كثيراً،وقد أصّر ابن قدامة على أن يكون الوزن سهل العروض، وألح ابن طباطبا على اعتداله، وأراد ابن رشيق من الشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض، ويأتي بألطفها وأخفها، ويتجنب العريض والمستكره [5].

وربط أبو حازم القرطاجني بين الوزن وموضوع الشعر،يقول:" ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم... وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان،ويحيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الرصينة..."[6].

وأدرك النقاد الصلة الوثيقة بين الوزن وعاطفة الشاعر، لأن العاطفة بطبيعتها قوة نفسية وجدانية لها مظاهرها، والموضوع الذي ينظم فيه،وتجد الشاعر قد وفّق في خلق جو إيقاعي هادئ يتمشى مع انفعالاته، وضربات قلبه السريعة في هذا الوزن، فقد هجره الحبيب، وتألم لذلك قلبه، فدعا حمام الأيك أن تشاركه حزنه، وارتباطه بأحبائه، يقول:

([1]) انظر علاّم، مهدي وآخرون: **النقد والبلاغة** دار الجمهورية للطباعة، ج2،ص (107 – 109).

([2]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 186.

([3]) العسكري: **الصناعتين**، ص 144.

([4]) انظر فخر الدين: **شكل القصيدة العربي في النقد الأدبي**، ص (133–136).

([5]) انظر بكار: **بناء القصيدة العربية**، ص 221.

([6]) القرطاجني: **منهج البلغاء وسراج الأدباء**، ص 266.

(السريع)

فَهـــاتِ طَـــارحْنِي فَكُـــلٌّ غَـــدَا مِنـــا عَلـــى غُصْـــنٍ تَغَنَّـــى ونَـــاحْ [1]

وشهد النقاد الذين عنوا بشعر بدر الدين له بالتميّز في هذا الجانب، قال العمري:" أدبـــه أعبق في المجامع من النسيم، وأعلق بالمسامع من قُرط الثريا في أُذن الليل البهيم، وأدخل فـــي الخواطر من الأفكار... "[2].

وقد صاغ بدر الدين قصائده ومقطوعاته على معظم أوزان الخليل المعروفة، غير أنـــه وظَّف البحور بنسب متباينة وحسب متطلبات الموضوع، فكانت موسيقاه تتماشى مـــع أفكـــاره ومعانيه.

ويوضح الجدول الآتي البحور التي نظم فيها، وهي مرتبة تنازلياً من الأكثر اســـتخداماً إلى الأقل

اسم البحر	عدد الأبيات	اسم البحر	عدد الأبيات
البحر الكامل	**256**	**المتقارب**	**14**
الطويل	**118**	**المنسرح**	**10**
البسيط	**111**	**المجتث**	**9**
السريع	**64**	**مجزوء الرجز**	**6**
الرمل	**40**	**مجزوء الرمل**	**4**
الرجز	**17**	**مجزوء البسيط**	**4**
مجزوء الكامل	**17**	**مجزوء الخفيف**	**4**
الخفيف	**15**	**مخلع البسيط**	**2**
الوافر	**14**		

ويلاحظ أنَّ الجدول خلا من خمسة بحور هي (الهزج، والمديد، والمضارع، والمقتضب، والمتدارك، لقربها من بعض الأوزان، وأنَّ ثلاثة بحور استعملت في شعره أكثر من غيرها، وإن

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 179.

([2]) المصدر نفسه: ص16 / 170.

كانت بنسب متفاوتة، وهي على الترتيب: الكامل، والطويل، والبسيط،،وكلها بحور طويلة، تشكل في مجموعها ثلاثة أرباع أشعاره، أما المقطعات والنتف، فلم يستخدم فيها بحوراً خاصة، وإنَّما سلك فيها بعض البحور، على مختلف الأغراض الشعرية.

ويبدو أن بدر الدين أدرك ما للوزن من أثر في اختيار موضوع القصيدة،فنظم على بحر واحد " الكامل" أغراضاً متنوعة ومعاني مختلفة، ووجد فيه تعبيراً عن معانيه وعواطفه، وأن لكل قصيدة طبيعة انفعالية خاصة،أو حالة عاطفية متميزة عن غيرها، ويبدو أن تكرار هذا البحر لا يمكن أن يكون عفو الخاطر،لأن فيه طواعية لم تجتمع في غيره من بحور الشعر.

آثر بدر الدين البحر الكامل في غرض الوصف، وهو بحر مترع بالموسيقى،وأقرب إلى الرقة، إذا جاد نظمه بات مطرباً، وكانت به النبرة تهيج العاطفة[1]، يقول:

(الكامل)

قَلْبٌ بِعينٍ قَدْ أصيبَ وَعارِضٌ فَأعدْهُ لِي بِالدَّمْعِ لَيْسَ بِراقِي
أُلقي الدُّمُوعَ عَلى الدُّمُوعِ وَلَيتَني أَدري بِما أُلقي بِها وَأُلاقي[2]

أما بحر الطويل، فيتَّسع لكثير من معاني الشعر لتمام أجزائه، وحركاته المتتابعة وأنغامه، فقد آثره بدر الدين في الغزل والوصف، يقول:

(الطويل)

وَنَهْرٍ إذا ما الشّمسُ حَانَ غُروبُها عَليهِ، وَلاحَتْ فِي مَلابِسَها الخُضْرِ[3]

ويبدو أنَّ بدر الدين يرتاح للبحر البسيط في قصائد المفاخرة والمديح، ووجد فيه قابلية لاستيعاب انفعالاته وأفكاره، فقال يمدح الملك الناصر:

([1]) انظر الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**، ط8، مكتبة نهضة مصر، 1973م، ص333.

([2]) الصفدي: **تشنيف السمع في انسكاب الدمع**، ص 160.

([3]) **ديوانه**: 47.

(البسيط)

بُشْرى تَهَلَّلَتِ الأنواءُ مِنْ طَرَبٍ وَصَفّقَ الطَّيْرُ فِي أغْصانِهِ، وَشَدَا[1]

أما قصائد الغزل عند بدر الدين، فكان بحر الكامل هو المفضل فيها، أما بحر السريع، الذي يكاد يشاركه في الاستخدام، فهو بحر يتدفق سلاسة وعذوبة، يحسن في الوصف، وتمثيل العواطف الفياضة، يقول:

(السريع)

وَهَبْهُ قَدْ قاسَمَني مَا أنا فِيه مِنَ الوَجْدِ وَطُولِ النِّياحْ [2]

وكذلك بحر الوافر، الذي جاء به في الألغاز،وهو ألين البحور، يشتد إذا شددته، ويرق إذا رققته، والخفيف فقد تصرف به في جميع الأغراض، وهو أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع، فيجود نظمه في الأحزان والأفراح [3]، فقال معبِّراً عن هذه المعاني:

(الخفيف)

ودُّهُمْ فِي الدُّنُوِ مِنْهُمْ قَليلٌ فَإذا مَا بَعُدْتَ كَانَ كَثِيرا [4]

وأنشد بدر الدين على بحر الرمل، بحر الرقة،الذي يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد نبضات القلب[5]، في التعبير عن فرحه في وصف الطبيعة وزهرياتها، فقال:

(الرمل)

وَرُبُوعٍ كَمْ وَجَدْنا طِيبَهَا حَينَ ضاعَ الشّيحُ فِيهَا وَالخُزامى[6]

([1]) **ديوانه:**ص 23.

([2]) المصدر نفسه: ص18.

([3]) انظر عمران، محمود: **الإيقاع في الشعر العربي**، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدّوار، 2007م، ص 120.

([4]) **ديوانه:** 45.

([5]) انظر انيس: **موسيقى الشعر**، ص 89.

([6]) انظر الرسالة: ص74.

واهتم بدر الدين بالموسيقى الداخلية لأبياته اهتماماً بالغاً، وهذه الموسيقى تحكمها قيم صوتية، منها اختيار الكلمات وترتيبها، والمواءمة بين الكلمات وحركاتها والمعاني التي تدل عليها، نحو قوله

(السريع)

يا حُسْنَ وَرّاقٍ أرى خَدَّهُ قَدْ رَاقَ فِي التَّقْبيلِ عِنْدي وَرَقْ
تَميسُ فِي الدُّكانِ أعْطافُهُ مَا أحْسَنَ الأغْصانُ بَيْنَ الوَرَقْ[1]

ولزياد الإيقاع اتبع بدر الدين طريق التقسيم الداخلي، وذلك بإيجاد قافية داخلية تزيد من الإيقاع الموسيقي للبيت، فقال:

(البسيط)

عَذارُكَ رَيحَانٌ، وَثَغْرُكَ عَنَبَرٌ وَخَدُّكَ ياقوتٌ، وَثَغْرُكَ جَوهَرُ[2]

ولا شك في أن بدر الدين كان مدركاً قيمة الموسيقى في الشعر، ودور الإيقاع في التعبير عن التجربة الانفعالية في القصيدة، ودوره في نقل هذا الانفعال وإثارته في القلوب السامعين، فتنفذ إلى أعماقهم، وتحرك عواطفهم، وتجعلهم يشاركون الشاعر في مشاعره وأحاسيسه.

وتكثر في شعر بدر الدين مصطلحات الغناء والموسيقى، وبخاصة في وصف رحلة أحبته، ومن هذه الألفاظ (حجاز[3]، الألحان، الحادي، غنّت، فنون)، يقول:

([1]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 126.

([2]) الأزهري: **مستوفى الدواوين**، 2/ 237.

([3]) الحجاز: تسمى حجاز كار: اصطلاح موسيقي فارسي التركيب معناه، صناعة الحجاز، وكلمة "كار": تعني عمل أو شغل، وتطلق في العربية على مجموعة من الأنغام تؤسس في المنطقة الوسطى على النغمة المسماه "يكاه" أو رست: وهو جنس غير منتظم ليّن من الموسيقى. انظر التونجي، محمد: **المعجم المفصل في الأدب**،، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج1، ص347.

(الكامل)

وَحْـــدَاتُهُمْ أَخّـــذَتْ حِجـــازَاً عِنَّـــدَما غَنَّـــتْ وَرَاءَ الرَّكْـــبِ فِـــي عُشَـــاقِ[1]

تخير بدر الدين أساليب تخدم الوزن الشعري، وتحقق أهدافه لإكساب شعره الوضـــوح والقوة، وحرص على وقع ألفاظه في النفوس، فاستخدم التكرار.

والتكرار من الأساليب التي ظهرت في شعر بدر الدين، وهو" دلالة اللفظ على المعنـــى مردداً"[2] والإطناب بالتكرار من الطرق الشائعة للتعبير في اللغة العربية، ويسلط الضوء علـــى لفظة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وتكمن قيمة التكرار في تأكيد الكلام، والتعظيم من أمر المبالغة فيه[3]، وساهم مساهمة واضحة في تقوية نغم القصيدة، وتأكيد معانيها واشترط بعض النقاد في اللفظ المكرر أن يرتبط بالسياق، وأن يلقي ما بعـــده عنايـــة الشـــاعر، وتمثل الكلمة المكررة المركز الدلالي الذي ينطلق منه الشاعر ويعود إليه، خالقاً في كـــلِّ مـــرة علاقة لغوية جديدة، "ومبدأ التكرار اهتم به معظم النقاد، وجعلوه جوهر الخطاب الشعري، وهو محمود في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو إليه الحاجة "[4]، ومن الأمثلة على ذلك:

تكرار العبارات

ويكرر بدر الدين عبارة " دعا داعٍ " ويعكس هذه العبارة بقوله في عجز البيـــت " داعٍ دعا، يقول:

(الطويل)

إلى أنْ دَعَا دَاعَي الفَـــلاحِ وَلَـــمْ يَكُـــنْ سِوى أنّهُ دَاعٍ عَلَـــى شَـــمْلِنَا دَعَـــا [5]

مؤكداً التأثير النفسي لرحيل محبوبه.

([1]) **ديوانه:** 65.

([2]) انظر ابن الأثير: **المثل السائر**، 2/ 146.

([3]) المصدر السابق: ص 2/ 147.

([4]) انظر عكاوي، إنعام فوال: **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص169.

([5]) **ديوانه:** 57.

تكرار الكلمات

التأليف بين الألفاظ في نسق صوتي، يدرك سرّها في تكرار الأصوات، أو اجتماع ألفاظ ذات جرس خاص[1]، يقول:

(البسيط)

مَا فِيهِ سَاعٍ سِوى الساقِي ولَـيسَ بِـهِ بَيْنَ النَّدامَى سِوى الرِّيْحـانِ نَمَّـامُ [2]

والأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية، التي تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم [3]، وقد كرر صوت " السين" الذي يتصف بالصفير والوضوح على سمع المتلقي.

واستعان بدر الدين بالتكرار، لتوضيح حاله مع العذَّال الذين يلومونه، وحاجته إلى الصبر، الذي هو ميزة كل عاشق،وتقوية المعنى في نفس القارئ، يقول:

(الطويل)

يُكَلِّفُنـي العُـذّالُ صَـبْرَاً وَقَـدْ قَضـى لِي اللهُ عَنْهُ الصَّـبْرُ لَـيْسَ يَكـونُ[4]

ومن تكرار الكلمات في قول بدر الدين في غزله:

(البسيط)

وكَـمْ أُداري فُـؤاداً عـزَّ مَطْلَبُـهُ يَومَ اللِّوى، وَأُداري الوجـدَ بالـدَّارِ [5]

فقد تكررت كلمة " أُداري" مرتين، وهذا التكرار أحدث وقعاً نغمياً، وحقق انسجاماً صوتياً نبع من التوافق الموسيقي بين الكلمة ودلالتها من جهة، وبين انعكاس رنين حروفها من جهة ثانية' وحالة الشاعر في التعبير عن حبِّ.

([1]) أنيس: **موسيقى الشعر**، ص 110.

([2]) ديوانه: 18.

([3]) انظر أنيس: **موسيقى الشعر**، ص 45.

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

([5]) **ديوانه**: 42.

واستعان بتكرار اسم الفاعل" شاكياً"، ليعبر عن حالة المنعوت ساعة وصفه،في قوله:

(لسريع)

وَشـــاكِيَاً مَـــا زِلْـــتُ مِمَّـــنْ غَـــدَا مِنْ طَرْفِـــهِ وَالقَـــدُّ شَـــاكي السِّـــلاحْ[1]

وكرر بدر الدين الفعل المضارع " تنسى" في عتابه أحد الولاة، فقال:

(المجتث)

قَـــــدْ كُنْـــــتَ تَنْســـــى قَلـــــيلاً فَصِـــــرْتَ تَنْســـــى كثيـــــرا[2]

وكرر بدر الدين الفعل، مع زيادة حرف التعدية في معرض وصفه جمـــال الغـــروب، وأثره على مياه النهر، " ذهبت، أذهبت"، لتقوية معنى الفعل، يقول:

(الطويل)

وَما ذَهَبَـــتْ شَـــمْسُ الأصـــيلِ عَشِـــيَّةً إلى الغَربِ حتى أذهَبَتْ فِضةَ النَّهْـــرِ[3]

التكرار حلية لفظية لبيان قدرة بدر الدين في اللعب بالألفاظ، ومن أمثلة التكـــرار "تـــاء المخاطب" المرتبطة بالماضي نحو(رضيتَ، كتمتَ، خلُّصتَ، فسْرتَ، كنتَ، ذكرتَ) وغيرهـــا، ومن ذلك يقول في تخلص صديقه من غلامه:

(الكامل)

وَلَقَـــدْ يَسُـــرُّ خَلاصُـــهُ إنْ كُنْـــتَ قَـــدْ خَلَّصـــــتَهُ مِنْـــــهُ، وَفِيـــــهِ رُوحُ[4]

وقال أيضاً:

(السريع)

وَأَنْجَـــــدْتَنِي بِالجِيـــــادِ الَّتـــــي بَعَثْـــتَ بِهـــا، وَعَلَيْهـــا الأســـودُ[5]

([1]) **ديوانه:** ص 19.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأبصار**، 16/ 183.

([3]) **ديوانه:** 42.

([4]) المصدر نفسه: 19.

([5]) المصدر نفسه :ص 27.

ووظَّفَ الشاعر أسلوب النداء في الغزل، حين عبّر عن جمال أحد الغلمان، إذكاء لمشاعره ووجدانه على سبيل مخاطبة، يقول:

(الرجز)

يَا غُصْنَاً قَدْ طَابَ لِي منْهُ الجَنَى وَيَا غَزالاً لَذّ لِي فِيهِ الغَزَلْ [1]

ومن ذلك وظّف بدر الدين " قدْ " التوكيدية، التي تدخل على الفعل الماضي، وتؤدي دوراً أكبر قيمة، وأكثر تأكيداً، و"كم" الخبرية التي تدل على التكثير، يقول:

(المنسرح)

وَالْوَزُّ كَمْ قَدْ هَاجَنَا بِنَغيمِهِ لَيلاً، وكَمْ قَدْ شَاقَنَا أسْحَارا[2]

تكرار الأصوات

يتحقق التكرار الصوتي أيضاً من تكرار أصوات بعينها، لا شك في أن تكرارها يحدث أصواتاً وإيقاعات موسيقية تنبئ عن حالة الشاعر النفسية، واضطراب مشاعر العشق،ونقل مشاعره من قلبه إلى المتلقي فيشاركه هذه المشاعر، وأنَّ حرفاً كحرف الزاي يتكرر في نهاية كل بيت من أبيات مقطوعته،إلى جانب تكرار ألفات المد، لتتوافق فيما بينها وبين القافية، حيث يقول:

(الطويل)

عَلى رَوضةٍ غنّاءَ قْدَ فَرَشَتْ لَنَا عَلَى نَهْرِهَا المُنسابُ مِنْ نَسْجِهَا خَزّا
بهَا ألفَاتٍ مِنْ غُصونٍ تَمَثَلتْ كَأنَ عَلَيهَا مِنْ حَمَائِمِهَا هَمْزا[3]
فَاتْبَعتُهم طَرْفَاً إلى الجَزْع بَاكِياً وَرَاءَ المَطَايَا لا بَكِياً ولا نَزّا[4]

([1]) **ديوانه:** ص69.

([2]) المصدر نفسه: ص 34.

([3]) انظر الرسالة: ص67.

([4]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه،415.**

ويبدو أن للقافية نصيباً في زيادة التأثير الصوتي على السامعين، بما يتحقق من صـــوت الزاي وألف الإطلاق اللذين يجسمان بنغمتهما صوت التأوه المصاحب للرحيل.

وكرَّرَ بدر الدين صوت " الحاء"، بشكل ملحوظ في قصيدته التي وصف فيهـــا الحمـــام وهديله، التي تعطي نوعاً من التنويع في النغمة الموسيقية للصوت، الأمر الذي جعـــل الشـــاعر يعبر عن عواطف مختلفة، إذ اتصف هذا الحرف بالرخاوة، والوضوح، مع أنه حرف حلقي ثقيل تكرارهُ [1]، يقول:

(السريع)

لَنـــا حَـــدِيثٌ يَـــا حَمَـــامَ الحِمـــى تُوَضـــحُهُ الأشـــواقُ أيَّ اتّضـــاحْ[2]

القافية

أما القافية، فهي حرف الروي الذي يبنى عليه الشعر، ركن مهم من أركان القصيدة العربيـــة، لأنها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر[3]،والقافية شريكة الوزن في تشكل إيقاعي يتمتع بقدر كاف من التناسب والانسجام، قال بعض النقاد:" القوافي حوافر الشعر، عليها جريانه واطـــراده، فإن صحّت، استقامت جريته، وحسنت مواقفه ونهاياته" [4].

أعطى النقاد والعروضيون العرب أهمية بالغة للقافية، وعدوا ظاهرة التقفية استعمالاً ضرورياً لظاهرة الوزن، وجعلوا من القافية عنصراً مهماً في تحقيق التناسب في الشعر"،ولا

يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية " [5].

وقد اشترط بعض النقاد " أن تكون القوافي عذبة الحروف، سلسة المخرج، وأن يقصـــد بها لتصير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة"، وعلى الشاعر أن يختار القوافي

([1]) نظر أنيس: **موسيقى الشعر**، ص 120.

([2]) **ديوانه:** 18.

([3]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 151.

([4]) انظر فخر الدين: **شكل القصيدة العربية في النقد العربي**، ص 155.

([5]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 151.

التي توافقه، ويجب ألا تكون متنافرة مع المعنى، بل " تكون كالموعود المنتظر، يتشوقها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مكانها، مجتلبة لمستغن عنها"[1].

الشعراء يميلون إلى اختيار القوافي ذات النغمة الموسيقية التي يرتاح إليها السمع، ويبتعدون عن القوافي الثقيلة عليهم [2]، ولكن بدر الدين عقد شعره بالسهل والصعب من القوافي باستثناء الذال، الخاء، الثاء، الغين،الظاء، وهي من الحروف التي لا تصلح للقوافي في الشعر لقلة مفرداتها في اللغة،وليست ذات قيمة صوتية موسيقية، وأصواتها نافرة في السمع[3].

ويوضح الجدول الآتي القوافي التي نظم عليها بدر الدين، وهي مرتبة من الأكثر استخداماً إلى الأقل:

حرف الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية %
الراء	195	%26،63
الدال	79	%10،79
الميم	73	%9،97
العين	66	%9،01
الباء	47	%6،42
اللام	44	%6،01
القاف	42	%5،73
الحاء	40	%5،46
النون	30	%4،09
الشين	24	%3،27
الفاء	23	%3،14
السين	14	%1،91
الطاء	12	%1،63
الزاي	7	%،95

([1]) المرزوقي: **مقدمة شرح ديوان الحماسة**، 9/ 11.

([2]) انظر خلوصي، وفاء: **فن التقطيع العروضي والقافية**،ط5،منشورات مكتبة المثنى، بغداد، **1977م**، ص 215.

([3]) انظر إبراهيم: **تأريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص (148 –149).

واعتنى بدر الدين بقوافيه، واختار أكثر الحروف راحة في النطق،وامتنع عن الحروف المستثقلة من الناحية الصوتية كالذال، والكاف، وغيرهما، وما اتفقت جودتها مع ما اشترطه النقاد،على أن تكون متمكنة في مكانها من البيت،" أي أنّ معنى البيت يتطلبها، وأن تأتي طيعة غير مغتصبة ولا مستكرهة،لتكمل المعنى، وتكون عذبة، سلسة المخرج موسيقية، لا تختم بما يدل على رقة في مقام القوة والفحولة " [1].

ويبدو أنّ بدر الدين ربط بين موضوع القصيدة والقافية، واختار القافية المناسبة لغرضه الشعري ولوزنه الذي هو فيه، كما ينسجم مع ما في ذهنه من معان، الأمر الذي يعطيه مزيداً من الحركة في بناء القافية والتصرف بها، وطريقة ملائمتها لموسيقى الوزن، وما يقصده الشاعر من معنى، ويتضمن جودة الأداء الشعوري والانفعالي، تبعاً لحالته النفسية، وتبرز القيمة الصوتية للقافية من الحاسة السمعية التي تفرق بين مخارج الحروف ودقائق النغم [2].

ولبدر الدين من القوافي الجميلة، قصيدته الدالية المطلقة، التي يقول فيها:

(البسيط)

مُـرَنَّحُ العِطْـفِ لَـدْنُ القَـدِّ مُعْتَـدِلٌ لا زَيْـغَ فِـي مَتْنِـهِ يَلْقَـى وَلا أوَدَا
وَهَكَذا الحُكْمُ في العُضْـوِ الـرَّئِيسِ إذا خَصَّتْهُ هَبَّـةُ نَفْـعٍ عَمَّـتِ الجَسَـدَا[3]

وفي هذه القصيدة، تتلاءم قافية الدال المفتوحة مع بحرها البسيط، من جهة وحالة الشاعر المتأججة حماساً، حيث يعلو صوته في حضرة الملك الناصر، وكأنه يشد انتباهه،وألف الإطلاق أكسبت هذه الأبيات سعة، وانفتاحاً للتعبير عما يكتمه من حبّ وتقدير، وتعبير عن مشاعره تجاه الممدوح.

ويبدو أن أكثر قافية تتردد لدى بدر الدين قافية الراء، ولعل ذلك يعود لصفة التكرار الموجودة في صوت الراء،التي تعطي نوعاً من التنويع الموسيقي، الأمر الذي جعل الشاعر يعبر

([1]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص 346.

([2]) انظر بكار: **بناء القصيدة العربية**، ص 235.

([3]) **ديوانه**: 23.

عما في نفسه، وقد يكون هذا مبعث رؤية الشعراء لصورة هذا الصوت في صوت الحمام، الذي عبر فيه عن البكاء والغناء، يقول:

(الطويل)

بَكَتْـــهُ حَمامـــاتُ الأرَاكِ، وَشَـــقَّقَتْ عليهِ الصَّبا أثْوابَ رَوضاتِها النُّضْـرِ[1]

ولجأ بدر الدين في وصفه للطبيعة إلى القوافي السهلة، ذات الإيقاع السلس، ومن ذلـك قافية الراء المطلقة،يقول: (الكامل)

يَـــا حُسْـــنَهُ مِـــنْ مُخْلِـــفٍ لَكنَّـــهُ فـــي الجَـــوِّ عـــالٍ لا يُسِـــفُّ مَطـــارا
وَيَطيرُ خَطْفَـــاً عَـــنْ مَقـــامي عاضِـــداً وَلِشَـــــقْوَتي لا يَـــــدْخُلُ المقْـــــدارا
مِـــنْ جَـــوِّ زوراءِ العـــراقِ قوادِمـــاً يـــــا مَرحَبـــــاً بِقُـــــدومِها زُوَّارا[2]

فقد اختار الشاعر الإطلاق للقافية، ولعل ذلك يرجع إلى نفسيته المرحة بالطبيعة المتغنية بجمالها، وإطلاق الصوت في نهاية البيت، يساعد الشاعر في تعبيره عن سعادته بذلك الجمـــال من أنهار وأزهار وأطيار، ويعطي دفعات قوية لموسيقا القصيدة، يزيد من الموســـيقا الداخليـــة للأبيات .

وغالب شعر بدر الدين هو مطلق القافية،والمطلق من القافية ما كان حرف الروي فيـــه متحركاً، وكثير منه وقع في المكسور والمفتوح، الذي لحقت به ألف الإطلاق حيث فسحت لـــه المجال للانطلاق بدلاً من الحصر والانغلاق [3]، ويعطي دفعات قوية لموسيقا القصيدة،كما يظهر في" مستهما، وهواها، ومستضاما "، ومن ذلك قوله في الغزل، حيث يعلو صوته بقافيـــة المـــيم منطلقاً، وكأنه أراد أن يشد انتباه السامع:

([1]) **ديوانه:** 42.

([2]) المصدر نفسه : ص32.

([3]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص281.

(الرمل)

مُغْـــرَمٌ فِـــي سَـــاكِنِيهِ لَـــمْ يَـــزَلْ مُسْـــتَهَماً فِـــي هَواهَـــا مُسْتَضـــامَا[1]

ولبدر الدين من القوافي الجميلة قصيدته الشينية المطلقة في الغزل،التي تنســـاب فيهـــا موسيقى عذبة متلائمة وتفعيلات البحر الكامل، ورقة معانيه، وشدة الانفعال المعبر عنه بإيقـــاع الأصوات المتزاوجة داخل البيت، والقافية المستوعبة لنبرة التأثر الناتجة عن جمـــال محبوبـــه، وتمنع ذلك المحبوب، يقول:

(الكامل)

فـــإذا خَطَـــرْتُ لَـــهُ تَـــرَنَّحَ مـــائِلاً وَإذا ذَكَـــرْتُ لَـــهُ تَـــرَنَّمَ وَانْتَشـــى[2]

أما القافية المقيدة"[3]،فهي الأقل حظاً في شعر بدر الدين، وتكثر في بحر الرمل نســـبة تفوق أي بحر آخر، وهو البحر الذي يؤثره المغنون والملحنون [4]،وظهرت في شعر الغـــزل، ومن أمثلة ذلك في شعره'يقول:

(السريع)

فَيَـــا خَلِيلَّـــيَّ، إلـــى كَـــمْ أرَى دَمَعِـــي وَحُبِّـــي دَائِمَـــاً فِـــي انْتِـــزاحْ
راضَـــيتُهُ مِـــنْ بَعْـــدِ سُـــخطٍ بِـــهِ وَرُضْتُهُ مِـــنْ بَعْـــدِ طُـــولِ الجِمَـــاحْ[5]

وأكثر بدر الدين من القوافي المكسورة، لأن القافية لها قيمة موسيقية يكونها هذا الحرف في موضعه، فالكسرة تشعر بالرقة واللين، وهي ملائمة لشعر الغزل ونغماته الحزينة والمشاعر الفياضة، وما يتناسب وطبع الشاعر ورهافة حسه، يقول:

([1]) **ديوانه:** 75.

([2]) المصدر نفسه : ص56.

([3]) القافية المقيدة: هي أن يسبق رويها الساكن حرف مدٍّ معين يلتزم به في كل الأبيات. انظر عتيق، عبد العزيـــز: **علـــم العروض والقافية**، ط دار النهضة العربية، بيروت، 1974م، ص 164.

([4]) انظر أنيس: **موسيقى الشعر**، ص 261.

([5]) **ديوانه:** 18.

(المنسرح)

اللهَ فِـــــي مُغَـــــرَمٍ حُشَاشَـــــتُهُ مُنْهَلَـــةٌ فِـــي المَـــدَامِعِ الـــذُّرَفِ[1]

وأكثر الشاعر من القافية المضمومة، والضمة تشعر بالأبهة والفخامة، ومـــن خلالهـــا يصف وادي النيربين، يقول:

(الكامل)

ولِلـــــهِ وادي النَيْـــــربَينِ إذا شَـــــدَا عنْـــــدَ الصَّـــــباحِ حَمامُـــــهُ الغرِّيـــــدُ
وكَأنّمـــــا جَـــــسَّ الهَـــــزارُ مَثالِثـــــاً فَوْقَ الغُصـــونِ، فَكُـــلُّ عـــودٍ عُـــودُ[2]

على الرغم مما ألفناه من جودة القوافي في شعر بدر الـــدين، وانســـياب أكثرهـــا لغـــة وموسيقى، فقد أثرت بعض العيوب في بعض أشعاره، فقللت من جمال قوافيه، ورقة انســـيابها، وهي كما يأتي:

الإيطاء، وهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناهما واحد في القصيدة الواحـــدة،وليس بينهمـــا غير بيت واحد،وكلما تباعد الإيطاء كان أخف، وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم، أو من نسيب إلى أحدهما [3]، والإيطاء جائز للمولدين، إلا الجمحي وحده، فإنَّه قال:" قـــد علمـــوا أنَّـــه عيب..."، وقال الفرَّاء:" إنّما يواطىء الشاعر من عِيٍّ "[4]، فقـــد استحســـنه بعـــض الشـــعراء، وقصدوا إليه قصداً مع مقدرتهم على تغيير اللفظ المكرر، لأن من بين أغراضهم في هذا التكرار التأكيد على الألفاظ المكررة بألفاظها ومعانيها[5]،ومن الإيطاء في شعر بدر الدين قول:

(الكامل)

وَاطْـــرَبْ إلـــى نَغَمـــاتِ أطْيَـــارٍ بَـــدَتْ فِي الجَـــوِّ، وَهْـــيَ تُجَـــاوِبُ الأوْتَـــارا

([1]) **ديوانه:** ص 62.

([2]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص 416.

([3]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 169.

([4]) انظر المصدر نفسه: ص 1 / (170 – 171).

([5]) انظر السّمان، محمود علي: **العروض القديم**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1986م، ص 253.

وبعد بيتين اثنين، يقول:

فـــالتِّمُّ يُطْـــرِبُ بِالجَنـــاحِ كَأَنَّـــهُ أَيـــدي القِيـــانِ تُحَـــرِكُ الأوتـــارا[1]

وهذا إيطاء بتكرار لفظة (الأوتارا) مرتين في بيتين،دون أن يفصل بينهما سبع أبيـــات، واتفاق في المعنى، فالأوتارا: تعني النغمة الموسيقية.

ومن الإيطاء ما ظهر في قصيدة الوصف، يقول:

(الكامل)

والآنَ، قَدْ حَنَّ المَشْـوقُ إلـى الحِمَـى وتَـــذّكَرَ الأوطَـــانَ، وَالأوطَـــارَا

وبعد أكثر من خمسة عشر بيتاً، قال:

(الكامل)

خُذْ مَـالِكي وَصِـفَ الجَلِيـلِ مُنَقَّحَـاً يَا سَعْدُ، وَاقْـضِ برَمِّهَـا الأوطَـارَا[2]

وكلتا الكلمتين في المعنى نفسه.

وزاد من خفة الإيطاء تباعده، في قصيدة وصف فيها بدر الدين حبَّه للخمر، يقول:

(البسيط)

لا تَلْحَنِي اليَوْمَ فِي سـاقٍ وَصـهْبائي وَسَـقِّني كَأسَـها صِـرفاً بِـلا مـاءِ

وبعد أكثر من ثلاث أبيات تكرر الإيطاء، يقول:

(البسيط)

قَديمَـةٌ ذاتِهـا، فِـي رَوضِ جَنَّتِهـا كانتْ، وكَانَ لَها عرْشٌ عَلَـى المـاءِ[3]

وكلمتا الإيطاء اتفقتا في المعنى.

([1]) **ديوانه:** 33.

([2]) المصدر نفسه: 39.

([3]) المصدر نفسه: 11.

واستخدم بدر الدين الإيطاء في معرض وصفه للنسمات العليلة التي تحمل السلام إلى الأحبة، يقول:

(الرمل)

وَالصّبَا مُعْتَلَةٌ مِنْ كُثْرِ مَا حَمَلَتْ مِنْ كُلِّ مُشْتَاقٍ سَلامَا[1]

وبعد أكثر من عشرة أبيات تكررت كلمة الإيطاء، ولكنها اتفقت في المعنى، قال:

(الرمل)

بَرْدٌ، أَسْلِمْنِيَ نَارَ الهَوى لَمْ تَكُنْ لِلقَلْبِ بَرْداً وَسَلامَا [2]

ويظهر الإيطاء في قصيدة المديح، وقد وقع متباعداً، يقول ابن رشيق:" وكلما تباعد الإيطاء كان أخف "[3]، يقول:

(البسيط)

وَجَاءَكَ الطّرفُ مَجْنُونَاً، وَلا عَجَبٌ لسَابِحِ مُسْرِعَاً وَافى لبَحْرِ نَدَى

وبعد أكثر من سبع أبيات، قال: (البسيط)

وَسَوفَ تَحْظى بِضَعْفِي مَا حُيِيَتْ بِهِ وَإنّما أولُ السّيلِ الأتّي نَدَى [4]

وهما بنفس اللفظ والمعنى.

واستعان بدر الدين بالإيطاء في غزله بمحبوبه، فقال:

(السريع)

أَهْدي حَمامَ الأيْكِ وَجْداً ؛ فَبَاحْ وَلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَ سِرٍّ فَبَاحْ[5]

([1]) **ديوانه:** ص74.

([2]) المصدر نفسه : ص75.

([3]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 170.

([4]) **ديوانه:** 24.

([5]) المصدر نفسه:ص 18.

وبعد أربع أبيات تكرر الإيطاء بكلمة " باح"، فقال:

(السريع)

أَلَـــيْسَ أنَّـــى قَـــدْ كَتَمْـــتُ الَّـــذي ما فِيَّ مِنْ سُكْرِ هَـوىً وَهـوَ بـاحْ[1]

وكلتا الكلمتين في المعنى نفسه.

يمثل الوزن عنصراً بارزاً في ضبط انسياب موجه النغم الموسيقي في الشعر، فإن القافية تمثل إيقاعاً قوياً وبالغ الأهمية، إذ تربط بين الوحدات الشعرية المتمثلة في أبياته، والقافية رافقت الوزن منذ نشأة القصيدة، فأصبحا عماد الشعر، بل لا يعتد بالشعر من دونهما.

خامساً: الصنعة البديعية

اهتم العرب في أشعارهم بالمحسنات البديعية،فوظفوها منذ العصر الجاهلي، ولكنها كانت تقع في بيت عن غير تعمد أو قصد، ودون علم بمصطلحاتها [2]، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، كانوا يستعملون على نسق ما جاء منه في القرآن الكريم، وأكثروا من هذا دون أن يعرفوا أسماء ما يستعملونه غالباً [3]،ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف[4]، وزاد الاهتمام بتحسين الكلام وتزيينه حتى غدا علم البديع فناً مستقلاً، ساهم في إرساء قواعده وتثبيت دعائمه مجموعة من العلماء، أمثال ابن المعتز،وابن رشيق القيرواني، وأبي هلال العسكري، وابن حجة الحموي، وغيرهم،قال ابن رشيق:" العرب لم تنظر في أعطاف شعرها بأي تجانس أو تطابق أو تقابل، فتنزل لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، وإنما كانت تطلب أشرف المعنى وصحته "[5].

([1]) **ديوانه:** ص18.

([2]) انظر يوسف: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 300.

([3]) انظر قلقيله: **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، ص 419.

([4]) خليفة، محمد محمد وآخرون: **مفتاح البلاغة**، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، 1965م، ص 95.

([5]) ابن رشيق: **العمدة**، 112/1.

أصبحت الصنعة البديعية عنوان العصر المملوكي، ولم يكن هدف الشعراء والكتّاب هو الإتيان بها والإكثار منها،وإنما أصبحت ميداناً للتناقس، يلتمسونها بكل سبيل،حتى غدت كالملح في الطعام [1]، وقد أدى ولعهم بهذه الألوان إلى زيادة أنواعها، فوصلت إلى مائة وأربعين نوعاً[2]، اتسمت بسمات الحضارة والترف، والمزاج الرقيق، والبيئة الاجتماعية،إلى جانب التعقيد والتكلف الذي أصاب ألفاظها، فأدى إلى صعوبة فهم المعاني التي يريد الشاعر إيصالها[3].

يعود سبب شيوع هذه الظاهرة في الأدب المملوكي إلى العديد من العوامل،منها اتساع مظاهر الحضارة،ومظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية، ووجود ديوان الإنشاء، والعاملين فيه من نقاد وأدباء [4]، وحاجة شعراء ذلك العصر إلى إظهار براعتهم، وسعة محفوظهم من مفردات اللغة، فاتخذوه معارض تزخر بضروب التصنع البديعي، الذي ترك أطيافه على شعر ذلك العصر،والذوق العام الذي يشجع هذا اللون،وأضحى غاية من الغايات التي نظم الشعر من أجلها، وقد أصبح استخدام البديع في العصور المتأخرة مقياساً للحكم على جودة الشعر وتميّز الشاعر[5].

ويرى بعض النقاد أن تمام شاعرية الشاعر، واكتمال شهرته، لا يتأتيان إلا إذا ثبت في ميدان البديع، وبعضهم يرى أنها ولدت إلى أن قضت صناعة موارد التكلف والعبث الذي

أضعفت من الشعر، وأوهى من قوته، وأردى من مكانته [6].

جارى بدر الدين ذوق العصر، فأكثر من استخدام الفنون البديعية، ونافس شعراء عصره في هذا الاتجاه، وجاءت في معظمها غير متكلفة، لا أثر لها في المعاني التي عبّر عنها الشاعر وبرزت بنوعيها في شعره: المعنوية، واللفظية.

([1]) انظر موسى، أحمد موسى: **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1996م، ص 56.

([2]) انظر خليفة: **مفتاح البلاغة**، ص 96.

([3]) انظر عبد الرحيم: **الشيخ علاء الدين الوداعي الكندي "حياته وشعره وما تبقى من ديوانه "**، ص 199.

([4]) انظر عبد المهدي: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، ص 295،

([5]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 108/1.

([6]) انظر موسى: **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، ص 372.

أ – المحسنات المعنوية

التورية

لعل أبرز فن بديعي في شعر بدر الدين التورية، التي أطلق عليها المتـــأخرون الســـحر الحلال[1]، وتنافسوا في تشكيلها، حتى أصبحت غرضاً في ذاتها، ومذهباً فنياً عند بعضهم، ويعلل ابن حجة " حسن التورية عند المتأخرين بسهولة اللغة، واستعمال اللفظ المشهور دون الغريـــب فيخف على السمع، ويصل الذهن إلى معناه، فيرشفه دون مشقة" [2]، ويقول ابن حجة:" إنّ هـــذا النوع البديعي " أعني التورية، وما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حـــذاق الشـــعراء، وأعيـــان الكتّاب، فالتورية من أغلى فنون الأدب، وأعلاها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب"[3].

وتحدث النقاد عن القيمة الفنية للتورية، وجعلوها من أعلى المحاسن البديعية، يقول ابن حجة الحموي:"،التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الإنسان من العين، وسمّوها في البلاغة سموٌّ الذهب من العين" [4]،وتكمن وظيفة التورية في مشاركة المتلقي إنتاج العمل الفني، فـــلا يكـــون تلقيه العمل الأدبي هيناُ سهلاً.

ومن أسباب ازدهار هذا اللون من البديع، طبيعة بلاد الشام الساحرة، ومزاج الشـــعراء وميلهم إلى الدعابة وخفة الروح، وما اتسم به الأدب في العصر المملوكي من روح الســـخرية والنقد، فكانت حاجة الشعراء إلى هذا النوع من المحسنات حتى يتمكنوا من التعبير عمّا يخـــتلج صدورهم، من مرارة العيش، وبطش الولاة والحكام [5].

([1]) انظر ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 49 وما بعدها.

([2]) انظر عبد الرحيم: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص 376.

([3]) انظر ابن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 2/ 241. و**كشف اللثام عن التورية والاستخدام**، ص 15.

([4]) ابن حجة: **خزانة الأدب**، 3/ 192.

([5]) انظر ابن حجة: **كشف اللثام عن التورية والاستخدام**، ص17. الغزولي: **مطالع البدور**، 1/ 90.

وقد تنبه النقاد إلى مكانة التورية في شعر بدر الدين، قال ابن حجة:" أظهر ابن لؤلؤ في عقودها نظماً أمست به منظمة ومنضدة"[1]، وقال ابن فضل الله العمري:" وله في نوع التورية من البديع، ما أخمد وُراه شرارة من قدح، وفرغ الكأس، وما أبقى سؤراً في القدح "[2].

صاغ بدر الدين توریاته في مراسلاته الإخوانية، وجاءت في مقطعة لا تتجاوز الأبيات الثلاثة، بأسلوب سهل، يتوصل المرء إلى معناه بأقصر وقت، وأيسر تفكير، يقول:

(البسيط)

قَدْ أنْحَلَتْنـي الغَـوادي غَيْـرَ راحِمَـةٍ وَمَحَّقَتْنـي اللَّيَـالي بَعْـدَ إبْـدارِ
فَكَـمْ أوُاري مِـنْ جَـوىً وَأسـىً زِنـادَهُ تَحْـتَ أثنـاءِ الحَشـا واري
جِيرانَنَـا كُنْـتُمْ بِـالرَقْمَتَيْنِ فَمُـذْ بَعُدْتُمُ صارَ دَمْعـي بَعْـدَكُمْ جـاري[3]

التورية تظهر في البيت الأول في كلمة (إبدار)، يقول ابن حجة:" يعجبني قوله من قصيدة ورّى في بيتها الأول باسمه"[4]، والإبدار: طلع عليه البدر، وهو يسري في الليل، وبرزت التورية في كلمة(جاري) من المجاورة، وليست من جريان الدمع [5]، وكذلك في كلمة (واري)، والمعنى القريب الشيء المختفي، والمعنى البعيد تشتعل بدلالة زناده.

برزت التورية جلية في شعر الوصف، وجمال الطبيعة ذات المناظر الساحرة والمروج الباهرة للتمتع في أجوائها، واللهو في أحضانها، وإطلاق العنان في تصويرها ضمن لوحات شعرية تتطلب التأمل، ودقة النظر، وشحذ الذهن، وكشف خباياها، فهو يستدعي أصحابه إلى روضة ذات أزهار فوّاحة، وأطيار صدّاحة،يقول:

([1]) ابن حجة: **كشف اللثام عن التورية والاستخدام**، ص 27.
([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 170.
([3]) **ديوانه**: 40.
([4]) انظر ابن حجة: **خزانة الأدب**، 2/ 92.
([5]) انظر موسى: **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، ص 56.

(السريع)

وَحَديقَـــــةٍ مَطْلُولَـــــةٍ باكَرْتُهَـــــا وَالشّمسُ تَرْشُفُ رِيقَ أزهــارِ الرُّبــا[1]

فقد ورّى الشاعر في هذا البيت بكلمة" الشَّمس"، المعنى القريب لها،الشمس المشرقة في الصباح، لوجود باكرتها،، أما المعنى البعيد، الغزالة لوجود ترشف البقية اليسيرة على أزهــار الرّبا وقت الصباح.

ومن توريات بدر الدين في وصف الرياض، يقول:

(الرمل)

وَرِيـــــاضٍ وَقَفَـــــتْ أشْـــــجَارُهَا فَتَمَشَّـــتْ نسْـــمَةُ الصُّـــبْحِ إليهـــا
طَالَعَـــتْ شَـــمسُ الضُّـــحَى أوْراقَهـــا بَعْدَ مـــا أنْ وَقَّـــعَ الـــوُرْقُ عَليهـــا [2]

ورّى بدر الدين في كلمة " وقَّعَ"، فإن لها معنيين أحدهما مأخوذ من التوقيع، وهو كتابة الاسم في أسفل الكتاب، وهذا هو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن بدليل التمهيد لـــه بقولـــه " طالعت أوراقَها"، والثاني أنها مأخوذة من التوقيع بمعنى الغناء، وهذا هو المعنى البعيـــد الـــذي يريده الشاعر.

وظف بدر الدين التورية في وصف طيب رائحة أزهار الرياض، يقول:

(الرمل)

وَرُبـــــوعٍ كَـــــمْ وَجَـــــدْنَا طيبَهَـــــا حِيْنَ ضَاعَ الشّيحُ فِيهَـــا والخُزامَـــى[3]

ورّى الشاعر بكلمة " ضاع"، المعنى الموري به من الضياع لوجود كلمـــة " وجـــدنا"، والمعنى الموري عنه بمعنى فاح وانتشرت رائحته لوجود كلمة طيبها.

([1]) **ديوانه:** 13.

([2]) المصدر نفسه: 84.

([3]) المصدر نفسه: 74.

ويبدو أن بدر الدين كان ذكياً في توظيف التورية في تغزله بصفات محبوبــه، ويجيــد وضعها في سياقها من الكلام،، يقول:

(الوافر)

تَمَلّــــكَ قُرْطُـــــهُ، وَالقَلْـــبُ مِنّـــي فَصَـــارَ لَـــهُ بِـــذاكَ الخَافِقـــانِ[1]

ورّى الشاعر بكلمة الخافقين، ولها معنيان:قريب: وهما المشرق والمغــرب والقرينــة محذوفة لأن المعنى متداول، وليس هو المراد، والبعيد: وهما قلبه الذي يخفق بحبهــا وقرطهــا المتدلي الذي يتحرك كلما تحركت، وهو المعنى المورى عنه.

ولم تقف تورياته بالغزل بالمؤنث، بل ورّى بصفات محبوبه من الغلمان، فقال:

(مجزوء الكامل)

رِفْقَـــــاً بِصَـــــبٍّ مُغْـــــرَمٍ أبْلَيْتَـــــهُ صَـــــدّاً وَهَجْـــــرَا
وَافَـــــاكَ سَـــــائِلُ أدْمُعِـــــي فَرَدَدْتَـــهُ فِـــي الحَـــالِ نَهْـــرَا [2]

ورّى بدر الدين بكلمة "نهرا"، فمعناها القريب الزجر، بدليل التمهيد، له بكلمة "ســائل"، وكلمة "رددته"، ومعناها البعيد مجرى الماء العذب المعروف، وهذا هو المعنى الذي قصد إليــه الشاعر.

ومن تورياته تغزله بمحبوبه، يقول:

(المجتث)

يـــا عَـــاذِلِي فِيـــهِ قُـــلْ لِـــي إذا بَـــدَا كَيْـــفَ أسْـــلُو؟
يَمُـــرُّ بِـــي كُـــلُّ وَقْـــتٍ وَكُلَمـــا مَـــرَّ يَحلُـــو[3]

([1]) **ديوانه:** ص 81.

([2]) المصدر نفسه: 44.

([3]) المصدر نفسه: 71.

ورّى الشاعر بكلمة " مرَّ"، فإن لها معنيين أحدهما أنها مأخوذة من المرارة،وهو المعنى القريب بدليل مقابلتها كلمة " تحلو"، والثاني إنها مأخوذة من المرور، وهذا المعنى البعيد الـذي أراده الشاعر.

ورّى بدر الدين في وصف نهر، بقوله:

(السريع)

وَالنَّهْـرُ كَـالْمِبْرَدِ يَجْلُـو الصَّـدا وَبَـرْدَهُ عَـنْ قَلْـبِ ظَمْآنِـهِ[1]

فقد ورّى بكلمة " الصّدا"، ولها معنيان: أحدهما قريب، وهو صدأ الحديد لوجود يجلـو، والمعنى البعيد الظمأ، أي العطش.

الاستخدام

من ألوان البديع "الاستخدام"، وهو حلية معنوية جميلة لربطها بين معنييْن ومـا يتصـل بهما في إيجاز[2]، والاستخدام، لهم فيه عبارتان، الأولى: أن يأتي بلفظ له معنيان، فأكثر مـراداً به أحد معانيه، ثمَّ يأتي بضمير يراد به المعنى الآخر[3]، ويستخدم كل لفظة منهما لمعنـى مـن معاني تلك اللفظة المتقدمة، وربما التبس الاستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين مفتقراً إلى لفظة لها معنيان[4]، ولكن الفرق بينهما دقيق لا يكاد يلحظ، ولا يكاد يفطن له إلا ذوو الفطرة السليمة، وقد قال فيهما صلاح الصفدي:" ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع، وهو نوع التورية والاستخدام الذي يقف الإفهام حسـرى دون غايتـه عنـد مرامـي المرام"[5].

([1]) **ديوانه:** ص82.

([2]) انظر عطية، مختار: **علم البديع دراسة بلاغية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م، ص 72.

([3]) ابن معصوم، علي صدر الدين المدني: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ط1،حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شـكر، ج4، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1969م،ص (307 –309).

([4]) ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 85.

([5]) ابن حجة: **خزانة الأدب**، 1/ 52.

وتكمن قيمة الاستخدام في موقعه في الأذواق السليمة، وهو نوع عزيز الوقوع صعب على الناظم، وفيما يحققه من الإيجاز، ومن تنبيه للمخاطب، وإثارة فكره لأنّه أول ما يتبادر إلى ذهنه الضمير الذي يستخدم في معنى آخر، يكون المعنى أوقع في النفس، وأبلغ وأقوى أثراً، قلما تكلفه بليغ،وصحَّت معه شروطه لصعوبته، وقلة انقياده [1].

ومنه قول بدر الدين:

(الطويل)

فَأتْبَعتُـهُ قَلْبَـاً مُطِيعَـاً عَلـى الغَضَـا وخَلّيْتَ لِي جَفْنَاً عَلى السّفْحِ أطْوَعَا [2]

فلو أراد الناظم بالغضا وادي الغضا: اسم مكانيْن، قال في القاموس: الغضا أرض لبني كلاب، وواد بنجد، فيكون: الغضا علماً لكل من هذين المكانيْن، ولو كان الاسم وادي الغضا، لقال: وادي الغضا بأرض بني كلاب وواد نجد، فصّح أن الغضا مشترك بين الشجر وبين كونه علماً لكل واحد من هذين المكانيْن، وسمي هذان المكانان بالغضا لكثرة نبت الغضا فيهما مبالغة[3].

وقال ابن حجة:" والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد، وهو استعمال المعنيـيْن بضمير، وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام ".

وعلماء البديع اشترطوا أن يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكاً أصلياً، والاشتراك في لفظة الغضا ليس أصلياً [4]، في قوله:

(الكامل)

أحَمامَـةُ الـوادي بِشَـرقِيِّ الغَضَـا أنْ كُنْـتِ مُسْـعِدةَ الكَئِيـبِ فَرْجِّعـي

([1]) انظر ابن حجة: **خزانة الأدب**، 1/ 309. ابن معصوم: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 4/ 307.

([2]) **ديوانه:** 56.

([3]) انظر ابن معصوم: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 4/ 307.

([4]) ابن معصوم : **أنوار الربيع في أنواع البديع** : 4/ 307.

فَلَقَــدْ تَقَاسَــمْنَا الغَضَــا فَغُصُــونُهُ فِي رَاحَتيكِ، وَجَمْــرُهُ فِــي أَضْــلُعِي[1]

الضمير المجرور في غصونه " الشجر"، أي أوقدوا نار الغضا بين الجوانح والقلــوب، فالغضا الحقيقي هو الشجر، وسمي وادي الغضا لكثرة نبته فيه، وسمي جمر الغضا لقوة نــاره، فكلاهما منقول من أصل واحد [2]، بهذا فقد أحسن بدر الدين استعمال الاستخدام في موضعه.

حسن التعليل

ومن الأساليب البديعية التي وظفها بدر الدين" **حسن التعليل**"، وقــد عرَّفــه ابــن أبــي الأصبع:" هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم على ذكر علة وقوعه، لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول " [3]، وقال ابن أبي الأصبع:" أن يدعي الشاعر وصف ما علة أدبية لطيفة تناسبه،لها اعتبار لطيف ومشتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه الشاعر، ليست هي علة حقيقية، فيقصد بيان علته، القائمة في سماء الخيال، ولا يعتمــد علــى أسباب منطقية معقولة، وظهوره في شعر بدر الدين يدل على ذوق لطيف، وذهن مقتدر.

وتكمن أهمية هذا الفن" فيما يحدثه من تعليل طريف لا يتوقعه المخاطب، وعادة ما يبتعد فيه المتكلم عن العلل الحقيقة، ويأتي بعلل جديدة من باب الطرافة وحسن الاختــراع" [4]،وعلــى الشاعر أن يتخير اللفظ الرشيق، والأسلوب الرقيق، والمعنى الدقيق في علته، يقول:

(مجزوء الرجز)

وَرَوضَــــــــةٍ دُولابُهــــــــا إلــــى الغُصُــــونِ قَــــدْ شَــــكا
مِــــنْ حِــــيْنِ ضَــــاعَ نَشْــــرُهَا دارَ عَلَيــــــــهِ وبَكَــــــــا [5]

يرسم الشاعر صورة جميلة فيها حسن تعليل، إذ صوّر إثر ذهاب ريحها وعبقهــا فــي الدواليب المحيطة بها، وعلل دوران هذه الدواليب بمياهها، بالبكاء على ماضي الأغصان المجيد.

([1]) **ديوانه**: 59.

([2]) انظر ابن معصوم: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 4/ 308.

([3]) انظر ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 309.

([4]) باطاهر: **البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات**، ص 353.

([5]) انظر الرسالة: ص70.

واستعان بدر الدين بحسن التعليل في وصف طائر العُنَّاز[1]، الذي اشتهر بريشه الأبيض الذي يغطيه ريش أسود، وعلل سبب فك أزرار لباسه،إذ صوّره إنساناً ضاقت عليه الدنيا، فبدأ بفك أزرار لباسه ليشعر بالراحة، يقول:

(الكامل)

وَكأنّما العُنّاز لَمَّا أنْ بَدَا لَبِسَ السّوادَ عَلى البَياضِ غِيارا
وَكأنّهُ قَدْ ضَاقَ عَنْهُ مُزَرَراً فَوقَ القَميصِ فَحَلَّلَ الأزرارا[2]

الطباق

برز الطباق في شعر بدر الدين، حيث استطاع من خلاله أن يعقد صلات بين جزئيات لغته ومفرداتها داخل بنائه الفني، يسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ [3]، إذ مكّن الشعراء من المقارنة بين موقفين متناقضين وصورتين متخالفتين في بيت واحد أو شطر واحد، أو مجموعة من الأبيات، وقد كثر استخدام هذا الفن البديعي في شعره لدرجة استدعت الانتباه إلى الأسباب التي استحثت قريحته من أجل الإكثار منه، لما له من فائدة في جذب انتباه السامعين، وما ينتج من أخيلة، وصور شعرية، ولمباراة غيره من الشعراء.

بدا الطباق واضحاً في قصائد الوصف،والغزل،والمدح، والملاحظ أن الشاعر استخدمه على سليقته دون تكلف أو استكراه، وهذا ما رآه النقاد،إذ رأى ابن رشيق أن على الشاعر الإتيان بالطباق سهلاً،خفيف الروح، قليل الكلفة، يكون أرسخ في السمع، وأعلق في القلب [4]، وهذا من شأنه" أن يثبت المعنى المراد في النفس، فيسهل وصفه والحديث عنه" [5].

([1]) انظر حاشية الرسالة: ص 88.

([2]) **ديوانه:** 38.

([3]) انظر ابن معصوم: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 31/4.

([4]) انظر ابن رشيق، **العمدة**، 2/ 11.

([5]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي**، ص 447.

ولعلَّ السرَّ في جمال الطباق، فضلاً عن تثنية المعنى في النفس، أنَّ الضد أقرب بالبال إذا ذكر ضده... أنَّه يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين المتقابليْن[1]، وهذا ما قاله ابن أبي الأصبع:" فرأوا الكلام الذي قد جمع فيه بين ضدين يحسن أن يسمى مطابقاً، لأن المتكلم قد طابق بين الضدين"[2]، ومن أمثلته على ذلك:

(الرجز)

يَبْكي بِها غَمامُها، وَزَهْرُها يَضْحَكُ فِي أكْمامِهِ عَلى الرُّبا[3]

يأتي بدر الدين بالطباق في غرض الوصف ليعقد مقارنة بين حالتين، بكاء الغمام على تلك الروضة،وضحك الأزهار المتفتحة، ما يعكس عاطفة شفافة تنساب بين الزهر والمطر.

ويوظف بدر الدين الطباق ليعرب عن حبّه وشوقه لمن رحل،وشوقاً إلى الديار الحجازية، يقول:

(الكامل)

تَرَكُوكَ وَالعَمَلَ الطّوِيلَ مُكابِداً شَوْقاً أقَامَ القَلْبَ مِنْهُ وَأقعَدَا[4]

فأقام وأقعد تدلان على شدة خفقان القلب، ولذلك دلالة شعورية.

ويسعف بدر الدين الطباق في الرثاء، وقد يزيد هذا من أفق التوقع عند المتلقي، إذا ما سمع لفظة " الحي"، ويتوقع أن تكون اللفظة القادمة هي " الميَّت، أو لفظة أخرى في معناها، يقول:

(الرجز)

فَخُذْ يَمينَ الحَيِّ بِالمَيِّتِ الَّذي مَا غادَرَتْ الغَواني نَفَسَا[5]

([1]) انظر موسى: **الصبغ البديعي**، ص471.

([2]) ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 111.

([3]) **ديوانه**:14.

([4]) المصدر نفسه : ص24.

([5]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

واستخدم بدر الدين الطباق في غرض عتاب مولاه الذي نسي وعده،ولكنَّه يتمنى عدم النسيان، فقال:

(البسيط)

إنّي أُذَكِرُ مَوْلايَ الأميرَ، وَمَا أظُنّهُ نَاسيَ العَهْدِ الَّذي ذَكَرَا [1]

وزاد من جمال الطباق عند الشاعر، معرفته المسبقة بالأمير.

وأسعف بدر الدين الطباق في عتاب الزمان، الذي أبعده عن أحبائه،وامتنع عن توديعهم، فهو يتمنى أن يجود عليه بعودتهم، يقول:

(الكامل)

بَخِلَ الزَّمَانُ بِوَقْفَةِ التَّوديعِ هَيْهاتَ كَيْفَ يَجودُ لي بِرُجُوعِ[2]

واستخدم بدر الدين الطباق في عتاب سيده، الذي وصفه بالجود والمكانة، فقد وعده، ولكنَّه كثير النسيان، يقول:

(المجتث)

يَا ذَا النّدى وَالمَعالي نَسيْتَ وَعدي شُهورا
قَدْ كُنْتَ تَنْسى قَليلاً فَصِرْتَ تَنْسى كَثيرا[3]

ليوضح تأثير هذا النسيان على حياة الشاعر الاجتماعية.

واستعان بدر الدين بالطباق في ألغازه، وحنينه إلى الدفء، وحاجته إلى الفحم الذي يزيده الهواء اشتعالاً، يقول:

(الوافر)

أحِنُّ إليْهِ إنْ هَبّتْ شَمَالاً وَأذْكُرُهُ إذَا هَبّتْ جَنُوبَا[4]

وبرز طباق السلب في شعر بدر الدين، في وصفه فرس وقع في نهر بردى، وفي إثارة تساؤلات مختلفة في نفس القارئ: يقول:

([1]) **ديوانه:** 44.

([2]) المصدر نفسه :ص 29.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 183.

([4]) المصدر نفسه، 16/ 183.

(السريع)

وَسابِحَاً يُدْعَى فَمَــا بَالُــهُ فِــي المَــا ءِ أَلْقَـــى بِـــي، وَلَـــمْ يَسْـــبَحِ؟ [1]

ووظّف طباق السلب في وصف حال العاشقين في البعاد، بحال الإبل في أثناء تنقلهــا، والصعاب التي تواجهها، فقال:

(الكامل)

وَالعِيسُ مِثْلَ العاشِــقينَ مَــعَ النّــوَى حَمَلَتْ مِنْ الأثْقَــالِ مَــا لَــمْ تَحْمِــلِ[2]

واستعان بدر الدين بالطباق في وصف طبيعية حياة طائر اللغلغ،الذي يعشق مياه نهــر الفرات، فقال:

(الكامل)

لا قَــادِمٌ، بَــلْ رَاحِــلٌ عَنّــي إلَــى مَاءِ الفُراتِ، يَخُــوضُ مِنْــهُ غِمَــارَا[3]

ويظهر جمال الطباق في وصفه جمال خدٍّ غلام خُصي، بأنه أبيض لا يشــوبه ســواد، والطباق هنا أثرى المعنى وزاده وضوحاً، حتى بدت الصورة في أبهى وصف، فقال:

(مجزوء الكامل)

أَمِـــــنَ البَيَـــــاضُ بِخَـــــدِّهِ مِـــنْ أنْ يكـــونَ بِـــهِ سَـــوادُ[4]

واستدعى بدر الدين الطباق في توضيح حاله في عشق محبوبه، فقد كتم هــواه، ولكــن معشوقه تحدث عن هذا الحبّ، فقال:

(السريع)

أَلَـــيسَ أنّـــى قَـــدْ كَتَمْـــتُ الَّـــذي ما فيَّ مِنْ سُكرِ هَوى وَهْــوَ بــاحْ؟[5]

([1]) **ديوانه:** 20.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 171.

([3]) **ديوانه:** 32.

([4]) المصدر نفسه: 26.

([5]) المصدر نفسه: 18.

واستعان بدر الدين بالطباق في وصف جمال الصباح في انبلاجه، عندما تختفي النجوم، وتبدأ الطيور بالحركة، يقول:

(الكامل)

وَالصُّبْحُ فِي آفَاقِهِ يَا سَعْدُ قَدْ أَخْفَى النُّجُومَ، وَأَطْلَعَ الْغُرَّارَا[1]

ووظَّف بالطباق في سياق وصف ما يحدثه الدَّهر من نوائب من فراق الأحبة، وما يحدثه من نوائب، يقول:

(الكامل)

وَسَرْتُم طوعَ النّوى ورَجْعتُمُ وكَذَا الكَواكِبُ سَيرُهَا ورُجوعُها
مَا كُنْتُ أعلَمُ أنَّ دائِرَةَ النّوى فيكُم وَفِي أكْبادِها تقْطِيعُها [2]

المقابلة

ومن الفنون المعنوية " المقابلة"، ومعناها "أن يؤتى بمعنييْن متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب[3]، ويختص هذا المحسن بطباق التراكيب المتضادة في العمل الأدبي.

وتكمن قيمة هذا الفن في إعطاء أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه [4]، واشترط النقاد فيها عدم تبعية المعاني، وعدم التكلف والتصنع حتى لا تفقد قيمتها الفنية [5]، وقد كثر ورودها في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب.

وظّف بدر الدين المقابلة في أغراضه الشعرية، ومنها الغزل، ليعقد مقارنة بين حالتيْن متناقضتيْن، حاله وحال محبوبه الذي ملك عليه قلبه، وقابل بين (أهواه ويكرهني) مقابلة توضح سبب عشقه وحبه،على الرغم مما يشعر به من تعب وملل، يقول:

([1]) **ديوانه:** ص 33.
([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 180.
([3]) الصعيدي: **بغية الإيضاح**، 4/ 11. انظر العسكري: **الصناعتين:** ص337.
([4]) انظر ابن رشيق: **العمدة**، 2/ 15.
([5]) انظر باطاهر: **البلاغة العربية**، ص 346.

(الكامل)

إنّـــي لأهْـــواهُ عَلـــى المَلَـــلِ الَّـــذي فِيـــهِ، وَيُكْرِهُنـــي عَلـــى إمْلاقـــي[1]

ويعقد بدر الدين مقابلة في معرض وصفه لطائر العُقاب، فقال:

(الكامل)

يُعْطِـــي، وَيَمْنَـــعُ غَيْـــرَةً وَتَكَرُّمَـــاً وَيُبْـــيحُ مَمنُوعَـــاً، وَيَمْنَـــعُ جَـــارَا[2]

فقابل بين (يعطى ويمنع)، وبين (يبيح ويمنع)، فسرور العُقاب يبرز في بعض تصرفاته، التي تدل على قوته، وتفرده بين الطيور.

ب- المحسنات اللفظية

الجناس

ومن ألوان البديع اللفظية التي برزت في شعر بدر الدين "**الجناس**" ومن أسمائه التشاكل والاتحاد،ويسمى المجانسة والتجانس،وهو تشابه اللفظين في النطق، مع الإختلاف في المعنـــى، وهو من صور الألفاظ، قال الشهاب محمود:" الجناس يحسن إذا قلَّ في الكلام، وأتى عفواً مـــن غير كدّ"[3]، والجناس إنما سمي بذلك " لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحـــد" [4]، وأن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه، ويختلف معناهما"[5]، ورأى ابن رشيق:" أنّ على الشاعر الإتيان بالجناس فضلة على المعنى سهلاً لطيفاً من غير تكلف في ذاته وبه يتم المعنى"[6].

اهتم النقاد والكتّاب العرب قديماً بالجناس، وألفوا فيه كتباً مثل (جنان الجناس)، (جنـــى الجناس) للسيوطي، ويذهب الجرجاني إلى أن " ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يـــتم إلا

([1]) **ديوانه:** 66.

([2]) المصدر نفسه: ص36.

([3]) انظر الصفدي: **كشف اللثام عن التورية والاستخدام**، ص 4.

([4]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 241.

([5]) العلوي: **الطراز**، 2/ 185. انظر ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 241.

([6]) ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 329.

بنصرة المعنى، إذ لو كان هناك اللفظ وحده، كان التجنيس فيه مستحسناً، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به"[1].

ويكمن جمال الجناس في الجرس الموسيقى الصادر عن تكرار الكلمات المتماثلة تماماً أو نقصاً، الذي يزيد من تأثير الكلام ووقعه في النفس، وما فيه من إيهام أنَّ الكلمة المكررة ذات معنى واحد، فيطرب لبعضه لما فيه من تناسق وإيقاع وعفوية، ويمج بعضه لما يبدو من تنافر ونشاز وتكلّف وصنعة[2].

والناظر إلى الجناس في شعر بدر الدين يجده – في معظمه – غير متكلف أو مقصود في ذاته يتم به المعنى، ويظهر حسنه، ويجعل من المتلقي مشاركاً في استجلاء المعاني، ومحاولة التفريق بينها، إعانة الشاعر على تشكيل صوره وتكوين أسلوبه، يقول:

(الكامل)

أشَقِيقُ رَوضٍ أنْتَ يا بَدْرَ الدُّجَا بِاللهِ قُلْ لِي أمْ شَقِيقُ الرُّوحِ[3]

جانس الشاعر بين (شقيق) طرف الجناس الأول، ومعناه النظير والمثيل، و(شقيق) الثاني، ومعناه الأخ من الأب والأم.

وقال بدر الدين معاتباً محبوبه:

(الكامل)

إنْ رَدَّهُ يَومَاً عَلَيَّ فَقَدْ أتَى بِبَديعِ حُسنٍ بَلْ أتَى بِبَديعِ[4]

فهو يجانس بين (بديع) طرف الجناس الأول، ومعناه علم تحسين الكلام، و(بديع) طرف الجناس الثاني، ومعناه الحسن، إنّ تكرار المفردتين السابقتين، وما فيهما من حروف، زاد من القيمة الموسيقية في البيت.

([1]) انظر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، ص 5.

([2]) انظر بدوي: **أسس النقد الأدبي**، (475– 476). موسى: **الصبغ البديعي**، ص 30.

([3]) **ديوانه**: 19.

([4]) المصدر نفسه: 58.

ومن الجناس ما جاء عفو الخاطر، كما يقول:

(الطويل)

وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ الحَشْـرِ أرْجُـو نِجازَهَـا فَكَيْفَ وَقَدْ صَيَّرتُمُوها إلـى الحَشْـرِ[1]

جانس الشاعر بين (الحشر) في الشطر الأول، ومعناها يوم القيامة، وبين كلمة (الحشـر) فـي عجز البيت، وتعني ديوان المواريث الحشرية الذي كان معروفاً في العصر المملوكي، وتكمـن قوة الجناس في هذا البيت في تصوير حالة الشاعر في استسلامه، وصبره على ما يعانيه.

واستخدم بدر الدين الجناس المغاير، وهي أن تكون الكلمتان اسماً وفعلاً[2]، يقول:

(الكامل)

وَسَـريتُمُ طَـوعَ النَّـوى ورَجَعْـتُمُ وكَذا الكَواكِبُ سَـيْرُهَا ورُجُوعُهـا [3]

لكي يوضح الشاعر صورته الفنية ويقرّبها إلى ذهن المتلقي، يضرب مثلاً بالبعد الـذي يصاب به الإنسان، مجانساً فيها بين الفعل الماضي (سرى)،الذي هو بمعنـى ذهـب، والاسـم (سير)، وجانس بين الفعل (رجع)، والاسم (رجوع)، وزاد من جمال هذا البيت وجود الطباق فيه أيضاً.

ويبرز الجناس الناقص، في قوله:

(الرمل)

كَيْـفَ يَخْتَـارُ البَقـا يَـومَ النَّقـا وَهْوَ مِنْ دُونِ الحِمَى يَلْقَى الحِمامـا[4]

فهو يجانس بين (النَّقا) و(البقا)، وبين (الحِمى)و(الحِماما)، وعلى الرغم من كثرة الجناس في هذا البيت، إلا أنه لم يكن له أثر على المعاني التي عبّر عنها الشاعر، وعلى العكـس فـإن

([1]) **ديوانه:** ص 47.

([2]) ابن منقذ، أسامة: **البديع في نقد الشعر**، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، الإقلـيم الجنـوبي، الجمهوريـة العربية المتحدة، ص 12.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 180.

([4]) **ديوانه:** 75.

تكرار المفردات، وما فيها من حروف أتاحت للشاعر التعبير عن آهاته، وزادت القيمة الموسيقية في بيته.

واستخدم بدر الدين الجناس الناقص في استعطاف حمام الأيك، لتعيره جناحها، كي يصل إلى محبوبه، فقال:

(السريع)

وَمَـــا عَلَيْـــهِ مِـــنْ جُنَـــاحٍ إذا أعَـــارَنِي نَحـــوَ حَبِيبِـــي جَنَـــاحْ[1]

جانس الشاعر بين كلمة (جُناح): ومعناها ما يتحمل من الهم والأذى، و(جَناح) في عجز البيت، ومعناها: ما يطير به الطائر.

ومن بديع الجناس الناقص في خدمة الغزل، يقول:

(الرمل)

بَـــرَدٌ، أسْـــلِمْنِيَ نَـــارَ هَـــوىً لَـــمْ تَكُـــنْ لِلْقَلْـــبِ بَـــرْدَاً وَسَـــلاما[2]

جانس بدر الدين بين كلمة (بَرَد) في الشطر الأول، ومعناهـا الأسـنان البيضـاء،التي يعشقها الشاعر، وبين كلمة (بَرْد) في الشطر الثاني راحة الحال، وزاد من جماله اجتماعه مـع التناص القرآني.

ويوظف بدر الدين الجناس الناقص في وصف دموع محبوبته،التي تتسابق مثل قطرات المطر النازل من السحاب، يقول:

(الرمل)

وَدُمـــوعٍ شُـــهْبُهَا، بَـــلْ سُـــحْبُهَا يَتبـــارَيْنَ رِهانـــاً، ورِهَامَـــا[3]

([1]) **ديوانه:** 18.

([2]) المصدر نفسه: 75.

([3]) المصدر نفسه: 74.

وبرع في الجناس الناقص، فقال:

(السريع)

مـــا فَـــتَّحَ النَّـــوْرُ إلا أشْـــرَقَ النُّـــورُ فَمـــا اشـــتِغالِكَ، وَالمَنْثُـــورُ مَنْثُـــورُ[1]

جانس الشاعر بين كلمة النَّور وتعني: الزهر المتفتح، والنُّور بضم النون وتعني: الضوء وهذا يكشف عن قدرة الشاعر، وحسن استخدامه للألفاظ.

وجعل من معكوس الحروف جناساً، فقال:

(الكامل)

بِسُـــلافَةِ الأقْـــدَاحِ: ذا يَسْـــقَي، وَذَا يُعْطِـــي سُـــلافَةَ فِيـــهِ، وَالأحْـــدَاقِ[2]

ويظهر جناس القلب في كلمتي" الأقداح، والأحداق "، كلمة "الأقداح "هي الإنـــاء الـــذي يشرب فيها الماء أو النبيذ، وكلمة "الأحداق"، في عجز البيت، وتعني السواد المســـتدير وســـط العين.

وطغيان الجناس يجعل النص متكلّفاً، والتكلف يؤدي إلى التعقيد، وهـــذا بـــدوره يخـــلُّ بفصاحة الكلام وبلاغته، يقول:

(الكامل)

فَسَقَى اللِّوى لا بَلْ سَقَى عَهْـــدَ اللِّـــوى صَـــوْبَ الغَمـــائِمِ هامِيَـــاً مِـــدْرارا[3]

وجانس بدر الدين بين (اللِّوى) في صدر البيت، ومعناها البقل ما بين الرّطب واليابس، وبين (اللِّوى) في نفس الشطر، وتعني اسم مكان، ولا يخفى عن القارئ ثقل الجناس في بيتـــه.

لزوم ما لا يلزم

([1]) **ديوانه:** 46.

([2]) المصدر نفسه: 66.

([3]) المصدر نفسه: 29.

ومن الفنون اللفظية التي أغرم بها الشاعر " **لزوم ما لا يلزم** " ويقال لـــه " الالتـــزام"، ومعناه " أن يعمد الشاعر قبل روي البيت من الشعر حرفاً فصاعداً على قـــدر قوتـــه وبحســـب طاقته[1]، بمعنى التزام تساوي الحروف قبل روي الأبيات الشعرية[2]،وهذا يضفي على القصيدة جرساً موسيقياً، ويعمد إلى التأثير في السامع، وهو من الفنـــون التـــي قلـــل المتقـــدمون مـــن استخدامها، وأكثر منها المتأخرون إلى درجة الإفراط [3]، وعلى الرغم من أنه غيـــر لازم فـــي العمل الشعري، فإن النقاد اشترطوا فيه العفوية والبعد عن التكلف[4]، لأن الألفاظ إذا صدرت

فيها تكون سلسة طبع، غير مستجلبة ولا متكلفة [5]، ومن الأمثلة على هذا الفن قول بدر الدين:

(الكامل)

وَرِيـــــاضٍ رَقَصَـــــتْ أزهارُهَـــــا فَتَمَشّـــتْ نِســـمَةُ الـــرّيحِ إليهـــا
طالَعَـــتْ شَـــمْسُ الضّـــحَا أوراقهـــا بَعْـــدَما أنْ وَقَّـــعَ الـــوُرْقُ عَليهـــا [6]

ولا شك في أن تكرار الهاء ثمَّ الياء يشعر القارئ بفرحة أزهار الرياض مـــع النســـائم الرقيقة، وإشراقة شمس الصباح على أوراقها بعد وقوف الحمائم عليها.

والتزم بدر الدين ما لا يلزم في مقطوعة يصف فيها تأثير فصل الخريف، يقول:

(الكامل)

انْظُرْ إلـــى الأغْصَـــانِ كَيْـــفَ تَـــذَهَبَّتْ وَأتـــى الخَرِيْـــفُ بِحُمْرِهَـــا، وَصُـــفْرِهَا
تَحلـــو شـــمَائُلَها إذا مَـــا أدْبَـــرَتْ وَتَزيدُ حُسْنَاً فِـــي أواخِـــرِ عُمْرِهَـــا [7]

([1]) ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 517.، النابلسي: **نفحات الأزهار في نسمات الأسحار**، 316.
([2]) انظر ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 262.
([3]) انظر الصعيدي: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، 4/ 89.
([4]) انظر ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 517.
([5]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 269.
([6]) انظر الرسالة: ص192.
([7]) **ديوانه**: 47.

إنَّ تكرار حرف الراء والهاء يفيد إضافة إلى الجرس الموسيقي، إشعار المتلقي، بتبدل ألوان أوراق الأشجار من الخضرة إلى الصفرة ثم الحمرة في فصل الخريف، وهذا يزيدها من جمالها.

ومنه قول بدر الدين في وصف أحد الغلمان، فقال:

(السريع)

ضَمَمْتُهُ فِي سَاعِدي ضَمَّةً فِي لَيْلَةٍ قَدْ غَابَ وَاشِيْهَا
وَفِي يَدي مِنْ شَعْرِهِ حَيَّةٌ لَمْ أَخْشَهَا مُذْ صِرْتُ حَاوِيهَا [1]

ولا شك في أنَّ تكرار الهاء ثم اللام يفيد إضافة إلى الجرس الموسيقي إشعار المتلقي بالحذر الشديد، والتعبير عن آهاته المتواصلة من محبوبه.

ردُّ الصدر على العجز

من المحسنات اللفظية التي وظَّفها الشاعر " رد العجز على الصدر، ويقال له " التصدير" ومعناه " أن نأتي بلفظين مكررين أو متجانسيْن، فنجعل أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها، أو أن يكون أحدهما في الشطر الأول من الشعر، والثاني في الشطر الآخر، وقد يكونان من مادة واحدة "[2]، بمعنى أن تتساوى الحروف قبل رويّ الأبيات الشعرية" [3]، وقد اهتم النقاد بهذا الفن لقيمته الفنية، ومكانته الرفيعة بين علوم البلاغة، وما يبعثه الكلام المقصود من الإعجاب في نفس السامع لا سيما المنظوم منه [4]،وأطلق عليه أسامة بن منقذ وابن رشيق اسم الترديد، وترجع أهمية رد العجز على الصدر في القصيدة، في ما يحدثه من " تلوين موسيقي جميل وترجيع نغمي، يضفي على الصورة مجالاً يضاعف من متعة الإحساس بها"[5]، يضفي على البيت أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده طلاوة.

([1]) **ديوانه:** ص 84.

([2]) انظر عباس: **البلاغة فنونها وأفنانها**، ص 309.

([3]) ابن الأثير: **المثل السائر**، 1/ 262.

([4]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص 408.

([5]) عودة: **الصورة الفنية في شعر ذي الرمة**، ص 207.

وقد استخدم بدر الدين رد العجز على الصدر في غير موضع من شعره، بهدف التوكيد وبيان الأهمية، فضلاً عن تقوية الأنغام، وتقوية الإيقاع بتكرار النغمة المنبعثة من ألفاظ البيت لإحداث جرس موسيقي، ومن ذلك توظيفه ردَّ الصدر على العجز في غزلياته، حين يصوّر صفات الخجل والحزن الذي يتميز بها محبوبه، يقول:

(الكامل)

وَمَشَى بِوادي المُنْحَنَى؛ فَتَعَلمَتْ بأناته مِنْهُ التَّثَنِي إذا مَشى [1]

ووظّف بدر الدين رد العجز على الصدر في وصف معاناته من الفراق، فإن تأكيده للفظة ما يتأتى من خلال جوٍّ عام يعيشه الشاعر في بيته الشعري، ويعكس فيه حالته النفسية التي اعترته، سواء أكان مفعماً بالفرح والحيوية، أم مظلماً بالحزن والكآبة. يقول:

(المنسرح)

قَدْ قَذَفَ الدَّمْعَ، وَهْوَ شاهِدُهُ بِما قَضَتْهُ يَدُ النَّوى القُذُفُ[2]

واستعان الشاعر برد العجز على الصدر في غزلياته، حين صوّر شدة ضعف خصر محبوبه،فهذا يغنيه عن التزين بالزنَّار،وقد أكد الشاعر هذه الصفة بترديد لفظة زنَّر فيصدر البيت، ولفظة زنّار في عجزه، قال:

(البسيط)

قَدْ زَنّرَ الخَصْرَ مِنْهُ بِالنُّحُولِ، وَقَدْ أغْنَاهُ إفرَاطُهُ عَنْ شَدِّ زُنَّارِ[3]

وتزداد فاعلية رد العجز على الصدر كلّما كانت فكرته واقعية صادقة، لما يحقق فيها من تجاوب المتلقي وإحساسه بوجدان الشاعر من خلال وصف فقاقيع الخمر الحمراء، كأنَّها قطرات ندى على الشقيق الأحمر، يقول:

([1]) **ديوانه:** 50.

([2]) المصدر نفسه: 61.

([3]) المصدر نفسه: 40

(السريع)

حَمـــراءُ صـــافِيةٌ كَـــأنَّ حُبابَهـــا طَـلٌّ تَرقـرَقَ فـي شَـقيقٍ أحْمَـرا[1]

التعديد

ومن الفنون البديعية اللفظية، التي وظفها بدر الدين "التعديد"، وهو عبارة عـن " إيقـاع الألفاظ المفردة على ساق واحد " [2]، ودعا ابن حجة الحموي إلى إيجاد علاقـات فنيـة بـين الأسماء المتتالية، يقول:" فإن روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة، أو تجنيس أو مقابلـة، فلـذلك الغاية في حسن النسق" [3].

فقد استخدم بدر الدين التعديد في الوصف والغزل، وتكمن القيمة الفنية لهذا الفن البديعي في إبراز التناغم الموسيقي للأبيات الشعرية، لا سيما إذا اتفقت الكلمـات مـن حيـث الـوزن والحرف الأخير لها [4]، ومن ذلك يقول في وصف قوس للصيد:

(الكامل)

وَأَغَـنَّ، أحْـوى، كَـالهِلالِ، رُشَـيِّقاً بَـلْ رَاشِـقاً بِغُروضِـهِ سَـحّارَا[5]

وقد استخدم الشاعر التعديد لإظهار تكامل صفات محبوبه، فقال:

(البسيط)

أغَنَّ، ألمَـى، رشـيقِ القَـدِّ، مُعْتَـدِلٍ رَخْصِ البَنانِ، كحيَلِ الطَّرْفِ، سَـحّارِ[6]

وقال يصف أحد الغلمان برقته ودلاله وجمال عينه وفتورها، وقد شغفه حباً، يقول:

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 360.

([2]) العلوي: **الإيجاز لأسرار كتاب الطراز**، ص 429.

([3]) ابن حجة الحموي: **خزانة الأدب**، 2/ 390.

([4]) انظر عبد الرحيم: **فن الرثاء**، ص 386.

([5]) **ديوانه**: 30.

([6]) المصدر نفسه :ص 40.

(الطويل)

بِرُوحِيَ نَجَّــارٌ ؛ حكَــى الغُصْــنَ قَــدُّهُ رَشيقُ التَّثَنِّي، أحْوَرُ الطَّرْفِ، وَسْنَانُ[1]

سادساً: الصورة الفنية

الصورة بنت الخيال وجزء من طبيعة الشعر ترتبط بــه ارتباطــاً متينــاً ، وهــي الأداة الأسلوبية التي تبعث السحر في الصور التي يبديها الشعراء في ضروب القول وأفانينه، وتتجلى قوة الصورة في إثارة العواطف، والاستجابة لها [2]،وإظهار ما خفي عن النــاس مبالغــة فــي المعنى[3]، وهي" جوهر العمل الشعري وأداته القادرة على الخلق بما توصله إلى النفــوس مــن خبرة جديدة، وفهم عميق للأمور"[4].

الصورة هي منبع الشعر[5]، تنقل إحساس الشاعر إلى المتلقي،فتثير انفعاله وتؤثر فــي فكره ووجدانه بحيث تجبره على الاستجابة العاطفية والنفسية المطلوبة،فهي " قائمة على الخيال الواسع الخصب، والإحساس المرهف الذي عند المبدعين من أهل صناعة الكلام، وقدرتها على رسم صور حية متحركة، وعرض المعنويات في صورة المحسوسات، حتى تجد طريقها إلــى النفوس والقلوب على حد سواء "[6].

وقد تنبه النقاد إلى القيمة الفنية للصورة الشعرية متمثلة بأنواع علم البيــان: التشــبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، ورأوا أن أفضليتها تكمن فيما تحدثه مــن أثــر فــي الأســماع والقلوب[7]، وإظهار ما خفي عن الناس مبالغة في المعنى [8]، فقيمة الصورة الشعرية تنبع مــن طريقتها الخاصة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي[9].

([1]) **ديوانه:** ص 80.

([2]) دي لوسيل، لويس: **الصورة الشعرية**، ترجمة نصيف الجنابي، دار الرشيد، بغداد، 1982م، ص 23.

([3]) انظر ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 99ز الصعيدي: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، 3/ 9.

([4]) انظر شوقي: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ص 15.

([5]) انظر دي لوسيل: **الصورة الشعرية**، ص 22.

([6]) باطاهر: **البلاغة العربية**، ص 213.

([7]) انظر العسكري: **الصناعتين**، ص 269. ابن رشيق: **العمدة**، 1/ 266.

([8]) انظر ابن أبي الأصبع: **تحرير التحبير**، ص 99.

([9]) عصفور: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ص328.

أدرك بدر الدين أهمية الصورة ودورها في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، لتصوغ تجربته الشعرية [1]، وتزداد الصورة صدقاً وتسمو فناً كلما كانت أكثر ارتباطا بشعوره، وكثرت المصادر التي استقى منها تشكيلات صوره، إذ اعتمد على الموروث القديم، وثقافته الدينية واللغوية، ومظاهر الحضارة، الطبيعة بعناصرها الصامتة والمتحركة، وواقع المجتمع وبيئته وحضارته [2].

وكانت الصورة عند بدر الدين تقليدية مستمدة من الموروث القديم، ينبعث منها رائحة الأحاسيس الفياضة، وهو يتفنن في اختيار الألفاظ وتراكيبها، ويمازج بين عناصر الصورة فيسمو بها محلقاً، تتصدرها مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة،التي استقى منها الشعراء، فصور الملك الناصر بالبحر بجامع الهيبة والكرم،وهي من الصور التقليدية عند الشعراء يقول:

(البسيط)

لَـهُ يَـدٌ لا عَـدِمْنَاهَا يَفـيضُ بِهَـا بَحْرٌ فَلَمْ ذا يُباري جُودُهَـا السُّـحُبَا [3]

وقد تسابق الشعراء في وصف هذا العطاء، الذي لا يضاهيه شيء، يقول:

(البسيط)

يَـدٌ تَلاقَـتْ يراعـاتٌ بِهـا وَفَتـى أنّى تُجاري وَحَازَتْ ذَلِـكَ القَصـبَا [4]

وقد ألهمت شجاعة الملك الناصر شاعرية بدر الدين، فمدحه بصور أثبتت بطولاته، وانهزام أعدائه، مصوراً فيها جرأته،وحسن درايته في الحرب،كما رسم صورة لاحتدام المعركة، والغبار الذي تثيره الخيل والفرسان في ساحتها، يقول:

(البسيط)

سَارَ مِنَ النّقْـعِ فِـي ظَلْمَـاءَ دَاجِيَـةٍ يَسْتَصحِبُ النّصْرَ دَاءً والعَجَـاجَ رِدَا[5]

([1]) انظر الأعرج: **الشخصية الإسلامية في العصر المملوكي**، ص 378.

([2]) انظر موضوع التناص من الرسالة: ص 150.

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 176.

([4]) المصدر نفسه : ص 16/ 176.

([5]) **ديوانه:** 14.

واستعان بدر الدين بعناصر الطبيعة الصامتة والمتحركة في تشكيل صـــوره الشـــعرية، فمحبوبه غزال،وغصن بان،وشهاب، وبدر، وظبي في حسنه وجماله، ووجنته روضة خضراء، وقده غصن بان في لينه وتثنيه، وعذاره أحلى من السكر[1].

(الطويل)

وَأَحْوى ثَنى مِـــنْ قَـــدِّهِ اللَّـــدْنِ، ذابِـــلاً فَأَخْجَلَ غُصْنَ البـــانِ وَهْـــوَ نَضِـــيرُ[2]

وقد وجد بدر الدين في عالم الطيور ميداناً رحباً اســتقى منـــه صـــوره الدالـــة علـــى معانيه،حيث قرن حزنه على فراق محبوبه، بهديل الحمامة الباكية على فراق أحبتها،ويطلب منها تبليغ جواه وشوقه إليهم، فقال:

(السريع)

مَـــاذا عَلَـــى طَـــائِرِ أيْـــكِ الحِمَـــى تَبليغُ مَا بي مِـــنْ جَـــوىً والتِيـــاحْ [3]

وقاسم الشاعر حمامة وادي النيربين، في شجوها ونحيبها على فراق إلفها، يقول:

(الكامل)

قاسَـــمْتُ بَعْـــدَكَ فيـــهِ كُـــلَّ حَمامَـــةٍ نَغَـــمَ النَّحيـــبِ، وَرَنَّـــةَ التَّرجِيـــعِ [4]

وشخّص بدر الدين زهر الياسمين، فصورها فرحة متفتحة، تعكس حالة الشاعر، وكأنَّها قرط تلبسه حسناء، مزيّن بأغلى المجوهرات،، يقول:

(الكامل)

فَقَـــدْ لاحَ زَهْـــرُ الياسَـــمينِ مُنَـــوِّراً كَـــأقْراطِ دُرٍّ قُمِعَـــتْ بِعَقيـــقِ[5]

([1]) **ديوانه** : (26،45،44،48).

([2]) المصدر نفسه: ص44.

([3]) المصدر نفسه: ص 18.

([4]) المصدر نفسه : ص 58.

([5]) ابن كنّان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي: **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، ق2، تحقيق حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1992م، ص 191.

اهتم الشاعر بالطبيعة، فكانت متنفسه الذي يهرب إليه من أعباء الحياة،ويصف روضة تتميز بجمالها، وخلع عليها سمات البشر من(غضِّ الطَّرف، والحياء، والابتسام، والتنبيه)، يقول:

(الطويل)

وَقَدْ غَضَّ طَرْفُ النَّرْجِسِ الغَضِّ مِنْ الحَيا بِهِ، وَالأقاحي مِنْهُ مُبْتَسِمُ الثَّغْرِ
وَباتَ سَقيطُ الطَّلِّ فِي كُلِّ روضَةٍ يُنَبِّهُ في أرْجائِها ناعِسَ الزَّهْرِ[1]

ورسم بدر الدين لوحة طبيعية لجمال محبوبه حين صوّر خده بوردة متفتحة،وفمه عند ابتسامته بزهر الأقحوان، وجعل من وجهه روضة تجمع معاني الحسن والجمال، يقول:

(السريع)

الخَدُّ قَدْ أطْلَعَ وَرْداً بِها وَالثَغرُ قَدْ فَتّحَ فيها أقاحْ
يُبيحنُي مِنْ وَجْهِهِ رَوضَةً مَا كَانَ فِي ظَنّي أنْ تُباحْ [2]

ويتجلى تشخيص بدر الدين في مزجه بين الحس ومفردات الشعور، وبخاصة في نعت نهر بأوصاف نفسية قلما نستشعرها في غير البشر،مغرم بالدَّوح، عدم الاستقرار، الهيام، الشكوى... وترتبط هذه الأوصاف النفسية بالموقف الوجداني للشاعر، يقول:

(الطويل)

وَنَهرٍ بِحُبِّ الدَّوحِ أصْبحَ مُغْرَماً يَروحُ، ويَغدُو هائِماً بِوصالِها
إذا بَعُدَتْ عَنْهُ شَكا بِخَريرْهِ جَفاها وَأمْسى قابِعاً بِخَيالِها[3]

واستعان بدر الدين بصوره لتكثيف المعنى،وحشد الاحساس بالانفعال، ونقل ما يعانيه، فيصوّر نفسه وقد تكالب عليه العذّال بلومهم، ويطلب من الله الصبر، يقول:

([1]) **ديوانه:** 42.

([2]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 244.

([3]) انظر الرسالة: ص 69.

(الطويل)

يُكَلِّفُنـــي العُـــذّارُ صَـــبْرَاً وَقَـــدْ قَضـــى لِيَ اللهُ عَنْهُ الصَّـــبْرُ لَـــيْسَ يَكـــونُ[1]

وصوّر صدغ محبوبه بالعقرب، وشعره بالأفعى، بجامع الضرر والتأثير لمن يصـــاب بسمها، فقال:

(الطويل)

وَقالوا: يَصيرُ الشّعْرُ في المـــاءِ حيّـــةً فَكَيْفَ غَدَا في ذلِكَ الخَـــدِّ عَقْرَبَـــا؟ [2]

وأضفى على كثير من صوره الفكاهة والسخرية، وبخاصة أشعاره في الهجـــاء ونقـــد المجتمع، إذ وصف أخلاق بعض الناس وسلوكهم في عصره تجاه الغلمان.

فقال يصف عذار أحد الغلمان، وقد شبه شعر لحيته بنبات ينمو:

(الكامل)

صَـــدُّوا وَقَـــدْ دَبَّ العِـــذَارُ بِخَـــدِّهِ مـــا ضَـــرَّهُمْ لَـــوْ أَنَّهُـــمْ جَبَـــرُوهُ

هَلْ ذاكَ غَيْرُ نَبـــاتِ رَوضٍ قَـــدْ حَـــلا لكِـــنَّهَمْ لمَّـــا حَـــلا هَجَـــرُوهُ[3]

ويَبدي بدر الدين تعاطفه مع واقعه المادي، مصوّراً الصوت الصادر من حركـــة ميـــاه النهر، ويتحد مع الطبيعة، بحال عاشق متحيّر لا يستطيع اتخاذ قرار، يقول:

(الكامل)

وَالنّهـــرُ جُـــنَّ بِـــهِ فَـــراحَ مُسَلْسَـــلاً صَـــبٌّ تَحَيّـــرَ لا يُصِـــيبُ قَـــرَارَا[4]

وشخّص بدر الدين مظاهر الحضارة، إذ صوّر الشمعة وهي تبكي، ببنت ليل هجرهـــا صاحبها، يقول:

(المجتث)

وَبِنْـــــــتِ لَيْـــــــلٍ بَكَتْنَـــــــا بِدَمْعـــــــــــةٍ مِـــــــــدْرَارَهْ [5]

([1]) **العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

([2]) **ديوانه**: 13.

([3]) المصدر نفسه: ص 83.

([4]) المصدر نفسه: ص32.

([5]) انظر الرسالة: ص 97.

ومازج بدر الدين بين التشخيص والتجسيم، فشبه شمعة مشتعلة بعاشق شفَّه الأرق والأسى من شدة الوجد والهيام، وجسَّد ضوء تلك الشمعة نخلة خرجت من نواتها ثمرة، فقال معبراً عن ذلك:

(السريع)

وَشَمْعَةٍ أوْدى هَواها بِها وَشَفَّها التَّسْهِيدُ، والدَّمعُ
قَدْ مَثَّلَتْ مِنْها لنا نَخلةً وَسالَ مِنْ ذائِبَها طَلْعُ[1]

وصوّر بدر الدين أدوات الصيد، القسي متحفزة عند انطلاق السهم منها، وكأنها حريق اشتعل، وانطلق منه شرار، ويتجلى عنصر الحركة في الأفعال (رشق، ارتمى، أطار)، يقول:

(الكامل)

فَأصِخْ إلى رَشْقِ القِسِيِّ إذا ارْتَمَتْ مِثْلَ الحَرِيقِ أطَارَ عَنْهُ شَرَارَا[2]

واستعان بدر الدين بأدوات الحرب في رسم صوره الغزلية، وهي من الصور التقليدية عند الشعراء، إذ صوّر نظرة عيني محبوبه بالسهم، الذي أصاب فؤاده، ولكنها أصيبت بفتور، فبدأ يقبل خديه التي شبهها بالورد الجميل، يقول:

(الخفيف)

قَدْ حَمَتْنِي سِهَامَ عَيْنَيهِ رَشْقاً أنْ أَبُلَّ الغَلِيلَ مِنْ فِيهِ رَشْفا
بَلْ تَحَقَّقْتُ أنَّهُ ناعِسُ الطَّرفِ فَبادَرْتُ وَرْدَ خَدَّيْهِ قَطْفا[3]

ونهج بدر الدين نهج الأقدمين في رسم صورة الخمرة، فصوَّرها فتاة عذراء تبكي، والدموع على خدها، كأنه فقاقيع تغطي الكأس،يقول:

(الطويل)

عَذراءُ مَشمُولَةٌ تَطفو فَواقِعُها كأَنَّها أَدْمُعٌ فِي خَدِّ عَذراءِ[4]

([1]) **ديوانه:** 59.

([2]) المصدر نفسه: ص 33.

([3]) المصدر نفسه: ص 61.

([4]) المصدر نفسه: ص 11.

ويصور رائحة الخمر في فم محبوبه، برائحة الأزهار الذكية، يقول:

(الرمل)

قَهــــوةٌ فِـــــي فِيـــــهِ أبْقـــــى لَهـــــا مِـــــنْ أزاهِيـــــرِ ثَنايـــــاهُ فِـــــداما[1]

ولجأ بدر الدين إلى الكناية، في تشكيل صوره، وقد" تفطن النقاد إلـــى أهميتهـــا الفنيـــة المتمثلة في قدرتها على السمو بالمعنى، والارتفاع بالشعور إلى مستوى من التصوير الإيحـــائي الشفاف الذي لا يثير المخيلة، بل ينفذ إلى الذهن عن طريق الحس، ثم يفجؤه بعد ذلك بما يخفيه هذا المعطي عن طريق الحس، وفكره، وشعوره، بواسطة الإيماءة السريعة أو اللمحة الخاطفـــة التي يتلقفها العقل لائذاً ببهجة الاكتشاف ومسيرة المفاجأة " [2].

ووظّف بدر الدين الكناية بصورة قليلة في شعره قياساً إلى ضروب البيـــان الأخـــرى، وبرزت في شعر الغزل، فقد كنّى عن محبوبه لجماله وملاحته برشأ لجمال عيونه، يقول:

(الكامل)

رَشَـــأٌ، وتَشْـــبيهي مَجـــازَاً إنّمـــا مِنْ أيْنَ هاتِيـــكَ اللّـــواحِظُ لِلرّشَـــا؟[3]

وكناه بظبي الرمل، دلالة الدلال والحياء، فقال:

(الكامل)

يُكْنَـــى بِظبـــيِ الرّمْـــلِ عَنْـــكَ مَخَافَـــةً مِنْ كاشِحٍ زَادَ المَلامَ وَمَـــا اختَشَـــى[4]

وكناه بشجرة البان لجماله وطوله الذي يشبه هذه الشجرة، فقال:

([1]) **ديوانه:** ص 75.

([2]) عبد الرحيم: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص 396.

([3]) **ديوانه:** 51.

([4]) المصدر نفسه: ص 52.

(الكامل)

وَتَلَفَّتَــتْ عَيْنَــي إلــى بَــانِ الحِمَــى فَرَأَيْتُـــــهُ لِغَزَّالِـــــهِ مُسْتَوحِشَـــــا[1]

وجاءت الكناية عند بدر الدين في المديح النبوي، وكنّى بسكان أحناء الضلوع بالراحلين إلى ديار الحجاز، وشوقه الشديد للرحيل معهم، فقال:

(الكامل)

سُــكَّانُ أحْنَــاءِ الضُــلوعِ حَــدَا بهِــم حَادِي المَطَايَا، أمْ بِقَلْبي قَــدْ حَــدَا؟ [2]

ودرج الشاعر في توظيف الحروف في تشكيل صورة الشعرية، وذلك لشغفه بالصــنعة والتصنع،إذ تغزل بمحبوبه، فقال:

(الكامل)

وَفَـــمٌ يُحَكـــي المِـــيمَ إلا أنّـــهُ كَــمْ حَوْلَــهُ عَــيْنٌ تَحُــومُ كَصَــادِ[3]

وحرص على استخدام عنصر اللون في تشكيل صوره الشعرية، فاختار اللون الأحمــر حين صوّر حبيبات الخمر بالنّدى الرقيق على شقيق الأحمر، يقول:

(الكامل)

حَمــــراءُ صــــافيةٌ كَــــأنَّ حُبابَهــــا طَلٌّ تَرَقْــرَقَ فِــي شَــقِيقٍ أحْمَــرَا [4]

وبرز اللون الأسود والأبيض، في وصف الراحلة التي نقلته إلى مرثيه "تــاج الــدين"، واللون الأسود استخدمه العرب للدلالة على الحزن، واليأس، واللون الأبيض لدلالة الإخــلاص والمحبة بينهما، يقول:

([1]) **ديوانه** : 52.

([2]) المصدر نفسه:ص 25.

([3]) المصدر نفسه: ص 27.

([4]) انظر الرسالة: ص 91

(الرجز)

بـــيضٌ وَسْـــمرٌ كَتَمَـــتْ حُـــدُوجُهَا مِنهـــا ظِبـــاءً أو غُصـــونَاً مُيِّسَـــا [1]

وبرز اللون الأبيض والأسود، في غزله بغلام، تميز بخده الأبيض، الـــذي لا يخالطـــه سواد، دلالة على شدة جماله، فقال:

(مجزوء الكامل)

أمِـــــــنَ البَيَـــــــاضُ بِخَـــــــدّهِ مِـــنْ أنْ يَكـــونَ بِـــهِ سَـــوادُ [2]

وظّف بدر الدين اللون الأصفر في وصفه جمال عيون طائر اللغلغ، فقال:

(الكامل)

وَتَـــرى اللَّغَـــالِغَ تَسْـــتَبيكَ بِـــأعُيُنٍ خَزَرِيَّـــةِ صُـــفْرِ الجُفـــونِ صِـــغارا[3]

واستعان بدر الدين بالألفاظ الدالة على الحركة والصوت في تشكيل صـــوره الشـــعرية، وبرز ذلك في غرض المديح النبوي، حين وصف رحلة أحبته إلى بلاد الحجاز، وما يتخللها من بكاء ودموع، فقال:

(الكامل)

ساقُوا الفُؤادَ وَخَلّفـــوا المُضْـــنى بِهِـــمْ فِـــي الـــدَّارِ يَنْـــدُبُ رَسْـــمَهَا المُتَأَبِّـــدا
يَبْكـــي وَتُطرِبُـــهُ الحُـــداةُ فَيَنْثَنـــي مُرَنَّحـــاً كَالغُصْـــنِ بَلَّلَـــهُ النَّـــدى[4]

فهو يكثر من استخدام ألفاظ الصوت والحركة،مثل(ساقوا، ويندب، ويبكـــي، ويطـــرب، وينثني، ومرنّحاً).

وكذلك حين صوّر مظاهر الطبيعة، وتلك الجنات التي يعشقها الطير، ويغني لها، وكذلك النهر الذي يجري بخريره، ونسمات الريح الخفيفة التي تمشي ببطء، فقال:

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص242.

([2]) **ديوانه**: 26.

([3]) انظر الرسالة: ص 84.

([4]) **ديوانه**: 25.

(الخفيف)

وَجنـــــانٍ أَلِفْتُهـــــا إذ تَغنّـــــتْ حَولَهَـــا الـــوُرقُ بُكْـــرَةً وأصِـــيلا
نَهْرُهَـــا مُسْـــرِعَاً جَـــرَى، وَتَمَشّـــتْ فِـــي رُبَاهَـــا الصّـــبَا قَلِـــيلا قَلِـــيلا[1]

وصوّر بعض الحركات الطبيعية لطائر التِّم الذي يصفق بأجنحته، كأنَّه مغنيـــة تعـــزف الألحان، فقال:

(الكامل)

فَـــالتّمُّ يُطْـــرِبُ بِالجَنَـــاحِ كَأَنّـــهُ أيْـــدِي القِيَـــانِ تُحَـــرِّكُ الأوْتَـــارا[2]

وصوّر بدر الدين الدَّهر، إذ ناب بمصائبه وظروفه المتغيرة، فهو يعترف بقوة الـــدّهر وتأثيره، يقول:

(الطويل)

إلى غَرَضي الأقْصَـــى يُسَـــدّدُ سَـــهمَهُ وَعَهْدي به لَمْ يَبْقَ فِي القَوسِ مَنْزَعَا [3]

وتميزت صور بدر الدين بعدة مميزات أخرى، منها غزارة الصورة الشعرية، ويدل ذلك على عنايته بها، واعتماده عليها في نقل أفكاره وأحاسيسه، والتنبيه لقيمتها في العمل الشـــعري، وفي جذب انتباه المتلقين، وجاءت هذه الغزارة في بيت واحد، يقول في وصف خرير مياه النهر، وهو يلثم جوانب روضة.

(الكامل)

فَتَـــراهُ يَجْـــري لاثِمَـــاً أَقْـــدامَها وَخَريـــرُهُ شَـــكوى الـــذي يَلْقَـــاهُ[4]

وجاءت في مجموعة من الأبيات تارة أخرى[5]،يقول:

([1]) **ديوانه:** 70.
([2]) انظر الرسالة: ص 83.
([3]) **ديوانه:** ص 57.
([4]) محفوظ: **شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي**، 11/ 235.
([5]) الكتبي: **فوات الوفيات**، 4/ 368.

(الوافر)

وَدَمْــعُ العَــيْنِ صَــبٌّ مِثْــلَ قَلْبــي وَراءَ رِكائِـــبِ الغِيـــدِ الحِســـانِ
فيـــا لَـــكَ ســـائِلاً رُدُّوهُ نَهْـــراً تَعَثَّـــرَ فـــي رِدَاهُ الأُرجُـــواني[1]

وتميزت بعض صوره بالواقعية، وبرزت هذه السمة جلية في شعر الفتوح،والتقليد الذي وصل ملك الناصر من الخليفة العباسي (المستعصم)، ويمكن تمثيل ذلك بقوله في وصف التقليد:

(الكامل)

وَسِـــنْجِقٍ ســـائِرٍ تَهْفـــو ذَوائِبُـــهُ وَسْطَ السَّماءِ كَنَجْمِ الـــرَّجْمِ مُتَّقِـــدا [2]

بدر الدين مجيد مبدع امتاز شعره بسهولة الألفاظ، بعيدة عن التكلف والتعقيد، ومعانيــه واضحة قريبة في عبارة موجزة، أدى هذا إلى طغيان المقطعات في شعره، فكان شــعره علــى مستوى واحد يعكس بعفوية انفعال الشاعر، ومدى تأثره بما يجري حوله من أمور، إلى جانــب كونه شيخاً من شيوخ مدرسة التورية التي انتشرت في ذلك العصر.

([1]) **ديوانه:** 82.

([2]) المصدر نفسه: ص 23.

الفصل الرابع

المستدرك على الديوان

الفصل الرابع

المستدرك على الديوان

رقم المقطوعة قافية الهمزة

[1] ومنه قول بدر الدين، وقد استسقوا فلم يُسقوا من {الكامل}

لَمَّـــا بَـــدَا وَجْـــهُ الســـماءِ لَهُـــمْ مُتَجَهِمـــاً لَـــمْ يُنْـــدِ أنْـــواءَ
قـــاموا لِيَسْتَســـقوا الإلـــهَ لَهُـــمْ غَيْثَـــاً فَمَـــا أسْـــقَاهُمُ المَـــاءَ [1]

قافية الألف اللينة

[2] قال في مليح رفّاء من {الوافر}:

ورَفَّـــاءٍ[2]لَـــهُ وَجْـــهٌ مَلِـــيحٌ مَحاسِـــنُهُ المليحـــةُ لَـــيسَ تُخْفَـــى
شَـــغلتَ الفُـــؤادَ ولِـــي زَمَـــانٌ أرَى بَيْـــتَ الفُـــؤادِ بِعَـــوزِ رَفّـــا [3]

[3] قال متغزلاً بمذكر من {الكامل}:

وَمُحَجَّـــبٍ سَـــاجِي اللِّحَـــاظِ كَأَنَّـــهُ مُعْنى تَوهَّمَ فِـــي الخَيَـــالِ إذَا سَـــرَى
وَتَكَـــادُ تَقْـــرَأُ فِـــي أَسِـــرَّةِ وَجْهِـــهِ وَصَقِيلِ خَدٍّ مِنْـــهُ مَـــا قَـــدْ أخْمَـــرَا[4]

قافية الباء

[4] قال يصف مجلس شراب من {السريع}:

أدِرْ كُـــؤوسَ الـــرّاحِ فِـــي رَوضَـــةٍ قَـــدْ نَمَّقَـــتْ أبْرادَهـــا السُـــحْبُ
الطيّـــرُ فيهـــا شَـــيِّقٌ مُغْـــرَمٌ وَجَـــدْوَلُ المَـــاءِ بِهَـــا صَـــبُّ[5]

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ (182).

([2]) انظر الرسالة: ص52.

([3]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 128.

([4]) المحِّبي، محمد أمين فضل الله بن محب الدين (ت 1111هـ): ذيل **نفحة الريحانة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، عيسى البابي وشركاه، 1971م، 2مج، ص (224 – 225).

([5]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 132.

(5) وقال واصفاً كأساً من الخمر من {مجزوء الكامل}:

تَبْـــــدُو لَنَـــــا فِـــــي كَأسِـــــها ... كَالْشّـــمْسِ فِـــي خُلَـــلِ السَـــحابِ
فَتَـــــرَى النّهَـــــارَ بِنُورِهَـــــا ... وَاللّيْـــــلُ مَسْـــــدُولُ الحِجَـــــابِ
كَالمَـــــــــاءِ تَلْمِسُـــــــــهَا وَلَ ... كِـــنْ فِعْلُهَـــا فِعْـــلُ الحَبَـــابِ
يُضَـــحِي بِهَـــا المَقْـــرورُ وَهْـــ ... وَ كَأنّـــــهُ فِـــــي شَـــــهْرِ آبِ[1]

(6) وقال مادحاً الملك الناصر من {البسيط}:

وَلاحَ كَـــأسُ الثُّرَيَّـــا فِـــي مَشَـــارِقِهِ ... مُلوِّحَـــاً مِـــنْ شُـــعاعٍ سَـــاطِعٍ ذَهَبـــا
وَللبُروقِ وَمَـــيضٌ فِـــي الغَمَـــامِ حَكَـــى ... تَحْتَ العَجاجِ سُيوفَ النَّاصرِ القُضُـــبا
لَـــهُ يَـــدٌ لا عَـــدِمْنَاهَا يَفِـــيضُ بِهَـــا ... بَحْرٌ فَلَمْ ذَا يُبـــارِي جُودُهـــا السُّـــحُبَا
يَـــدٌ تَلاقَـــتْ يَراعَـــاتٌ بِهَـــا وَفَتَـــى ... أنّى تُجارِي وَحَازَتْ ذَلِـــك القَصَـــبا[2]

(7) ومنه قوله ملغزا في الفحم من {الوافر}:

وَمَـــا أحْـــوَى لَـــهُ قَـــدٌّ إذَا مَـــا ... أرَدْنَـــا وَصْـــفَةُ قُلنَـــا قَضِـــيبَا
تَبيـــتُ بِـــهِ القُلُـــوبُ إذا قَلاهَـــا ... عَلَـــى جَمْـــرٍ يُـــذيبُ بِـــهِ القُلُوبـــا
أحِـــنُّ إليـــهِ إنْ هَبّـــتْ شَـــمالاً ... وَأذْكُـــرُهُ إذا هَبّـــتْ جَنوبَـــا
بِـــهِ حَـــرْقٌ وَبَـــي حُـــرَقٌ إليـــهِ ... وَأرْجُـــو أنْ أُزادَ بِـــهِ لَهِيبَـــا
وَكَـــمْ أبْـــدَى لَنَـــا نَـــاراً يَبيســـاً ... وَقِـــدْماً كَـــانَ يُخْفِيهَـــا رَطِيبَـــا
عَرِيـــقُ الأصـــلِ سَـــوَّدَهُ أبُـــوهُ ... وَلَـــمْ يَـــكُ فِـــي مَغارِسِـــهِ نَجيبَـــا [3]

قافية الحاء

(8) ومنه قوله متغزلاً بمحبوبه من {السريع}:

أَلْفَـــتَ غُصْـــنَاً وَأنَـــا فِـــي الهَـــوى ... فَقَـــدْتُ غُصْـــنَاً وَأطَلْنَـــا النُّـــواحْ
فَهَـــاتِ طَـــارِحِنِي فَكُـــلٌّ غَـــدَا ... مِنَّا عَلَـــى غُصْـــنٍ تَغَنّـــى وَنَـــاحْ[4]

([1]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 360.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16 /176.

([3]) المصدر نفسه: ص16 / 183.

([4]) المصدر نفسه: ص16/ 179.

[9] ومن {الكامل}:

وَمِـــنَ التَّعلُّـــلِ أنَّنـــي أرْجُـــو الصَّـــبَا تَغـــدو تَبُـــثُّ تَحيَّتـــي وَتَـــروحُ
أوْ أطلُـــبُ الأحْبـــابَ بَـــيْنَ مَعاهِـــدٍ قَدْ ضَاعَ فِيهَا رَنْدُهَا[1] وَالشِّـــيحُ [2] [3]

[10] قال البدر يصف محبوبه من {السريع}:

يُبيحُنِـــي مِـــنْ وَجهِـــه رَوضَـــةً مَا كَـــانَ فِـــي ظَنِّـــي بِهـــا أنْ تُبـــاحْ
الخَـــدُّ قَـــدْ أطْلَـــعَ وَرْدَاً بِهـــا وَالثَّغْـــرُ قَـــدْ فَـــتَّحَ فِيهـــا أقـــاحْ [4]

[11] قال يصف خدَّ محبوبه من {السريع}:

وَوَجْنَـــةٍ بَـــلْ جَنَّـــةٍ زُخْرِفَـــتْ قَـــدْ أينَـــعَ التُفَـــاحُ فِيهَـــا وَفَـــاحْ [5]

قافية الدال

[12] ومن شعره يصف الخمر من {الطويل}:

هِـــيَ الخمـــرُ تُـــدْعى بِـــالعَجُوزِ لأنّهَـــا إذَا شَافَهَتْ عُضـــوَ الحِســـانِ تَجُـــودُ
تُلَـــيِّنُ أخَـــلاقَ الحِســـانِ بِلُطْفِهَـــا فَـــلا تُنْكِـــروا أنَّ العَجُـــوزَ تَقُـــودُ [6]

[13] وقال يصف سيفاً من {الطويل}:

وَعَلَّقْتُـــهُ سَـــيفاً مِـــنَ البِـــيضِ مُرْهفـــاً بِغَيـــرِ حُـــلاهُ لَـــمْ أكُـــنْ أتَقَلَّـــدُ
أبَيـــتُ وَلِـــي مِـــنْ سِـــاعِدِيهِ حَمَائِـــلٌ عَلَى عَاتِقِي فِي اللَيلِ وَهَوَ مُجَـــرَّدُ [7]

([1]) الرَّند: الآس: وقيل: هو العود الذي يبخر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية، وهو طيب الرائحة يستاك به، وليس بالكبير، وله حبٌّ يسمى الغار، واحدته رَنْدَة.انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 491/5، مادة"رند".

([2]) الشيح: نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس، وهو من الأمرار، له رائحة طيبة وطعم مرٌّ، وهو مرعى للخيل والـنَّعم ومنابته القِعان والرياض.المصدر نفسه: 7 / 272، مادة" شاح".

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 177.

([4]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 244.

([5]) السيوطي، جلال الدين: **جنى الجناس**، تحقيق وشرح علي رزق الخفاجي، ص 256.

([6]) الأزهري: **مستوفى الدواوين**، 2/ 195.

([7]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

(14) وقوله مما كتب به إلى بعض أصحابه(جمال الدين المصري النحوي) [1] يعزيه فيه من {الطويل}:

عَزَاؤُكَ زَينَ الدينِ فِي الذَّاهِبِ الَّذي بَكَتْهُ بَنُو الآدابِ مَثْنَى وَمُوحِدَا
هُمُ فَارَقوا مِنْهُ الخَلِيْلَ بنَ أحْمَدٍ وَأنْتَ فَفارَقْتَ الخليلَ وَأحْمَدَا[2]

(15) قال بدر الدين يصف جمال الملك الناصر من { البسيط}:

طَلَعْتَ بَدْراً بِداجي لَيْلِها وَبَدَتْ كواكبُ الذَّهَبِ القاني بِها بَدَدَا [3]

(16) قال البدر في مفردات ما يتعلق به من {الرجز}:

تَعِدُ الجُفُونُ برِقْدِهِ فَإلى مَتَى نَشْكُو تَعاقُبَ أدْمُعٍ وَسُهَادِ
لا تَلتَقِي الأجْفَانُ فِيكَ كَأنّمَا الـ أهْدَابُ عِنْدَ الغَمْضِ شَوكُ قَتَادِ[4][5]

(17) وقال يصف أحد الغلمان من {الخفيف}:

وَرَشِيقِ القَوامِ حُلْوُ التّثَنِّي وَالثّنَايَا مُهَفْهَفٌ أُمْلُودُ[6]
هَوَ بَدْرٌ قَبلْتُ فِيهِ وَمَنْ مَا تَ بِبَدرٍ مِثْلِي فَذَاكَ شَهِيدُ [7]

(18) وقال يصف وادي النيربين من {الكامل}:

للهِ وَادِي النَيْرَبَينِ إذَا شَدَا عِنْدَ الصَّباحِ حَمَامُهُ الغرِّيدُ
وَكَأنَّمَا جَسَّ الهَزَارُ[8] مثَالِثاً فَوقَ الغُصونِ فَكُلُّ عُودٍ عُودُ[9]

([1]) انظر الرسالة: ص8.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

([3]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29/ 142.

([4]) القتاد: هو بنات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية، ويسمى في السودان الخَشاب، ومنه يستخرج أجود أنواع الصمغ، وفي المثل قالوا: " من دونه خَرْط قتاد "، يضرب للشيء لا يُنال إلا بمشقة عظيمة. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 714، مادة" قتّ".

([5]) هكذا ورد في الأصل. انظر الصفدي: **تشنيف السمع في انسكاب الدمع**، ص 209.

([6]) أملود: الناعم اللين من النّاس، ومن الغصون، قيل رجل أملد، لا يلتحي. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 884، مادة (أملَد).

([7]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 180.

([8]) الهزار: طائر حسن الصوت (فارسي معرب)، ويقال له: هزار دستان، لأنه يغني ألحاناً كثيرة، وهزار في الفارسية بمعنى الألف. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/984،مادة" هزر".

([9]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص 416.

قافية الراء

(19) وقال واصفاً الخمر من {البسيط}:

سَارَتْ لِتقتَصَّ مِـنْ قَـومٍ فَمَـا رَبِحَـتْ فِي حَثِّ كَـأسٍ عَلَـى الأوتَـارِ دَوَّارِ
فَالقَومُ مِنْ بَعْضِ قَتْلاهَـا وَمَـا ظَلَمَـتْ وَإنَّمَـا أخَـذَتْ مِـنْهُم بِأوتَـارِ [1]

(20) وقال يصف شمس الأصيل من {الطويل}:

وَمَـا ذَهَبَـتْ شَـمْسُ الأصِـيلِ تَحِيَّـةً إلى الغَرْبِ حَتَّى ذَهَّبَتْ فِضَّـةَ النّهْـرِ
وَأمْسَى أصيلُ اليَومِ مُلْقَـىً مِـنَ الضَّـنا عَلَى فُرُ شِ الأزهَارِ فِي آخِرِ العُمْرِ[2]

(21) إنَّه لمَّا رأى تلك المحاسن الأشتات، اهتز إعجابا بفصل الخريف، وما جمع منهـا زمانـه، وأبدع في تأليف ألوانها أوانه فقال من {الكامل}:

رَقَّ النَّهَـارُ وَراقَـتِ الأنهَـارُ وَسَـرَى النَّسِـيمُ وَغَنّـتِ الأطيَـارُ
وَأتَـى الخَرِيـفُ مُبَشِّـراً بِصُـبوحِهِ فَتَخَلَّقَـتْ لِقُدومِـهِ الأشـجارُ
وَتَنَـى مَعَاطِفَـهُ الخَلِـيجُ وَصَـفّقَتْ أمْواجُـهُ وَتَـرَاقَصَ التّيـارُ
وَدَعَا إلى الشُّرْبِ الأصـائِلِ وَالضُّـحَى فِـي كُـلِّ وَادٍ بُلْبُـلٌ وَهَـزارُ
وَاشْـرَبْ عَلَـى ذَهبيّـةِ الأوراقِ مِـنْ ذهبيّـةٍ بِيَـدِ السُّـقاةِ تُـدارُ
وَاجْـنَحْ لِحَانَـةِ كَرْمَـةٍ فِـي ظِلِّهَـا الـرَّاحُ بِكْـرٌ وَالـدِّنانُ عِشَـارُ
قَـدْ أيْنَعَـتْ وَتَأَلَّفَـتْ فَكَأنّمَـا هِـي جُلَّنَـارٌ للنَـدِيمِ وَنَـارُ
عَـذْرَاءُ رَقَّصَـها المـزاجُ بِحُلَّـةٍ فِـي طَوقِهَـا مِـنْ لُؤلُـؤٍ أزرارُ[3]

(22) ومنه قوله يصف جمال غلام أعجبه، من{الطويل}:

وَمِـنْ عَجَـبٍ أنْ يَحْرُسُـوكَ بِخَـادِمٍ وَمَـا عَلِمُـوا خُـدَّامُ حُسْـنِكَ أكْثَـرُ
عَـذَارُكَ رَيْحَـانٌ وَصَـدْعُكَ عَنْبَـرٌ وَخَدُّكَ يَـاقُوتٌ، وَثَغْـرُكَ جَـوهَرُ [4]

([1]) محفوظ: ***شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي***، ع11، ص 67.

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 179/16.

([3]) المصدر نفسه:ص 177/16.

([4]) الأزهري: **مستوفى الدواوين**، 2/ 237.

[23] ومن {البسيط} يقول:

وَحْفتَيــانِ الــذي غَــرَّ العِــدَا طَمَــعٌ فِيها فَــأهلكَهُمْ فِــي نيلِهَــا الغُــرَرُ[1]
رَامَ العِــدا لَــكَ دَفْعَــاً عَــنْ جوانبِهَــا وَكَيْفَ يُدْفَعُ سَــيلٌ وَهْــو مُنْحــدِرُ؟[2]

[24] يقول البدر الذهبي في وصف الخال من {البسيط}:

مَهَفْهَــفٌ يَتَثَنّــى قَــدُّهُ غُصْــناً يُبْدِي بِــهِ مِــنْ ثَنَايَــا ثَغْــرِهِ زَهْــرَا
كَأَنَّــهُ كَعْبَــةٌ لِلْحُســنِ أوْ صَــنَمٌ وَالخَالُ وَالقَلبُ كُلٌّ يُشْــبِهُ الحَجَــرَا[3]

[25] وقال معاتباً أحدهم من {المجتث}:

يَــا ذَا النّــدَى وَالمَعَــالِي نَسِــيتَ وَعْــدي شُــهُورَا
قَــدْ كُنْــتَ تَنْسَــى قَلِــيلاً فَصِــرْتَ تَنْسَــى كَثِيــرَا[4]

[26] وقال واصفاً تأثير الخمر من {الكامل}:

رُوحِــي الفِــدَاءِ لِمَــنْ أدَارَ بِلَحظِــهِ صَــهْبَاءَ فِــي عَقْلِــي لَهَــا تَــأثِيرُ
فَأعَجَــبُ لَــهُ أنَّــى يَصُــونَ بِلَحظِــهِ مَشــمولَةٌ وَإناؤُهَــا مَكْســورُ[5]

[27] وقال في الخال، من {البسيط}:

لا تَحسَــبُوا شَــامَةً فِــي خَــدِّهِ طُبِعَــتْ عَلَــى نُضَــارَةِ خَــدٍّ رَاقَ منْظُــرُهُ
وَإنَّمَــا خُــدُّهُ الصَــافي تخــالُ بــهِ سَوادَ عَيْنِكَ خَــالاً حِــينَ تَنْظُــرُهُ [6]

[28] قال البدر الذهبي يصف الخمر من {الكامل}:

حَمْــرَا ءُ صَــافِيَةٌ كَــأنَّ حُبَابَهَــا طَــلٌّ تَرَقــرَقَ فِــي شَــقِيقٍ أحْمَــرَا

([1]) الغُرر: هو طائر طويل الساق من طيور الماء، أسود الجسم، أبيض الرأس، يعيش على حياة المستنقعات، واحدته (غرّاء) للمذكر والمؤنث. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 1/ 648، مادة" غرَّ".

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 179.

([3]) النواجي: **صحائف الحسنات في وصف الخال**، ص(128). **مراتع الغزلان في وصف الحسان**، نسخة صلاح الدين محمد خليل محمد بن ابراهيم محفوظ، مكتبة الاسكورال، اسبانيا رقم (339)، الجامعة الأردنية ص(138).

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 183.

([5]) الحموي: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 2/ 79.

([6]) الأزهري: **مستوفى الدواوين**، 237/2.

رَاقَـــتْ ورَقَّـــتْ مَنْظَـــراً ولَطَافَـــةً وَشَفَتْ وَشفَّت فِي الكُؤوسِ فَلَنْ تُـرَى
خَافَـتْ سُـيوفُ المَـاءِ فَاتخَـذَتْ لَهَـا فِي الكَأسِ مِنْ زَرَدِ [1] الفَواقِعِ مِغْفَرَا[2]

[29] وقال البدر من { الرجز}

أَخْفَيـتُ فِـي حبِّيـه فَـيضَ مَـدَامِعِ خَوفَ الرَّقيبِ لَظَـى غَـرَام مُسَـعَّرا
وكَـذلِكَ السَّـيْفُ المُهَنَّـدُ مَـاؤُهُ مِنْ نَارِهِ فِي جِسْـمِهِ لَـنْ يَظْهَـرَا [3]

[30] وقال يصف أزهار الربيع من {الكامل}:

فِـي جَنَّـةٍ أضْـحَى الأقَـاحُ مُـدَرهَماً فِـي جَانِبَيْهَـا وَالبَهَـارُ مُـدَنّرَا
لمَّـا تَشَـعَّبَ مَاؤُهَـا بَـيْنَ الرُّبَـا عَبَثَتْ بِهِ أَيـدِي الصّـبا فَتَكَسَّـرَا [4]

قافية الزاي

[31] أخذها بدر الدين فقال في الأطيار المترنمة، من {الطويل}:

عَلَى رَوضَـةٍ غَنَّـاءَ قَـدْ فَرَشَـتْ لَنَـا عَلَى نَهْرِهَا المُنْسَابِ مِنْ نَسْجِهَا خَـزَّا[5]
مُوشَّـعَةٍ قَـدْ نَبَّـتَ الطَّـلُّ ذَيْلَهَـا وَكَـفٌّ حَواشِـيهَا وَأَكْمَامُهَـا دَرْزَا
بِهَـا أَلفَـاتٌ مِـنْ غُصـونٍ تَمَثَّلَـتْ كَـأَنَّ عَلَيهَـا مِـنْ حَمَائِمِهَـا هَمْـزَا[6]

[32] وقوله من قصيدته الزائية الزاهية، الآمرة الناهية، التي حلَّقَ إليها كل شاعر في زمانه، فوقع وسار وراءها، ولكنَّه من نصف الطَّريق رجع، من {الطويل}:

فَـأَتْبَعْتُهُم طَرْفَـاً إلَـى الجَـزعِ بَاكِيَـاً وَرَاءَ المَطَايَـا لا بَكيّـاً وَلا نَـزَّا[7]
وَقُلتُ لحَـادِي العِـيسِ رِفْقَـاً بِمَـدْمَعِي وَبِـالعيسِ لا تُفْنِـي قِطَارِيهمَـا لَـزَّا

([1]) زرد: تداخل حلق الدرع بعضها ببعض، والزرد: الدروع المزودة. انظر ابن منظور: **لسان العـرب**، 6/ 35، مـادة (زَرَدَ).

([2]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص(360).

([3]) الصفدي: **تشنيف السمع في إنسكاب الدمع**، ص (209).

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 174.

([5]) خزا: بالخاء المعجمة والزاي، وهو ضرب من الثياب معروف أو نسج من الصوف. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 4/ 94، مادة (خزّ).

([6]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص 415.

([7]) نزّا: وثب وتسرع. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 14/ 125، مادة (نزا).

وَفِـــي الكلَّـــةِ الحَمْـــرَاءِ بَيْضَـــاءُ غَـــادَةٌ مَرِيضَةُ لَحْظِ العينِ مَمْلُـــوءةً عَجْـــزَا
تُسَـــارِقنَا بِـــاللحْظِ خَـــوفَ رَقِيبِهَـــا فَآونَـــةً شَـــزْراً وَآونَـــة غَمْـــزَا [1]

قافية السين

[33] وقال يصف هدية أحدهم من {الطويل}:

تَرَحَّلْـــتُ عَـــنْ نَادِيـــكَ لا عَـــنْ مَلالَـــةٍ وَقَـــدْ لفَعَتْنِـــي بِـــالهَجيرِ البَسَـــابِسُ[2]
عَلَـــى بَغْلَـــةٍ أمْطَيْتنيهَـــا قَصِـــيرةٍ كَأَنِّي بِلا شَكٍ عَلَـــى الأرضِ جَـــالِسُ
وَتَحْسَبُنِي مِـــنْ فَوقِهَـــا النَّـــاسُ رَاجِـــلاً وَلَكِنني فِيمَا تَـــرَى العَـــينُ فَـــارِسُ [3]

[34] يمدح بها المرحوم تاج الدين، من {الرجز}:

عِوَجاً يَمِـــينَ الجَـــزْعِ بِـــالعيسِ عَسَـــى نُـــرِيحَهنَّ فَـــالظّلامُ قَـــدْ عَسَـــا

قال ثم أجاد:

بِـــيضٌ وَسُـــمرٌ كَتَمَـــتْ حُـــدوجُها[1] مِنْهَـــا ظِبَـــاءً أوْ غُصُـــوناً مُيِّسَـــا
جُفُونُهَـــا سَـــلَبْنَ سَـــقَمي وَالكَـــرَى لِذلكَ قَـــدْ أضْـــحَتْ مراضـــاً نُعَّسَـــا
فَخُـــذْ يَمِـــينَ الحَـــيِّ بِالمَيِّـــتِ الَّـــذي مَـــا غَـــادَرَتِ فِيـــهِ الغَـــوانِي نَفَسَـــا
صَـــبٌّ إذا مَـــا نَسْـــمَةُ الغَـــورِ صَـــبَتْ عَـــاوَدَهُ بَـــرْحُ الهَـــوى فَانْتَكَسَـــا
فَـــداويَا بِنَفْحَـــةِ البَـــانِ جَـــوى مُتَـــيّمٍ مِـــنْ بَرئِـــهِ قَـــدْ يَئِسَـــا
وَعَلِّلَـــــلا حُشَاشَـــــةً عَلِيلَـــــةً قَدْ عَافَهَـــا الآسِـــي وَعَفّاهَـــا الأسَـــى
وَعَـــدتُمَاني يَـــا خَلِيلَـــيَّ بِـــأنْ تَعْرُجَـــا عَلَـــى النَّقَـــا وَتُحْبِسَـــا
وَقُلْتُمَـــا صَـــبحيَ حَـــيّ بَعْـــدَهمْ لَـــو كَـــانَ حَيّـــاً بَعْـــدَهُمْ تَنَفّسَـــا [4]

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 175.

([2]) البسابس: ضرب من زجر الإبل، وقيل أبَّسَ إذا دعا الناقة عند الحلب. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**،1/ 497، مادة (ابسَسَ).

([3]) الغزولي: **مطالع البدور في منازل السرور**، 1/ 520.

([4]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص 242.

(35) قال يصف غلاماً، من {مجزوء الكامل}:

سَـــــلَبَ العيـــــونَ نُعاسَـــــها فَلِـــذَا تَـــرَاهُ الـــدَّهرَ نَـــاعِسْ [1]

قافية الشين

(36) قال البدر في الشمس وضوئها من {الكامل}:

وَعَبَـــرْتُ أجْرُعَـــهُ، وَخَـــدُّ غَـــديرِهِ عَبَثَـــتْ بـــهِ أيَـــدِي الصِّـــبا فَتَخَدَّشَـــا
وَقَـــدِ ارتَمَـــى ذَهَـــبُ الأصـــيلِ عَشِـــيَّةً فَغَدَا لُجَـــيْنُ النَّهْـــرِ مِنْـــهُ مُخَيَّشَـــا [2]

قافية الطاء

(37) وقال في أدوات الكتابة من{الطويل}:

أمِـــن قَلَـــمِ الرَّيْحَـــانِ فِـــي خَـــدّهِ نَقْـــطُ وَفِي قَدّهِ مِـــنْ لِـــينِ مَـــا تُنْبِـــتُ الخَـــطُ
بَـــدَا مِنْـــهُ سَـــطْرُ العَيـــونِ مُحقّـــقٌ فَمُثّـــلَ خَطَـــاً لا يُمَاثِلُـــهُ خَـــطّ
وَخَـــرّجَ فِـــي الخَـــدِّ العِـــذار حَواشِـــياً عَلَى صَـــفَحَاتٍ مِنْـــهُ بِالمِسْـــكِ تُخْـــتَطُّ
فَأشْـــكَلَ لمّـــا بَـــانَ فِـــي الخَـــدِّ شَـــكْلُهُ فَيَـــا عَجَبَـــاً مِنْـــهُ وَخَيْلانُـــهُ نَقْـــطُ
فَيَا لَيْتَ حَظّي مِنْـــهُ(...)[3]أوْ الرِضَـــى فَقَدْ طَالَ فِيمَا بَيْنَنَا الشَّـــحْطُ[4] والسِـــخْطُ
ت(...)[5] قَلْبِي فِـــي الخُفُـــوقِ وَقِرطِـــهِ مُعَلَّـــقٌ مِنـــهُ مِثْـــلَ مَـــا عُلِـــقَ القِـــرْطُ
شَـــغَلوا بِـــهِ عَنّـــي فَعَـــزَّ مَـــزارُهُ وَأغْلوا عَلَيَّ السَّوْمَ فِي الوَصْلِ وَاشْـــتَطوا
وَمَـــا كُنْـــتُ أدرِي أنَّ غِـــزلانَ حَـــاجِرٍ عَلَى كُلِّ لَيْثٍ مِنْ ليُوثِ الورَى تَسْـــطو [6]

قافية العين

(38) قال يمدح ابن العزيز، من {الكامل}:

فـــإذَا هَـــوَى بـــكَ مَنْـــزِلٌ مُسْـــتَوبِلٌ رَفَعَتْـــكَ هَـــوْجُ الـــيَعْمُلاتِ الوضّـــعِ
كَلَّفْتُهُـــا مَسْـــحَ الفَيـــافِي قِسْـــمَةً فَلِـــذاكَ تَضْـــرِبُ أذْرُعـــاً فِـــي أذْرُعِ

([1]) الإربلي :التذكرة الفخرية ، ص 243.

([2]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص 220.

([3]) **هكذا ورد في الأصل بياض.**

([4]) الشحط: خشبة أو عود توضع على جنب الأغصان الرِّطاب المتفرقة القصار، التي تخرج من الساق حتى ترتفع عليه. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 7/ 490، مادة(شَحَطَ).

([5]) **هكذا ورد في الأصل بياض.**

([6]) هكذا ورد في الأصل. انظر الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حوادث (671–680هـ) ص 378.

عِدْهَا الحِمَــى إنْ أرْزَمَــتْ وَإذا وَنَــتْ فَإلى جِنابِ ابنِ العزيــزِ المُمــرعِ[1]
وَانْظُــــرْ أســــاريراً تَلُــــوحُ فَإنَّهــــا فِي كَفِّــهِ طُــرُقُ النَّــدى المُتَنــوِّعِ[2]

قافية الفاء

[39] وقوله يمدح شرف الدين من {البسيط}:

يا سيِّدي شــرفَ الــدينِ الجَــوادَ أتَــتْ إليــكَ أبْكَــارُ أفْكَــارِي ولَــمْ تَقِــفِ
فَهَــاكَ ألفاظَهَــا إنْ لَــمْ تَكُــنْ دُرَراً فإنّها أنْجُمٌ سَــارَتْ إلِــى الشّــرَفِ[3]

[40] وقوله يصف دوحة جميلة من{ مجزوء البسيط}:

وَدَوحُهَــا مِــنْ نَــداهُ فِــي وُشَــحٍ[4] وَمِنْ لآلــي الأزهَــارِ فِــي شُــنُفِ[5]
وَالغُصْــنُ مِــنْ فَوقِــهِ حَمامَتُــهُ كَأنّهــا هَمْــزَةٌ عَلَــى أَلِــفِ [6]

[41] وله من { الكامل}:

وَارْحَــمْ مُعَنًّــى فِــي هَــواكَ مَعَنّفــاً قَــدْ شَــفَّهُ أَلَــمُ القَطيعَــةِ أوْشَــفَا [7]

[42] بديع في بابه وهو كقول الذهبي من {المتقارب}:

يَطيــــرُ فُــــؤادِي لألحَاظِــــهِ غَرَامَــاً وَشَــوقاً وَفيهَــا التَّلَــفْ
فَيَــا مَــنْ رَأى قَبْلَهَــا أسْــهُماً يَطيــرُ اشْــتِيَاقاً إليهَــا الهَــدفْ[8]

([1]) المُمَرَع: مرعاً: أخصب بكثرة الكلأ، فهو مُرع، ومُرع مراعة: تنّعمَ. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 864، مادة (مَرَع).

([2]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 172.

([3]) المصدر نفسه:ص 16/ 182.

([4]) وشح: تداخل وتشابك والتفَّ. انظر أنيس وآخرين: **المعجم الوسيط**، 2/ 1033، مادة" وشح".

([5]) الشَّنف: الذي يلبس في أعلى الأذن، بفتح الشين ولا تقل شنف: الذي في أسفلها القُرط. انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 7/ 228، مادة (شَنَف).

([6]) الصفدي: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، ص 415.

([7]) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت1069هـ): **ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1967م، ص121. السيوطي: **جنى الجناس**، ص 256.

([8]) الخفاجي: ريحانة اللباب وزهرة الحياة الدنيا، ص 121.

قافية القاف

(43) وقوله يصف حبِّه للحمام من {الخفيف}:

لا تَقيسُـــوا إلـــى الحَمَامَـــةِ حُزْنـــي أنَـــا فَضْـــلي تَـــدرِي بِـــهِ العُشَّـــاقُ
أنَـــا أُمْلـــي الغَـــرَامَ عَـــنْ ظَهْـــرِ قَلْـــبٍ وَهْـــي تُمْلـــي وَحولَهَـــا الأوراقُ[1]

(44) ومن عقود ابن لؤلؤ في وصف زهر الياسمين قبل تفتحه من { الطويل}:

خَليلَـــيَّ هَيـــا يَنْقَضِـــي عَنْكُمـــا الهَـــوى وَقُوْمَا إلـــى رَوضٍ وَكَـــأسِ رَحِيـــقِ
فَقَـــدْ لاحَ زَهْـــرُ اليَاسَـــمينِ مُنـــوِّراً كَـــأقْرَاطِ دُرٍّ قُمِعَـــتْ بِعقيـــقِ [2]

(45) وقوله من{ المتقارب} في غلام غرق:

أَسَـــلْتَ الـــدُّموعَ إلـــى أنْ جَـــرَتْ وَوَاراكَ تَيَّارُهَـــــا المُغْـــــدِقُ
وَأيُّ غَـــــزَالٍ هَضِـــــيمِ الحَشَـــــا يحِـــــلُّ العُيـــــونَ وَلا يَغْـــــرَقُ [3]

(46) وقال موضحاً علاقته بمحبوبه من {الكامل}:

لَـــمْ أنْسَـــهُ إذْ قَـــالَ أيْـــنَ تُحلُّنـــي حَذْراً عَلَـــيَّ مِـــنْ الخَيَـــالِ الطَّـــارِقِ
فَأجْبْتُـــــهُ: قَلْبـــــي، فَقَـــــالَ تعَجُّبَـــــاً أسَمعْتَ قَطُّ بسَـــاكنٍ فِـــي خَـــافِقِ [4]

(47) ذكرتُ هنا ما قلته في ورَّاق من {السريع}:

يَـــــا حُسْـــــنَ وَرّاقٍ أرَى خَـــــدَّهُ قَـــدْ رَاقَ فِـــي التَّقبيـــلِ عنْـــدي وَرَقْ
تَمِـــيسُ فِـــي الـــدُّكَّانِ أعْطافُـــهُ مَا أحْسنَ الأغْصانُ بَـــيْنَ الـــوَرَقْ[5]

(48) قال البدر الذهبي، من {الكامل}:

قَلْـــبٌ بِعـــينٍ قَـــدْ أُصـــيبَ وَعَـــارِضٌ فَأعـــدَّهُ لِـــي بِالـــدَّمْعِ لَـــيْسَ بِـــرَاقِ

([1]) الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**، 5/ 139.
([2]) ابن كنّان: **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، 2 / 191.
([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 172.
([4]) المصدر نفسه: ص16/ 174.
([5]) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 29 / 126.

أُلْقِي الـدُّموعَ علَـى الـدُّموعِ ولَيتَنـي أَدْرِي بِمَـا أُلْقِـي بِهـا وألاقـي[1]

قافية اللام

[49] وقال واصفاً رحيل أحبته، من {الكامل}:

مَـا أهْمَلَـتْ سُـحُبُ الـدُّموعِ الهُمَّـلِ لَكِ مَنْـزِلاً بَـيْنَ الـدُّخولِ فَحَومَـلِ
رَحَلُـوا بِقَلْـبِ المُسـتَهَامِ وَغَـادَروا بَيْنَ الضُّـلوعِ لَواعِجَـاً لَـمْ تَرْحَـلِ

وَمِنْهَا:

فَاعْـذرِ دُمـوعَ العَـينِ فَهـيَ بَكِيَـةٌ ممَّـا بَكَـتْ بَـيْنَ الرُسـومِ المُثِّـلِ
وَتَقسّـمَتْ عَبْرَاتُهَـا فَرْقَـاً علَـى نَـأْيِ الحَبيـبِ وَنَـوءِ ذَاكَ المَنْـزِلِ
وَمُهَفْهَـفٌ يُسْـبيكَ مِـنْ أصْـدَاغِهِ بِمُسلْسَلٍ وَمِـنَ الرُّضَـابِ بِسَلسَـلِ[2]

[50] قال: وهي مليحة في غاية ومدحني بها من {البسيط}:

لَـولا غَرَامُـكَ بِالأَلحَـاظِ وَالمُقَـلِ وَبِالقُـدودِ التِّـي تَسْـبيكَ بِالمِيَـلِ
مَا بِتّ تَرْعَى السُّهَى شَـوقاً إِلـى قَمَـرٍ بِالقلبِ لا الطّرفِ ثَـاوٍ غَيْـرَ مُنْتَقِـلِ
وَالعيسُ تَحْـتَ حُـدُوجِ الغِيـدِ غَادِيَـةٌ تَشْكُو الكَلالَ مِـنَ الأَحْـدَاجِ وَالكَلَـلِ
وَقَـدْ تَغَنّـى لَهَـا الحَـادي فَأَطْرَبَهَـا وَهناً عَلَى هَضَبَاتِ الرَّمْـلِ بِالرَّمْـلِ
يَحْمِلْنَ كُلَّ هَضِـيمِ الكَشْـحِ ذِي هَيَـفٍ وَكُلُّ أَحْـوى رَشِـيقِ القَـدِّ مُعْتَـدِلِ
فَعُدَّ يَا صَاحِ عَـنْ دَمْـعِ الكَئِيـبِ فَمَـا أَطَلَّهُ اليوم مَـا يَهْمِـي عَلَـى طَلَـلِ
وَاسْتَعطِفِ الريحَ مِنْ وَادِي الأَراكِ فَقَـدْ ضَنَّتْ عَلَى الصَبِّ بِالأَبْلالِ وَالبَلَـلِ[2]

[51] ومن شعره واصفاً أحد الغلمان من {البسيط}:

دَعِ الفَصَـادَ إذا مَـا كُنْـتَ مُشْـتَكِياً بِكُـلِّ أَحْـوَرَ فِـي أَعْطَافِـهِ مِيَـلُ
وَلا تُـرِقْ دَمَـكَ القَـانِي فَحَسْـبُكَ مَـا تُرِيقُـهُ بِظُبَاهَـا الأَعْـيُنُ النُّجُـلُ [3]

[52] وقال واصفاً الإبل من { الكامل }:

وَالعيسُ مِثْـلُ العَاشِـقينَ مَـعَ النّـوى حَمَلَتْ مِنْ الأَثْقَـالِ مَـا لَـمْ تَحْمِـلِ

([1]) الصفدي: **تشنيف السمع في انسكاب الدمع**، ص 160.

([2]) الإربلي: **التذكرة الفخرية**، ص (244 -245).

([3]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 171.

وَلكَـــمْ سَـــبَقَتُ حُـــداتَهُمْ بِمَـــدَامِعِي حَتّـــى جَعَلْـــتُ قِطَارَهَـــا بِـــالأوَّلِ [1]

[53] وقوله من الدوبيت:

العَاشِـــقُ فِـــي هَـــواكَ قَـــدْ كَلمّنـــي يَحْظَـــــــــــى بِجَميـــــــــــلْ
وَالبَاصِـــرَتَانِ منْـــكَ قَـــدْ كَلّمَنـــي مَـــــــنْ عَـــــــادَ قتيـــــــلْ
بِالوعْـــدِ بِقَتْلِـــي هَـــا قَـــدْ وَفَتَـــا فَالخَطْـــــــــبُ جَلِيـــــــــلْ
كَمْ(يصبرُ) فِـــي هَـــواكَ شَـــيخ وَفَتَـــى؟ وَالصـــــــــبرُ قَلِيـــــــــلْ[2]

قافية الميم

[54] ومن شعره يصف مجلس خمر من { البسيط }:

وَمَجْلِـــسٍ رَاقَ مِـــنْ وَاشٍ يُكَـــدِّرُهُ وَمِـــنْ رَقِيـــبٍ لَـــهُ بِـــاللَّومِ إلمَـــامُ
مَا فِيهِ سَاعٍ سِوى السَّـــاقي وَلَـــيسَ بِـــهِ بَيْنَ النَّدامَى سِوى الرَّيْحَانِ نَمَّـــامُ [3]

[55] وقوله وفيه زيادة على المتداول من {الطويل}:

جَنِبْنَـــا إلـــى العِـــيسِ الجِيَـــادِ جَوامِحـــاً سَوامِي الهَـــوادِي أنْ تُنَـــالَ فَتُلْجَمَـــا
يُرِيـــكَ بُـــدُوراً وَطؤُهَـــا وَأهلَّـــةً وَآوِانةً مِنْ قَدْحِهَا الصَّـــخْرُ ألجَمَـــا [4]

[56] قال يصف نسمة الريح من {السريع }:

وَنَسْـــمَةُ الـــرِيحِ عَلَـــى ضَـــعْفِهَا لَهَـــا بِنَـــا مَـــرٌّ وَإلمَـــامُ
وَبُلْبُـــلُ الـــدّوحِ فَصِـــيحٌ عَلَـــى الـــ أيْكَـــةِ وَالشَـــحرورُ تَمْتَـــامُ [5]

[57] وقوله واصفاً محبوبه من { الكامل}:

وَمَهَفْهَـــفٍ لَـــولا العُيُـــونُ لأفْهَمَـــتْ منْهُ الجَفَا مِـــنْ قَبْـــلِ كَشْـــفِ لِثَامِـــهِ
وَيَكَـــادُ يَظْهَـــرُ فِـــي صَـــحْيفَةِ خَـــدِّهِ مَـــا أوْقَـــعَ الإيهَـــامَ فِـــي أوهَامِـــهِ[6]

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ص 171/16.

([2]) الشيبي، كامل مصطفى: **ديوان الدوبيت في الشعر العربي**، ط1،، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص(573).

([3]) الحموي: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 2/ 106. الصفدي: **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ص76.

([4]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 174/16.

([5]) محفوظ: ***شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي***،ع11 ص 220.

([6]) المحبي: **ذيل نفحة الريحانة**، ص 224.

(58) قال يصف حمام الأيك من{ الرمل }:

وَحَمَـــامُ الأيـــكِ فِـــي الأشْـــجَارِ قَـــدْ بَثَّـــتِ الأشْـــجَانَ فِيهَـــا وَالغَرَامَـــا
وَالصَّـــبَا مُعتلَّـــةٌ مِـــنْ طُـــولِ مَـــا حُمِّلَتْ مِـــنْ كُـــلِّ مُشْـــتَاقٍ سَـــلامَا[1]

(59) وقال واصفاً محبوبه من { الطويل}:

وَأهْيَفَ طَرفِـــي منْـــهُ فِـــي جَنَّـــةٍ غَـــدَا وَقَلبيَ مِـــنْ أعْرَاضِـــهَا فِـــي جَهَنَّمَـــا
أغَنَّ يُريـــكَ الغُصْـــنَ مِـــنْ لِـــينِ قَـــدِّهِ قَويمـــاً وَيُبْـــدي زَهْـــرُهُ أنْ تَبَسَّـــمَا[2]

قافية النون

(60) ومن قوله في عامل كان بالجامع المعمور، سعى في تأخير رواتب النّاس من {الكامل}:

أضْـــحَى بِـــديوانِ المَصَـــالِحِ عَامِـــلٌ مَـــا سَـــرَّني أنْ لَـــيْسَ فيـــهِ ســـنانُ
بَطُلَـــتْ رَواتِبُنَـــا عَليـــهِ وَإنَّمـــا قَـــدْ قَـــامَ فِـــي بُطَلانِهَـــا البُرهَـــانُ[3]

(61) ومن {الكامل} قوله يصف وادي النيربين:

عَـــرِّجْ بِـــوادي النَّيْـــرَبَيْنِ بِنَـــا وَقِـــفْ فِيـــهِ بِحَيَـــثُ تَلاقَـــتْ الغِـــزْلانُ
وَانْظُـــرْ إلـــى جَنَّاتِـــهِ العُلْيَـــا التِّـــي شَبَّ القَضيبُ بِهـــا وَشَـــابَ البَـــانُ[4]

(62) ومن {الطويل } قوله يصف أحد الغلمان:

يُكَلِّفُنِـــي العُـــذّالُ صَـــبْراً وَقَـــدْ قَضَـــى لِي اللهُ عَنْـــهُ الصـــبْرُ لَـــيْسَ يَكُـــونُ
وَمَا كَـــانَ إلا الـــرّوضَ نَشْـــراً وَبَهْجَـــةً فَلا غروَ أنْ تَجْرِي عَلَيـــهِ عُيـــونُ[5]

([1]) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 16/ 179.
([2]) المصدر نفسه: ص 16/ 180.
([3]) المصدر نفسه:ص 16/ 182.
([4]) المصدر نفسه: ص16/ 182.
([5]) المصدر نفسه : ص16/ 175.

قافية الهاء

(63) وقوله من { الكامل }:

وَسَـــرَيْتُمُ طَـــوعَ النّـــوى ورَجَعْـــتُمُ وَكَذَا الكَواكِـبُ سَـيْرُهَا وَرُجوعُهَـا
مَـــا كُنْـــتُ أعْلَـــمُ أنّ دَائِـــرَةَ النّـــوى فِـــيكُمْ وَفِـــي أكْبَادِهَـــا تَقْطيعُهَـــا [1]

(64) وقال واصفاً أحد الأنهار من { الكامل}:

فَتَـــراهُ يَجْـــري لاثِمَـــا أقْـــدَامَهَا وخريـــرُهُ شَـــكْوى الَّـــذي يَلقـــاهُ [2]

(65) قال الأديب الذهبي في مليح طبَّاخ ناسجاً على منوال ابن مقاتـل[3] مـن الزجـل {البحـر الخفيف}:

نَهْـــوَ طبَّـــاخْ فـــي مَطْـــبَخْ أفكـــاري خلّـــــي نـــــاري تقيـــــدْ
يـــا رَبْ عيـــذو بســـورةِ الـــدُّخانْ يـــا حميـــدْ يـــا مجيـــدْ
فـــي كـــوانينْ حَشـــاي أطلـــقْ نـــارْ تَزيـــدْ حَســـرتي
ولقَتْلـــي نصـــبْ نصـــبهْ غِبْـــتْ عَـــنْ حَضـــرتي
وَعَلـــى حَـــرْ جمـــرْ هِجرانـــو قـــدْ طـــبَخْ قِـــدرتي

يقول:

وفـــي دســـتْ الهـــوانْ علـــى قلبـــي غليـــــانو شَـــــديدْ
وعلـــى الـــريمْ صَّـــبحْ دمّـــي فـــايرْ بَعـــدْ نقصـــو يزيـــدْ
وَسَـــنّْ ســـكّينْ جفـــاهْ وفـــي قلبـــي صـــارْ يقطـــعْ قِطَـــعْ
وَرَمـــاهْ فـــي قـــدورْ هـــواهْ حتّـــى مِـــنْ عِظـــامي انتـــزعْ
واشـــعلْ النَّـــارْ علـــيَّ وأهرانـــي ضـــرّني مـــا انتفـــعْ

([1]) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 16/ 180.

([2]) محفوظ: **شعر بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي**، 11/ 235.

([3]) ابن مقاتل: هو علاء الدين بن علي التاجر الحموي، صاحب الأزجال المشهورة له المعاني الجيدة، ولكنه عامي النظم قليلاً، ولد في سنة أربع وستين وست مائة للهجرة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 16 /218.

يقول:

وَاستوى لي مَعُو خبرْ يُشرحْ إلى يومْ الوعيدْ
عِنْدَما باعَني بسعرْ الدونْ للقريبْ والبعيدْ
لو طَعامْ خاصْ يحّيرْ الأذهانْ كُلّ أحدْ فيه يَحيرْ
أيُّ طعامْ مفتخرْ أبانْ، يروا ما لَها مِنْ نظيرْ
كلْ مَنْ كَانْ سعيدْ أكَلْ منّو وأنا مِسكينْ فقيرْ [1]
بينْ الأخوانْ إذا اشتهيتْ أقنعْ بِالمَرَقْ والثَريدْ
وَخِلافي شِبعْ مِنْ اللَّبهْ وأنا لَحمى قَديدْ

وقال أيضاً

حَبْ رمانْ نهودْ وما أحلاهْ ليسَ يعوزُ تْحلّيهْ
وأنامِلْ مَعْو حَكَتْ فضةْ بيضْ بحال أطرّيهْ
وعيونْ نرجسيّهْ قَدْ حَكَتْ مُهجتي تقلّيهْ [2]
وحواجبْ مْعرَّفهْ تسبي للفقيهْ والبلدْ
وفي دُكانْ مَحاسنو يظهرْ كُلْ يومْ جديدْ

ومن قوله

قالَ لي: فَتّتْ على الدُّخانْ وأنتَ ما فيكْ رمقْ
اقطعْ اللحمْ واتركْ اللّيهْ واقتنعْ بالمَرَقْ
كَمْ بِحالَكْ رأيتْ، وخيرْ منكْ في الخلايقْ حَرَقْ

قال وهو في السوق

وسامعْ تُجّارْ وناسْ أجيادْ عندي مثلْ العيدْ
لي بالأسواقْ وقوفْ بحال غلمانْ وأنا سيدْ كُلْ سِيْدْ
قلتْ لُو: قُلْ ذا الكلامْ بالله بسْ تكثرْ حباشْ

([1]) النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والأزجال**، ص 218.

([2]) المصدر نفسه: ص 219.

لا ترانـــــي علـــــى حراقـــــهْ[1] ذي ثيـــــــــابْ المعـــــــــاشْ
امـــشِ معـــي، لنـــا غِنَـــى نعطيـــكْ الـــــــــذَّهبْ والقمـــــــــاشْ
فنهـــــــارْ تجـــــــي ونتواكـــــــلْ ذاكَ نهـــــــــارْ ســـــــــعيدْ
ونمـــــدْ الســـــماطْ مَـــــعْ الأخـــــوانْ ويكـــــــونْ عنـــــــدي عيـــــــدْ

وقال متغزلاً:

جـــــا لـــــداري وكلّـــــه مْخفيّـــــهْ ظَهَـــــــرتْ فِـــــي المقـــــامْ
ومِـــــنْ أفخـــــرْ طَعـــــامو أطعمنـــــي وبَلَغـــــــــتْ المَـــــــــرامْ
وَعَلـــــى صَـــــحِنْ خَـــــدّو سَـــــقاني صِـــــــرْفْ كـــــاسِ المُـــــدامْ
كَلْـــــتْ حتّـــــى شـــــبعتْ وانتهيـــــتْ وأنـــــــا عَيشـــــــي رَغيْـــــــدْ
نحمـــــدْ الله لَقَـــــدْ بَلَـــــغْ قَلبـــــي كُـــــلْ مـــــا كـــــانْ يريـــــدْ

وقال يفضل مهنته [2]:

مـــا أنـــا طبَّـــاخْ ولا الطّعـــامْ فنّـــي إنمـــــــــا صَـــــــــنْعتي
ذَهَبـــــي، وكُـــــلْ حـــــدْ يشـــــهدْ لـــــــي بِعَـــــــلا رفعتـــــــي
والـــــذي جـــــا بقطعتـــــو ينقـــــاسْ فـــــي نظيـــــرْ قطعتـــــي[3]
مِثـــــلْ ماجـــــا يقـــــايسْ الفضّـــــهْ والـــــــــذَّهبْ بالحديـــــــــدْ
أو يشّـــــبه مصـــــرْ- بِـــــلا تَشـــــبيهْ لِـــــــــــبلادْ الصّـــــــــعيدْ

([1]) حراقة: أي لا تحرقني بهجرك.

([2]) النواجي: **عقود اللآل في الموشحات والأزجال**، ص(220).

([3]) يبدو انّه أراد بالقطعة: الزجل.

جدول المستدرك على الديوان

رقم المقطوعة	القافية	البحر	عدد الأبيات
(1)	الهمزة	الكامل	2
(2)	الألف اللينة	الوافر	2
(3)	الباء	الكامل	2
(4)	"	السريع	3
(5)	"	مجزوء الكامل	4
(6)	"	البسيط	6
(7)	الحاء	الوافر	1
(8)	"	السريع	3
(9)	"	الكامل	2
(10)	"	السريع	2
(11)	الدال	السريع	2
(12)	"	الطويل	2
(13)	"	الطويل	2
(14)	"	الطويل	2
(15)	الدال	البسيط	1
(16)	"	الرجز	2
(17)	"	الخفيف	2
(18)	الراء	الكامل	2
(19)	"	البسيط	2
(20)	"	الطويل	2
(21)	"	الكامل	2
(22)	"	الطويل	2
(23)	"	البسيط	2
(24)	"	البسيط	2
(25)	"	المجتث	2
(26)	"	الكامل	2

رقم المقطوعة	القافية	البحر	عدد الأبيات
(27)	"	البسيط	3
(28)	"	الكامل	2
(29)	"	الرجز	2
(30)	الراء	الكامل	2
(31)	الزاي	الطويل	3
(32)	"	الطويل	4
(33)	السين	الطويل	3
(34)	"	الرجز	9
(35)	"	مجزوء الكامل	1
(36)	الشين	الكامل	2
(37)	الطاء	الطويل	8
(38)	العين	الكامل	4
(39)	الفاء	البسيط	2
(40)	"	مجزوء البسيط	2
(41)	"	الكامل	1
(42)	"	المتقارب	2
(43)	القاف	الخفيف	2
(44)	"	الطويل	2
(45)	القاف	المتقارب	2
(46)	"	الكامل	2
(47)	"	السريع	2
(48)	"	الكامل	2
(49)	اللام	الكامل	5
(50)	"	البسيط	7
(51)	"	البسيط	2
(52)	"	الكامل	2
(53)	"	الدوبيت	4

رقم المقطوعة	القافية	البحر	عدد الأبيات
(54)	الميم	البسيط	2
(55)	"	الطويل	2
(56)	"	السريع	2
(57)	"	الكامل	2
(58)	"	الرمل	2
(59)	"	الطويل	2
(60)	النون	الكامل	2
(61)	"	الكامل	2
(62)	"	الطويل	2
(63)	الهاء	الكامل	2
(64)	"	الكامل	2
(65)	مقطوعة زجلية	الخفيف	

الخاتمة

بعد دراسة حياة بدر الدين الذهبي وشعره خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

– اعتمدت دراسة حياة بدر الدين لؤلؤ وأشعاره على الأخبار التي عثر عليها، وعلى ما ورد في شعره من معلومات مفيدة، وظهر أنه ولد في تل باشر شمالي حلب من مناطق الشام في العقد الأول من القرن السادس الهجري، ونشأ فيها، ثم رحل مع أسرته إلى دمشق، ومنها كان يقوم بجولاته إلى المناطق القريبة.

– اشتهر بدر الدين بلقبه ونسبه، أكثر من اسمه، وذكر لنا المؤرخون سبب لقبه الذي اشتهر به، ونسبه إلى مهنة صناعة الذَّهب.

– عاش الشاعر زمن حروب المغول، في فترة حكم الأيوبين والمماليك، وهذه الفترة جديرة بالاهتمام، إذ تعرض العالم الإسلامي لهجمة شرسة من قبل التتار[1]، وحمل خلالها الظاهر بيبرس لواء الجهاد ضدَّهم، وانتصر عليهم في معركة الفرات (671هـ)، وسجّل بدر الدين هذه المعركة وهذا الانتصار في أبياته الشعرية.

– كشف بدر الدين في أشعاره عن علاقاته مع العامة، ومعاصريه من الأدباء والشعراء، فقد ارتبط بعلاقة ودٍّ وصداقة مع عدد كبير من شخصيات عصره من الأحكام والأمراء.

– أشارت المصادر التي ترجمت له وأوردت أشعاره، إلى أنَّه شاعر مشهور، اهتم به نقاد عصره أمثال الإربلي، فقال:" شاعر بديع المقاصد لطيفها، له شعر كالروض تفتَّح زهرها وفاح رباها، وتضوَّع بطيب شذاها... كلَّما أنشدته وجدتَ مسرَّة... لا يكاد يعمل البيت الواحد إلا بعد الفكرة التامة والتروي البالغ..."[2]، إلى جانب اهتمام النقاد في العصر الحديث، قال عمر فروخ:"

([1]) انظر بيبرس المنصوري: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ص 48.

([2]) انظر الرسالة: ص 19.

كان ابن لؤلؤ أديباً ظريفاً وشاعراً كثير الصنعة، بارعاً في التوريات، التي تُعدُّ مفتاح العصر البديعي، وأكثر من شعر النسيب والوصف"[1].

– وفي الحديث عن موضوعات شعر بدر الدين، تبين أنه نظم في معظم الموضوعات الشعرية، فقد مدح رجالات عصره باختلاف وظائفهم ومراكزهم في المجتمع بقصائد شغلت حيزاً لا بأس به من ديوانه، وتغزل غزلاً رقيقاً بالمرأة وبالمذكر، وقد انبرى لأعدائه يهجوهم هجاء مقذعاً، ونظم في الرثاء، فبدا وفياً لأصدقائه إذ بكاهم وحزن على فقدهم، ونظم في الخمر، فوصف مجالسها، وتحدث عن ندمائه، ووصف أدواتها، وذكر تأثيرها في شاربيها، وفي شعره الإخواني صوّر علاقاته الاجتماعية، فعبّر عن عواطف الودِّ والصداقة التي تربطه بمن حوله، وشاركهم أفراحهم عندما توجه إليهم مهنئاً، وعاتبهم وشكا حاله واستعطفهم، وقال أبياتاً في الشيب والشباب.

– وسار بدر الدين على نهج الشعراء السابقين في الموضوعات التي نظم فيها، إلا أنَّه تميز بشخصية جعلته في عرضه لموضوعاته ورقته في أشعاره من أبرز شعراء عصره، وشارك في القول في الفنون الشعرية المستحدثة من زجل ودوبيت، وجاء شعره فيها معبراً عن روح العصر ولغته.

– وعند دراسة أشعاره دراسة نقدية توقفت عند البناء الفني لها، فظهر أنها لم تأت على هيئة واحدة،وبلغ عدد أبيات الشعر (707) بيتاً، توزعت إلى قصائد كاملة ومقطوعات ونتف الشعرية، وتميزت قصائده بعدم وجود مطولات شعرية، جاءت المقدمات في شعره قليلة، وبعض المقدمات عدَّت جزءاً لا يتجزأ من موضوع القصيدة، وقد نهج فيها نهجاً تقليدياً اتفق مع ما رآه النقاد، في حين تخلّص من المقدمات في بعضها الآخر، فبدأت بمطالع في مختلف الأغراض الشعرية، وجاءت مطالعه متفقة مع شروط النقاد العرب القدامى.

([1]) انظر الرسالة: ص 22.

– أما لغة الشاعر، فقد جنح فيها نحو البساطة والسهولة،وتميزت بالملاءمة بين الألفاظ والمعاني، وتأثر بامتزاج الحضاري في عصره، فبدت في شعره ألفاظ غير عربية من فارسية وتركية.

_ واستخدم بدر الدين في أشعاره أساليب عدة، كالتكرار والتناص، لخدمة أغراضه الشعرية،وإكساب شعره الوضوح والقوة، أما ظاهرة التناص في شعره، فظهر تأثره بالقرآن الكريم في اقتباسه من الآيات القرآنية الكريمة، وفي توظيفه لقصص الأنبياء في القرآن الكريم،وظهر ذلك في غرض الوصف، وتأثر بالشعراء السابقين كالمتنبي، وأمري القيس، ومتمم بن نويرة، وتأثر بمعاصريه من الشعراء أمثال ابن مقاتل وغيرهم.

– احتفل بدر الدين بموسيقى شعره، ووفّر لها كل متطلباتها، ووفق إلى حدٍّ ما في الربط بين عاطفته والوزن الشعري الذي اختاره، وتبين أنه اعتمد على الأوزان القديمة، ولم يجر فيها أي تغيير، ويظهر استعماله للبحور الصافية أكثر من البحور الممتزجة، وقد مال إلى البحور المجزوءة، واهتم الشاعر بالقافية في أشعاره،واستخدم حروف الروي التي شاع استخدامها في الشعر العربي،مثل الراء، والدال، والميم، والعين، وبالإضافة إلى أنَّه تجنّب أن ينظم على روي عدد من الحروف التي يستثقل أن ترد قافية للشعر من الناحية الصوتية، مثل: الثاء، و الذال، والغين، والتاء، والظاء.

– وقد اهتم البدر بصناعة أشعاره، فقدم فيه صوراً فنية غنية بالجمال، مستمدة من الطبيعة الصامتة والمتحركة،واستمد صوراً أخرى من البيئة الحربية،والحياة الاجتماعية، ومظاهر الحضارة، واختار لصوره الفنية ألواناً من التشبيهات والاستعارات والكنايات،وتميزت صور الفنية بعدة مميزات، منها: غزارة الصور الشعرية، وتركيزه على عنصري اللون والحركة في تشكيلها،وأضفى عليها عنصر الفكاهة والسخرية، وتميزت بالواقعية، كحديثه عن فقره، وحال بعض الناس في عصره، وسوء مسلكهم.

– تأثر بروح العصر الذي عاش فيه، فوظَّف ألوان البد يع في شعره، وبخاصة التورية التي اشتهر بإجادته فيها، هذا عدا استخدامه الجناس والطباق وغيرها من المحسنات، ولم تأت هذه الفنون متكلفة مؤثرة في معاني الشاعر، بل جاءت في خدمتها تزييناً لنصه الشعري.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح: **المستطرف من كل فن مستظرف**، ضبطه وعلّق عليه وقدم له محمد رضوان مهنا،ط2، المنصورة، دار الإيمان، 2006م.

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، 1386ه/ 1966م.

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن محمد بن عبد الكريم:

* **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 1411ه/1990م

* **الوشي المرقوم في حل المنظوم**، القاهرة، مطبعة ثمرات الفنون، 1298هـ.

ابن أبي الإصبع، أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله المصري: **تحرير والتحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1383هـ/ 1963م.

الإربلي، بهاء الدين المنشئ: **التذكرة الفخرية**، تحقيق نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1404هـ/ 1984م.

الأزهري، محمد بن عبد الله: **مستوفى الدواوين**، تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، ج1+ج2، مطبعة دار الكتب والوثائق بالقاهرة، 2004م.

الأندلسي، ابن سعيد: **المقتطف من أزاهر الطرف**، تحقيق ودراسة سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.

البخاري، أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت256هـ): **صحيح البخاري**، حققه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج3، ط1، دار الفكر، بيروت، 1991م.

البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمد المصري: **نزهة الأنام في محاسن الشام**، المطبعة السلفية بمصر، 1341هـ.

بيبرس المنصوري، الأمير ركن الدين الدوادار: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالد س، ريتشاردز، بيروت، دار الكتاب العربي، 1419هـ/ 1998م.

الترمانيني، عبد السلام: **أحداث التاريخ بترتيب السنين**، 2مج، ط1، سوريا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف:

* **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ج3،ج4، حققه ووضع حوشيه نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.

* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل النيسابوري: **يتيمة الدهر**، حققه وفصله محيي الدين عبد الحميد، ج2، مطبعة السعادة بمصر، 1377هـ.

الجاحظ، أبو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري: **البيان والتبيين**، شرح حسن السندوني، ط3، القاهرة، 1947م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بغداد، مكتبة المثنى، 1941م.

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت749هـ):

* **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق كوكب دياب، ط1، بيروت، دار صادر، 1421هـ/ 2001م.

* **خزانة الأدب وغاية الأرب**، شرح عصام شعيتو، ج2، ط2،بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1991م.

* **كشف اللثام عن التورية والاستخدام**، بيروت، المطبعة الألنسية، 1312هـ.

الحليّ، صفي الدين: **العاطل الحالي والمرخص الغالي**: تحقيق حسين نصّار، الهيئة المصرية للكتاب، 1981م.

الحنبلي: أحمد بن إبراهيم (876هـ): **شفاء القلوب في أخبار بني أيوب**، تحقيق وتعليف مديحة شرقاوي، مصر – بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 1996م.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر: **ريحانة اللباب وزهرة الحياة الدنيا**، ج1، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1967م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: **جمهرة اللغة**، ج1، بيروت، دار صادر، 1992م.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي: **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ج1، ط1، عالم الكتب، 1985م.

الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الشافعي: **حياة الحيوان الكبرى**، ج1،ج2، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ.

الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك: **كنز الدرر وجامع الغرر**،ج7، (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1391هـ/ 1971م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت748هـ):

* **تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1419هـ/ 1999م.

* **العبر في خبر من عبر**، حققه وضبطه أبو مهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية.

* **دول الإسلام في التاريخ**، ج2، ط2، دار المعارف العثمانية، 1365هـ.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت، دار الجيل، 1972م.

الزمخشري، جاد الله: **أساس البلاغة**، دار ومطابع الشعب، 1960م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان:

* **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، وضع حواشيه خليل منصور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م.

* **جنى الجناس**، تحقيق ودراسة وشرح محمد علي رزق الخفاجي.

ابن الشحنة، أبو الفضل محمد: **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، طبعه وعلّق حواشيه يوسف بن ليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1909م.

ابن شداد، عز الدين بن علي بن إبراهيم: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق يحيى زكريا عبارة، دمشق، وزارة الثقافة، 1991م.

ابن شداد، عنترة بن معوية بن قرد: **ديوان عنترة بن شداد**، تحقيق فوزي عطوي، 2003م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ):

* **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق علي أبو زيد وآخرون،ج5، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1980م.

* **تشنيف السمع في انسكاب الدمع**، تحقيق محمد عيّاش، ط1، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، 2004م.

* **صرف العين**، دراسة وتحقيق محمد عبد المجيد لاشين، ج2، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربي، 2005م.

* **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، ج1،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1975م.

* **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**، حققه وعلق عليه هلال ناجي واحمد الحسين، ط1، بريطانيا، مجلة الحكمة، 1999م.

* **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، تحقيق محمد عيّاش، دمشق، دار الأوائل، 2003م.

* **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار التراث العربي 1420هـ/ 2001م.

الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ج1، ط114، القاهرة، مكتبة الآداب، 1997م.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد: **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1956م.

البرقوقي ، عبد الرحمن : شرح ديوانه المتنبي ، مطبعة السعادة ، ج3، بدون تاريخ .

العباسي، عبد الرحيم بن أحمد: **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1974م.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت328هـ): **العقد الفريد**، ج2، القاهرة، المطبعة الأزهرية، 1903م.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله(ت660هـ): **زبدة حلب من تاريخ حلب**، وضع حواشيه خليل منصور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:

* **الصناعتين**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1371هـ/1952م.

* **ديوان المعاني**، شرحه وضبط نصه أحمد حسن بسيح، ج1، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.

العلوي، المؤيد بالله يحيى بن حمزة: **الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز**، تحقيق ابن عيسى باطاهر، ج2، ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 1412هـ/ 1991م.

العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت749هـ): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد إبراهيم حور، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1424هـ/ 2003م.

الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي: **مطالع البدور في منازل السرور** ج1، بورسعيد، مكتبة الثقافة، 2000م.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشُّويمي، بيروت، مؤسسة أ. بدران، 1382هـ/ 1963م.

ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم (ت276هـ): **الشعر والشعراء**: ج1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1966م.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن جعفر البغدادي: **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، ط3،، بيروت، دار الكتب العلمية، ب.ت.

القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، حققه علي محمد البجاوي، القاهرة، دار النهضة، بدون تاريخ.

القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن: **الإيضاح في علوم البلاغة**، بيروت، دار الكتاب اللبناني،

القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج11، ج9،ج2، القاهرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1963م.

القيرواني، أبو إسحاق بن علي الحصري: **زهرة الآداب وثمرة الألباب**، مفصل ومضبوط زكي مبارك، ج4، ط4، دار الجيل، بدون تاريخ.

الكتبي، فخر الدين محمد بن أحمد بن شاكر(ت764هـ):

* **عيون التواريخ**، تحقيق فيصل السامر ونبيلة داود، ج21، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984م.

* **فوات الوفيات**، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود،ج4، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ/ 2000م.

الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الأشبيلي الأندلسي: **أحكام الصنعة الكلام**، تحقيق محمد رضوان الداية،بيروت، دار التنوير، 1983م.

ابن كنّان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي: **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، ق2، تحقيق حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن الحسن (ت421هـ): **مقدمة ديوان الحماسة**، ج1، ط1، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م.

المقدسي، عبد العزيز بن عبد السلام: **كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار**، تحقيق وتقديم حسن عاصي، ط1، بيروت، دار المواسم، 1995م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج1+ج2، ق3، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.

ابن معصوم، علي صدر الدين المدني: **أنوار الربيع في أنواع البديع**، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، ج4، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، 1969م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار صادر

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ط2، بيروت، دار الجيل، 1987م.

النابلسي، عبد الغني: **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار**، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1984م.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م.

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي: **الدارس في تاريخ المـــدارس**، ج1،ط1،بيـــروت، دار الكتاب الجديد، 1981م.

النواجي، شمس الدين محمد بن حسن(859هـــ):

* **صحائف الحسنات في وصف الخال**، تحقيق حسن محمد عبد الهادي، ط1، عمّـــان، دار الينابيع، 2000م.

* **عقد اللآل في الموشحات والأزجال**، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، دار الرشيد للنشـــر، 1982م.

* **مراتع الغزلان في وصف الحسان**، نسخ صلاح الدين محمد خليل محمد بن إبـــراهيم، مخطوط مكتبة الأسكورال / اسبانيا، رقم 0339، الجامعة الأردنية.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنـــون الأدب**، ج11، القـــاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1935م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر: **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيـــق عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 2004م.

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي المصري: **جواهر السلوك في أخبـــار الخلفـــاء والملوك**، مصورة كمبردج، رقم (74)، يوجد نســـخة مصـــورة فـــي مركـــز الوثـــائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمّان، شريط رقم (1127).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت1228هـــ)

* **معجم البلدان**، تحقيق عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب والعلمية، ب، ت.

* **معجم البلدان**، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997م.

اليونيني، قطب الدين موسى بن أحمد: **ذيل مرآة الزمان**،4مج، ط1، حيدر أباد الركن – الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1961م.

ثانياً: المراجع

أبو قحافة، أحمد: **فن المديح وتطوره في الشعر العربي**، ط1، بيروت، منشورات الشرق الجديدة، 1962م.

أمين، بكري شيخ:**مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979م.

أنيس، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط3، القاهرة، ب. ت، 1960م.

بسيوني، أحمد منصور: **الخصومة بين القديم والجديد في النقد العربي القديم**، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1981م.

باشا، خير الدين الشمسي: **ديوان الرياض والأزهار والأثمار**، ج2، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1999م.

باشا، عمر موسى: **الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك**، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1409هـ/ 1989م.

باطاهر، بن عيسى: **البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات**، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م.

البحراني، يوسف: **الكشكول**،: 1مج، بيروت، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

بدوي، أحمد أحمد:

* **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ط2، القاهرة، دار نهضة مصر، 1979م.

* **أسس النقد الأدبي عند العرب**، القاهرة، دار نهضة مصر، 1994م.

بكّار، يوسف: **بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحـــديث**، ط2، بيروت، دار الأندلس، 1403هـــ/ 1983م.

البيومي، يوسف: **محاضرات في البيان العربي**، ط1، القاهرة، دار السعادة، 1965م.

التونجي، محمد: **التيارات الأدبية إبان الزحف المغولي**، ط1، دمشق، دار طـــلاس للدراســـات والترجمة والنشر، 1987م.

الجندي، علي: **الشذا المؤنس في الورد والنرجس**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1961م.

جيدة، عبد الحميد: **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983م.

حاوي، إيليا: **فن الوصف وتطوره في الشعر العربـــي**، ط3، بيـــروت، دار الكتـــاب اللبنـــاني، 1980م.

حسب الله، بهاء: **شعر الطبيعة في الأدبين الفاطمي والأيوبي**، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006م.

الحصني، محمد أديب أل تقي الدين: **منتخبات التواريخ لدمشق**، تقديم كمال سليمان الصـــليبي، ط1، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1399هـــ/ 1979م.

الحلبي، ابن حبيب: **نسيم الصَّبا**، تحقيق حسن العاصي، ط1، بيروت، دار المراسم، 1996م.

الحوت، محمود رزق سليم: **عصر سلاطين المماليك وإنتاجه العلمي والأدبـــي**، ج5+8، وزارة الثقافة، 1962م.

أبو الخير، محمود عبد الله: **الشعر الشامي في مواجهة الحروب الصليبية**، ج2، ط1، عمّـــان، دار الإسراء، 2003م.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/ 1996م.

خليل، ياسين يوسف عياش: **الشعر في بلاد الشام والجزيرة**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م.

دي لوسيل، لويس: **الصورة الشعرية**، ترجمة نصيف الجنابي، بغداد، دار الرشيد، 1982م.

الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**: ج3، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1974م.

الرقب، شفيق محمد: **دراسات اجتماعية في الأدب الأيوبي والمملوكي**، ط1، عمّان، دار يافا العلمية، 2009م.

زايد، فهد خليل: **البلاغة بين البيان والتشبيه**، ط1، عمّان، دار يافا العلمية، 2007م.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط12، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م.

زغلول، محمد: **الأدب في العصر المملوكي**، القاهرة، دار المعارف، 1983.

سالم، عبد الرشيد عبد العزيز: **شعر الرثاء العربي**، ط1، الكويت، وكالة المطبوعات، 1982م.

سلطاني، محمد علي: **البلاغة العربية في فنونها البديع والبيان**، ط1، دمشق، دار علماء، 2006م.

سليمان، ختام سعيد: **اتجاهات الشعر بين الإسلام والجاهلية**، رام الله، د. ت، 2009م.

الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**، ط1، مكتبة نهضة مصر، 1973م.

شكر، شاكر هادي: **الحيوان في الأدب العربي**، ط1، بيروت، مكتبة النهضة العربية، 1985م.

الشيخ، أحمد محمد: **كتاب الألغاز والأحاجي العربية**، ط1، طرابلس، الدار الجماهيرية، 1985م.

الطبل، حسن: **المعنى الشعري في التراث العربي**، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993م.

عبد الرحيم، رائد مصطفى حسن: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ط1، عمّان، دار الرازي، 1424هـ/ 2003م.

عبد المهدي، عبد الجليل حسن:

* **الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري**، ط1، عمّان، مكتبة الأقصى، 1397ه/ 1977م.

* **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، ط2، عمّان، دار البشير، 1995م.

عتيق، عبد العزيز: **علم العروض والقافية**، بيروت، ط دار النهضة العربية، د.ط، 1974م.

عثمان، عبد الفتاح: **نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم**، القاهرة، مكتبة الشايب، بدون تاريخ.

عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت، دار التنوير، 1983م.

عطّار، أحمد عبد الغفور: **مقدمة الصحاح**، ط1، القاهرة، دار العلم للملايين، 1956م.

عكاوي، إنعام فوال: **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، مراجعة أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م.

فخر الدين، جودت: **شكل القصيدة العربية في النقد الأدبي**، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1984م.

فروخ، عمر: **تاريخ الأدب الإسلامي**،ج3، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م.

الفقي،محمد كامل: **الأدب في العصر المملوكي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

قلقيله، عبده عبد العزيز: **النقد الأدبي في العصر المملـــوكي**، ط1، القـــاهرة، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية، 1972م.

كحالة، عمر: **معجم المؤلفين**، إعتناء وجمع وإخراج مكتب تحيقي التراث في مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـــ/ 1993م.

الكوفي، محمد سبل: **مبادئ النقد الأدبي**، تقديم محمد عناني، القاهرة، الهيئة المصـــرية العامـــة للكتاب، 2007م.

محمد، سراج الدين: **المديح في الشعر العربي**، ط1، بيروت، دار الراتب الجامعية، ب.ت.

محمد، محمود سالم: **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، ط1، بيـــروت، دار الكتـــاب المعاصر، 1996م.

المصري، محمد: **الديوان الدمشقي** (شعر نظم في دمشق قديماً وحديثاً)، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصرة، 1991م.

مصطفى، محمد السيد حسن وآخرون: **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، 1981م.

مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري**، (إستراتيجية التنـــاص)، ط1، بيـــروت، دار التنـــوير، 1985م.

موسى، أحمد إبراهيم: **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1969م.

الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العـــرب**، ج1، ط30، بيـــروت، دار الكتـــب العلمية

الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**، ط1، بيروت، مؤسســـة الرسالة، 1986م.

وعد الله، ليديا: **التناص المعرفي في شعر عز الدين مناصرة**، عمّان، دار مجدلاوي 2005م.

وفاء، خلوصي: **فن التقطيع العروضي والقافية**، ط5، بغداد، منشورات مكتبة المثنى، 1977م.

وهبة، مجدي وآخرون: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م.

اليافي، عبد الكريم: **دراسات فنية في الأدب العربي**، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1963م.

يوسف، خالد إبراهيم: **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2003م.

ثالثاً: الدوريات

أبو بشير، بسام علي: ***وصف الطبيعة في العصر المملوكي***، مجلة القراءة والمعرفة، الأعداد (48–50)، القاهرة، جامعة عين شمس، 2005م.

إسماعيل، يوسف أحمد: ***بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي (البنية الإحالية)***، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، مجلس النشر العلمي، الكويت، الرسالة220، العدد 25،(2005 – 2006) ص 17 – 104.

حسين، محمد طه: ***التناص في رأي بن خلدون***، **مجلة فكر ونقد**، العدد32، ج4، 2000م/ ص127 –130.

محفوظ، حسين علي: ***شعر بدر الدين لؤلؤ الذهبي***، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، ع11، حزيران، 1968م.

رابعاً: الأطروحات الجامعية

الحويطات، مفلح ضبعان: **شعر الهجاء في مصر والشام زمن الحروب الصليبية** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة، الكرك – الأردن، 1999م.

سبيناتي، هناء علي: **صورة المجتمع في الشعر المملوكي** (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة دمشق، دمشق، سوريا، 2007م.

أبو شيخة، عبد الرحيم طلال: **المدائح النبوية في زمن الدولتين الزنكية والأيوبية وأثرها في العصور اللاحقة** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، 2005م.

صيّاد، حسين خضر حسن: **أهنأ المنائح في أسنى المدائح** " شهاب الدين محمود بن سليمان بن مهدي الحلبي(ت 725 هـ)، تحقيق ودراسة،(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، 2002م.

عودة، خليل محمد حسين: **الصورة الفنية في شعر ذي الرمة**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، 1987م.

عودة، فادي عبد الرحيم محمود: **الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، 2010م.

قباجا، عبد المنعم: **عقود اللآل في الموشحات والزجال** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، 2006م.

النجادي، موسى علي موسى: **وصف الطبيعة في العصر المملوكي**، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الخليل، الخليل، 2006م

AN Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies

Bader-Eddine Yousef Ben Lu'lu' Athahabi Poetry (607-680 H.) Artistic and Subjective Drama

By
Asma' Abdulatif Abdu-Fattah Hamd

Supervised by
Dr. Raed Mustafa Abdul-Raheem

This Thesis is Submitted in partial Fulfillment of the Requirements for the degree Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, At – Najah University, Nablus, Palestine.
2012

Bader-Eddine Yousef Ben Lu'lu' Athahabi Poetry (607-680 H.)
Artistic and Subjective Drama

By
Asma' Abdulatif Abdu-Fattah Hamd
Supervised by
Dr. Raed Mustafa Abdul-Raheem

Abstract

This research handles the study of the subject "Poetry of Bader El-Din Yousef Ibn Lulu Al-Dzahabi" objective and art study. This study is considered a link of the links of art research in the history of the Arab arts. It discloses the veil of a poet considered of the most famous poets ot the two ages: The Ayyubide and the Mamluke, and What he produced of Poetric inheritance. Then by his merit, the succession of the links of development and literary Progress through the Islamic ages. And in spite of the Poet's importance and Poetry. There is no comprehensive scientific study that handled his Poetry of the objectivity and art sides. From here, this study came to disclose the veil of these two points of his poetry, and collection of Poetry.

The study followed the investigative, descriptive and analytic syllabus, and relied on the two historic and aesthetic syllabuses in dealing the poetric text, and depended on the poet's printed collection of Poetry, and investigated what had been left of his poetry, then its objective and art study. It showed his active role in the Poetric movement. The study was conducted in a preface and four chapters and appendix:

First: The life of Bader El-Din Yousef Ibn Lulu Al-Dzahabi.

Second: Subject of Bader El-Din Yousef Ibn Lulu Al-Dzahabi poetry.

Third: The technical study of Bader El-Din Yousef Ibn Lulu Al-Dzahabi Poetry.

Four: The restricted on the collection of Poetry.

Five: In this study, I totaled what the study had reached to results.